مطيع النونو

الإسلام .. والحياة

تاريخ وحضارة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النونو، مطيع علي

الإسلام والحياة : تاريخ وحضارة – الرياض .

... ص ؛ .. سم

ردمك ٠ – ٤٣٤ – ٣١ – ٩٩٦٠

١ – الإسلام أ – العيون

ديوى ٣٥١ , ٣٢٠ ١٧ / ٤٣٢

رقم الايداع : ١٧/٤٣٢

ردمك : ٠ – ٤٣٤ – ٣١ – ٩٩٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ
بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

« صَدَقَ الله العظيم »

« سُورة البقرة »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الإهداء

إلى والدي الكريمين – يرحمهما الله – اللذين أحسنا إليَّ وغمراني بحبهما ، وربياني تربية صحيحة سليمة وفق ما تقضي به العقيدة الإسلامية السمحة .

إلى أم مازن زوجي ، شريكة حياتي التي قاسمتني تقلب الزمن بكل حلوه ومره ، فكانت على الدوام بالنسبة لي نعم الأنيس والناصح الأمين .

إلى أبنائي الأعزاء الذين أشكر الله على ما وفقهم إليه من تفوق علمي إلى أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه من درجات علمية رفيعة ، رائدهم في ذلك خدمة الدين وأولى الأمر المدافعين عنه وعن الوطن الغالي.

إلى إخواني وأصدقائي الذين أعتز بهم كل الاعتزاز بما أسدوه إليَّ من نُصح وإرشاد في دروب الخير والصلاح .

إلى كل هؤلاء أهدي مؤلفي هذا بهدف تنوير الجيل العربي والإسلامي وتبصيره بالمخاطر ليعمل على صد العدوان بكل أشكاله وألوانه .

فالله أسأل أن يلهم الجميع الرشد والصواب ، ودعاء من الأعماق لكل الناس المخلصين لأمتهم بأن تكلل مساعيهم الخيرة بالتوفيق والفلاح بما يفيد الإنسان ويسعده في دنياه وآخرته ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

مطيع النونو

« إن من يأتي بعدي سوف لن يجد في العراق
إلاّ أرضاً بدون شعب » !!!!

« صدام حسين التكريتي »

المقدمـــة

إن ما أقدمه للرأي العـام العربي ، في هذا الكتاب ، ما هو إلا حصيلة لمشواري مع الصحافة ، ولخبرتي الطويلة التي اكتسبتها خلال مدة تربو على ٥٠ سنة ، في هذه المهنة التي سموّها بحق ! « مهنة البحث عن المتاعب » ! ٠٠ كما هيأ لي عملي الصحفي الوقوف على مجريات الأحداث المفتعلة والانقلابات العسكرية والتصرفات المتخاذلة التي كان وراءها الأحزاب القومية والشيوعية والاشتراكية العلمانية لا سيما ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث العربي وزميله صلاح البيطار وأيضا رفيق دربه في الاشتراكية والعلمانية الملحدة أكرم الحوراني رئيس الحزب العربي الاشتراكي الذين نبذهم الشعب السوري بسبب مواقفهم السياسية وتحريضهم المستمر لضباط الجيش السوري على الانقلاب على كل حكم وطني ، وقد طرد هؤلاء غير مرة من سورية من قبل الحكومات العسكرية ، وكان ذلك الإبعاد النهائي على أيدي تلاميذهم من العسكريين والمدنيين لئلا يسمح لهؤلاء الثلاثة فرض سيطرتهم الكاملة على مقاليد الأمـور السياسـية .

إن هدف الأحزاب العلمانية الملحدة التي نشرت جذور البلاء والغزو الفكري في العالم العربي إقامة حكومات اشتراكية ملحدة ، وقد كان ذلك الغزو الفكري ، أكبر حرب على العقيدة الإسلامية ، وذلك بهدف خسيس لتحل «دولة البوليس » و « الحكم العسكري» و «الارهاب الفكري» مكان الشريعة الإسلامية التي انزلت على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد عملت هذه الفئات العلمانية على إشعال الاضطرابات الداخلية في سورية ، ودفع القيادات العسكرية أيضاً للتدخل في شؤون الحكم ، ثم اخذت هذه الاضطرابات الداخلية تعصف بالعراق الشقيق إلى أن سيطر صدّام حسين « التكريتي » على مقاليد السلطة تحت غطاء القيادة القومية لحزب البعث بزعامة ميشيل عفلق وبمساندة من الضباط العسكريين البعثيين ، كما عصفت هذه الاضطرابات أيضاً بعدد من البلدان العربية الأخرى بعد حصولها على الاستقلال كمصر والجزائر وليبيا وتونس والسودان واليمن وغيرها ٠

وفي ضوء الأحداث المتلاحقة التي شهدتها المنطقة العربية بصورة عامة والمنطقة الخليجية بصورة خاصة والتي هددت الاقتصاد العالمي بعد أن قام صدّام التكريتي حاكم العراق في اليوم الثاني من شهر آب « أغسطس » ١٩٩٠م بغزو الكويت وما رافق ذلك من

المآسي التي لم يعرفها العالم من قبل حتى في عصور الجاهلية ، ولذلك كان من الطبيعي أن تقف دول العالم إلى جانب المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي المهددة بالغزو من قبل قوات صدّام حسين لدحر عدوانه بموجب القرارات الصارمة التي أصدرها مجلس الأمن ضد العراق فكان لزاماً شن الحرب الخاطفة التي قامت بها جيوش الحلفاء لصدّ العدوان العراقي الغاشم وإعادة الكويت لحكومتها الشرعية ولشعبها الكويتي الأصيل وقد تحررت دولة الكويت بفضل العلي القدير ثم بفضل من القيادة الحكيمة التي قادها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله بكل شجاعة وقوة عندما نهض بمسؤولياته التاريخية بكل عزيمة وتصميم لصد العدوان الغادر على حرمة الخليج العربي.

إن ما حفزني مباشرة لإعداد هذا الكتاب هو مضمون الإعلان الذي أصدره صدّام حسين في صيف عام ١٩٨٩م بأن ميشيل عفلق قد اعتنق الإسلام ديناً وأنه لم يرغب هو ولا رفاقه في قيادة حزب البعث القومية والقطرية في العراق في إعلان ذلك إلا بعد وفاة عفلق ، حرصاً منه ومنهم على أن لا يعطى لهذا الخيار أي تأويل سياسي . وقد دفن مؤسس حزب البعث في بغداد بعد نقل جثمانه من باريس ، وأقام له صدّام حسين التكريتي ضريحاً كبيراً ليكون بمثابة «مزار » لمؤسس البعث تخليداً لذكراه وبلغت تكاليف الضريح أكثر من ستة ملايين دولار أمريكي ، ولهذا أقول مؤكداً : إنَّ اعلان اعتناق عفلق للإسلام إنما كان اكذوبة كبيرة وخدعة للشعوب العربية والإسلامية وأيضاً للطائفة النصرانية التي انتسب اليها عفلق وهي الطائفة الارثوذكسية من الأقليات النصرانية .

ولذلك حرصت ان أتحدث في هذا الكتاب عن سيرة الأحزاب العلمانية الملحدة التي انتشرت في عالمنا العربي وأيضاً عن سيرة ميشيل عفلق منذ طفولته ثم نشأته السياسية حتى مغادرته سورية إلى غير رجعة مع تحليل شامل للأهداف الملحدة الهدامة التي حاول نشرها في سورية والعالم العربي وعن تاريخ عفلق وماضيه المليء بالعداء للدين الإسلامي وهنا لا بد من التذكير بأن البابا « بيوس الثاني عشر » الذي تسلم كنيسة روما في مطلع الخمسينيات قد أيد وبارك جميع خطوات عفلق في محاربة الإسلام والمسلمين لإضعاف الشعور الإسلامي في العالم . ومنحه وساماً بابوياً تقديراً لجهوده « التبشيرية » .

إن الشرح النظري لمبادىء الأحزاب العلمانية من واجب كل مسلم مؤمن وذلك للكشف عما فيها من مبادئ ملحدة ولتفنيد أباطيلها ، وإطلاع الرأي العام العربي والإسلامي على حقيقة ما كان يضمره صدّام حسين وحزب البعث من مخططات ومؤامرات

تستهدف طمس الهوية الإسلامية ، لذلك فإن من واجب جميع المسلمين الشرفاء ان يقفوا بكل حزم وجرأة للحيلولة دون تسرّب هذه المبادىء إلى بلدانهم ، وبذلك يتحقق إبطال مؤامرة حاكم العراق في الاستيلاء على ثروات الأمة العربية والتحكم بالاقتصاد العالمي .

وللمزيد من الإيضاح فقد تناولت في هذا الكتاب مواقف علماء الدين الإسلامي - سابقا - في سورية من المخطّطات الملحدة ومن محاولة تطبيق العلمنة والعمل على إشاعة الزندقة في سورية المسلمة وفي العالم العربي ، وكما هو معلوم فقد رسم عفلق في كتابه « في سبيل البعث» لجميع أعضاء حزبه طريق الوصول إلى الحكم والسيطرة على مقاليد وثروات الوطن العربي وذلك بسلوك طريق سفك الدماء للتخلص من حكّام البلاد العربية فإن عفلق يعتبرهم أعداء البعث لذلك يطالب بتصفيتهم جسدياً ، ولعل من الفوارق البهلوانية التي تدعو للعجب أن عفلق ورجالات البعث العفلقي والغوغاء العربي الذين أيدوه وناصروه حتى الساعات الأخيرة لم يكن لهم اتجاه سياسي معين فهم يتقلبون بين ساعة وأخرى في مواقفهم ومبادئهم الهدامة وفق المصالح والنزوات الشخصية وسيتضح هذا بجلاء للقارئ الكريم من خلال الوثائق والحقائق .

لقد قامت حول « عفلق » ضجة صاخبة من الطلاب الدمشقيين وضجة أخرى من المشايخ والعلماء بسبب نشره المبادىء الملحدة ، وكان علماء الدين الإسلامي ورابطة العلماء في سورية يكشفون زندقة عفلق وحربه للإسلام ، وما يدعو إليه « حزب البعث » وهوالعمل على إنشاء جيل مؤمن بوحدة الأمة العربية على أساس مبادىء « عفلق » «الاشتراكية» مشبع بالتفكير العلماني ومتحرر من الأديان السماوية والتركيز على علمانية الدولة والإلحاد .

ومن الأوراق السرية التي كان يوجهها « عفلق » لاعضاء الحزب « للصفوة النخبة » وهي المبادىء التي أقرها المؤتمر القومي لحزب البعث خلال اجتماعاته في بيروت خلال شهر آب « أغسطس » ١٩٦٠م منها : ما حدده المؤتمر من موقف الحزب تجاه الدين الإسلامي لذلك:

« يعتبر المؤتمر الرجعية الدينية احدى المخاطر السياسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعملي على :

أ - علمانية الحزب ، خاصة في الأقطار التي تشوه الطائفية فيها العمل السياسي .

ب - إبراز التناقضات بين مصالح الفئات الرجعية المتاجرة بالدين - على حد تعبيره - وبين مصالح الجماهير الشعبية ، وتعميق هذه التناقضات بتبني المطالب الشعبية وتشجيع الجماهير على التمرد وإعلان العصيان في البلاد من أجل مطالبها الاجتماعية والاقتصادية » .

ويتابع عفلق تحريضه على « الثورة » في العالم العربي فيقول : « حزب البعث العربي الاشتراكي انقلابي يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية ، وبناء الاشتراكية ، لايمكن أن يتم إلا عن طريق الانقلاب والنضال .. انقلاباً يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية .. الانقلاب هو تغيير الواقع العربي جذرياً .. والمؤسسات التي يقوم عليها المجتمع كالتقاليد الدينية والعادات الأسرية وجهاز الحكومة ونظام الحكم ، وماهو أهم من كل ذلك هو الانقلاب في داخل النفسية العربية ، وأن تحقق في نفوس أعضائها الانقلاب على القيم القديمة .. الانقلاب لايمكن أن يكون إلا بالثورة .. الثورة بكل ما تزخر به من معان لما يصاحبها من عنف وصراع .. فالانقلاب ليس له إلا معنى واحد واضح صريح هو الصراع والمعاكسة العقلية .. لابدإذن من غليان مضطرب متحرك ، لابد من مشاق نجتازها لابد من سير طويل .. إن الثورة لم تأت لمصلحة جميع طبقات الشعب ، وإنما لمصلحة الطبقات التي ترتبط عملياً بالثورة والتي لها مصلحة فيها ، وهم الفلاحون والعمال والفئات الثورية المثقفة ..

وهنا أقول : ان الوثيقة الدامغة والمؤامرة على الخليج العربي قد وضعها صدام حسين عام ١٩٨٣م وذلك عندما طلبت القيادة القومية لحزب البعث العراقي عقد ندوات فكرية وثقافية في العالم العربي وبصورة خاصة في العراق والأردن ومصر ولبنان لمناقشة موضوع « اللغة العربية والوعي القومي » بدافع رئيسي من مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ، على اعتبار أن الدكتور سعدون حمادي وهو التلميذ الحزبي المؤتمن من ميشيل عفلق كان المسؤول الأول عن الاشراف على مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ، وكانت هذه الدعوة دعوة مبطنة من التلميذ حمادي وتخفي الشيء الكثير الكثير لانطلاقة حزب البعث بقيادة صدام حسين ، وذلك من خلال دخول الندوة في نقاشات أوسع لها علاقة صميمية في إعادة الحديث عن القومية العربية بشكلها الموسع التفصيلي : فقد طالب حمادي في ذلك الاجتماع بأن يعتبر الفكر القومي العربي أن القومية العربية ماتزال هي أساس النهضة والتقدم للمجتمع العربي .

وقال : « إن الدولة القُطرية – ويعني العراق – فهي موجودة الآن وهي تعاني من علة جوهرية تتعلق بجوهر مسألة التقدم هي استحالة تنمية حقيقية توصل الدولة إلى مستوى الدول الصناعية المتقدمة ، وبسبب جوهري هو ضيق السوق وعدم تكامل الموارد وضيق الرقعة الجغرافية .. وأن البلاد العربية مجزأة ووجودها مهدد وقضية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مأزق ، والتجزئة فاشلة في الدفاع عن الوجود ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية غير ممكنة في ظل هذا الوضع ، وإن حدوث تطور واحد بإمكانه أن يزيل التوازن

القلق الذي يشهده وضع التجزئة ، فخطوة واحدة إلى الأمام بإمكانها أن تخلق خطوة جديدة أخرى إلى الأمام وهذه بدورها يمكن أن تفعل فعلها في الواقع المادي ، وفي الوضع النفسي لدرجة يمكن أن ينتج عنها خطوة جديدة ، وهكذا يمكن ان يتطور الوضع تصاعدياً ، والوضع العربي ليس من السهل قراءة مستقبله ولا التنبؤ به على أساس معطيات الحاضر ، فهو قابل للمفاجآت ومليء بالاحتمالات التي لا يوحيها ما هو موجود ، وهناك أدلة كثيرة على أن الواقع العربي يتصف بهذه الصفات ، فضربة فنية هنا قد ينتج عنها ما هو ليس بالحسبان الآن » .

لذلك كانت الضربة الفنية التي تحدث عنها « حمادي » مخطط الندوات « البعثية » تستحق التوقف والتأمل العميق لمعرفة « الضربة الفنية » للواقع العربي وهي بالتأكيد « الضربة العسكرية العراقية الغادرة » على دولة الكويت الجارة العربية المسلمة المسالمة ، فوقع الزلزال الكارثة في المنطقة الخليجية وأحدث هوة سحيقة وشرخاً عميقاً في نسيج التضامن العربي .

إن جميع الصفات الملحدة تنطبق تمام الانطباق على تصرفات ومواقف حاكم العراق ، فقد كذب صدّام حسين بكل وقاحة على الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين ، وعلى الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، وعلى الرئيس الامريكي جورج بوش وعلى العالم كله عندما قال : إنه لا يفكر بغزو الكويت ، فزعم للجميع أن حشوده العسكرية على حدود الكويت ، وعلى حدود المملكة العربية السعودية ، مجرد مناورات عسكرية يقوم بها الجيش العراقي ، ولكن بعد ساعات قليلة كشف حاكم العراق عن مؤامرته الجهنمية وعن خبيثة اطماعه في الاستيلاء على المنطقة العربية بهدف زعزعة الأمن والاستقرار الذي تعيشه المنطقة الخليجية بعد أن أخفقت محاولته مع إيران خلال حرب الثماني سنوات وكانت حرباً دموية شرسة ، ذهب ضحيتها حوالي مليون مسلم من العراق وإيران . ثم اتبع السيئة بالسيئة بمحاولته الثانية مع دولة الكويت وكل ذلك يأتي في إطار اهداف بعيدة المدى يرمي من ورائها إلى إقامة دولة البعث الكبرى في العالم العربي ؛ تلك التي كان يحلم بها استاذه ميشيل عفلق والتي تمتد كما يتصورها الفيلسوف البعثي وفق ما نص عليه دستور عفلق ما بين جبال طوروس ، وجبال بشتكويه « ـ إيران » ، وخليج البصرة ، والبحر العربي ، وجبال الحبشة ، والصحراء الكبرى ، والبحر الأبيض المتوسط ، وصولا إلى نقطة التقاء البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الاطلسي . وكان يقال في المجالس السياسية إن دولة البعث تمتد من الخليج إلى المحيط ، ويقال «من المية إلى المية » .

ونحمده تعالى على أن صدّام حسين رفض جميع الطروحات السلمية فلم ينصع للارادة الدولية ولقرارات مجلس الأمن ، وكانت هذه مشيئة الله تعالى ، ولا رادّ لمشيئته ؛ فهو أعلم بالسرائر إذ لو حدث خلاف ذلك لاستفحل الخطر ولتعذر فيما بعد على وجه السرعة كبح جماحه وإنزال الهزيمة به .

لذلك كان لا بد من معرفة المخطط الأول للمؤامرات التي أضرت بالأمة العربية والانقلابات العسكرية التي اطاحت بعدد من الانظمة الديمقراطية في العالم العربي ولهذا فان من الأهم الرجوع إلى الأربعينيات من هذا القرن لكشف المحرض الأول للجرثومة الانقلابية ودوافعها وأسبابها والبيئة التي ترعرعت فيها هذه الأعمال الهدامة . ولذلك لا بد من التأكيد أن هذا الكتاب إنما يستهدف بالدرجة الأولى تسجيل حقائق تبصّر المعاصرين والأجيال القادمة ، لأن التلبيس وقلب الحقائق عانت منه أمتنا معاناة جرّت عليها ويلات كثيرة بسبب ما انطوت عليه المبادئ الهدامة ومخططات الأحزاب الملحدة مع صدّام حسين التكريتي ومؤامرته للاستيلاء على العالم العربي التي استوحاها من كتاب أستاذه مؤسس البعث الذي أصدره بعنوان « في سبيل البعث » .

لقد تم إعداد مادة هذا الكتاب المتواضع الذي أقدمه للرأي العام العربي ولشباب المستقبل ، وكلي أمل ورجاء أن أكون قد حققت الغاية المنشودة من إصداره ألا وهي توعية الجيل العربي ليأخذ حذره من المبادئ والأفكار المستوردة العلمانية منها والملحدة وأن يتمسك جيل المستقبل بمبادئ شريعتنا الإسلامية .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مطيع النونو

الأحزاب العلمانية والارهاب الفكري

كانت دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية ، موضع اهتمام دول العالم أجمع ، فهي من أقدم مدن الأرض تاريخياً ، وكانت مدينة عامرة راسخة في حضارتها فهي مدينة أثرية فيها كثير من الآثار الباقية لكثير من العصور الخالية ، إنها مدينة زاخرة بالعلماء فيها المكتبة الظاهرية التي تحوي كثيراً من نوادر المخطوطات ، وهي تعد من أغنى الخزائن الإسلامية بكتب الحديث المخطوطة .

لقد قدِم العرب إلى دمشق في الألف الرابع قبل الميلاد وأقاموا فيها ، وفي مختلفِ العهود توافدت عليهم جماعات وشراذم من العبرانيين والآشوريين والبابليين ، والمصريين والحثيين والفــرس والرومان واليونان والأرمن والترك والغال والكرد والتتار والشراكسة والإفرنج وغيرهم من العناصر السامية فإن سورية تعتبر مسرحاً لجميع العبادات في العالم القديم .

وفي ظـل هــذه الأديـان التـي تتعايش فـي سـورية بـدأت تنمـو الفروق المذهبية بدوافع خارجية ومحلّية لتشجيع الاستقلالات الذاتية الخاصة بجميـع الطـوائف وكان لزعماء هذه الطوائف الروحيين الدور الكبير في تنميـة الفـروقات الدينيـة ، ونشأت من خلال ذلك فكرة القومية العربية ونمت وترعرعت متأثرة بالنهضات القومية الأوروبية في مطلع القرن العشرين التي روجتها وشجعتها المدارس الأجنبية والبعثات التنصيرية المختلفة .

كانت منطقة « بر الشام » في الماضي تسمى « شام شريف » نظراً لإيمان شعوب المنطقة بالعقيدة الإسلامية في ظل سيطرة الدولة العثمانية . وبما أن المنطقة كانت موضع اهتمام العالم الخارجي ، تود كل دولة منها أن تقطف ثمارها ومواردها الطبيعية ، فقد وضعت الجهات الغربية خطة للتآمر على هذه المنطقة الإسلامية بهدف إقصاء الدولة العثمانية وإزالة سيطرتها على المنطقة .

ولهذا توافدت إلى منطقة الشرق العربي منذ أوائل القرن التاسع عشر الإرساليات النصرانية « التبشيرية » المخربة ، وفتحت المدارس « اليسوعية » في كل من دمشق وحلب ، وبيروت وزحلة وغزير في لبنان وفي المناطق النائية اللبنانية لنشر الثقافة النصرانية العلمانية بين أبناء الشعوب الإسلامية ، بهدف زعزعة الأمن والإستقرار بين سكان البلاد الأصليين ، وشكلت الإرساليات الوافدة ، المؤسسات الثقافية المتسترة بالمبادىء العلمانية ، وانتشرت هذه

المؤسسات عن طريق أسماء مختلفة ، منها الثقافية العلمية ومنها المؤسسات الصحية ، وكانت هذه المؤسسات جميعاً تحت إشراف الجامعة اليسوعيـة في بيروت ، كما تم إنشـاء معهـد « شملان » في « سوق الغرب » في جبل لبنان معقل الطائفة الدرزية بإشراف إدارة ممثلة من وزارة الخارجية البريطانية ، مهمته ظاهراً تخريج الدبلوماسيين البريطانيين ؛ إلا أن مهمته الأساسية السرية هي تدريب وتخريج العملاء والجواسيس لبريطانيا في الشرق الأوسط .

وكان صدام حسين أيام شبابه قد لجأ إلى دمشق وبيروت ، إثر اشتراكه في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم حاكم العراق يوم السابع من تشرين الأول « اكتوبر » ١٩٥٩م . وبتوجيه من ميشيل عفلق انتسب صدام حسين إلى معهد « شملان » ليتدرب على أعمال الجاسوسية والتخريب .

وعملت هذه المؤسسات على نشر الثقافة الغربية وتولت الطعن والتخريب في العقيدة الدينية الإسلامية . يضاف إلى ذلك أن الدولة الروسية في عهد القياصرة شاركت في إرسال بعثاتها الثقافية أيضاً إلى المنطقة منذ عام ١٧٧٤ م ، تنفيذاً لاتفاقها الموقّع مع الدولة العثمانية والذي سمي حينذاك بمعاهدة « كوتشك كانا ردجي .

ولوحظ بأن الحكومة الفرنسية قد حققت القسط الأكبر من الغرض من إرسالياتها الثقافية التي انتشرت في المنطقة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، وذلك بسبب الإمدادات المالية الفرنسية والمعونات الوفيرة المخصصة للبعثات الفرنسية التنصيرية التي كانت تسمى التبشيرية ، فكان لهذه الإمدادات السخية تأثير كبير على نشر الثقافة والفكر الفرنسيين بين المواطنين على نطاق واسع .

وانطلقت فرنسا في ذلك التاريخ ووسعت نشاطها الثقافي أيضا عن طريق إصدار الصحف العربية وتمويلها لنشر أفكارها ولتقف سدا في طريق الدول الغربية الأخرى ، وكانت هذه الصحف تعمل على توطيد النفوذ الفرنسي ونشر الثقافة الفرنسية والتبشير لهـا في البلاد ، كما قامت الحكومة الفرنسية بدفع الأموال بسخاء لإسكات الصحف السورية المناوئة للإستعمار الفرنسي بصورة خاصة والمعارضة لانتشار الثقافة الفرنسية ، وراحت تلك الصحف تكيل المديح للسياسة الفرنسية طالبة الإكثار من افتتاح المدارس الفرنسية ، على أن تكون هذه المدارس علمانية بعيدة عن الديانتين الإسلامية والنصرانية .

وتنفيذا لاتفاقية سايكس / بيكو السرية الموقعة بين الدول الثلاث (فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية) عام ١٩١٥م ، حصلت روسيا على اعتراف كل من بريطانيا وفرنسا بأن

تكون مدينة استانبول التركية والمضايق المائية في تركيا مناطق نفوذ لروسيا ، ثم ضمها إلى ممتلكات روسيا القيصرية (!!) ، وفي المقابل وافقت روسيا على الاعتراف بحقوق بريطانيا العظمى وفرنسا في ممتلكات الدولة العثمانية في المنطقة العربية الآسيوية .

ومن المعلوم أن روسيا ليس لها منافذ إلى « المياه الدافئة » فكان هذا الاتفاق تحقيقا لأحلامها ، وللتدخل في شؤون منطقة الشرق الأدنى .

وبما أن لسورية موقعها الجغرافي الهام وإرتباط ذلك بالصراع بين الشرق والغرب حفاظاً على مصالحهما باعتبار أن سورية ملتقى طرق للتجارة ولشؤون الترانزيت الدولي ولمرور الجيوش الحربية فقد نشر في عام ١٨٥٣م الكولونيل تشرشل مقالاً في إحدى الصحف البريطانية تحدث فيه عن أهمية منطقة الشرق الأدنى فقال :

« إذا كانت بريطانيا ترغب في الحفاظ على سيطرتها في الشرق فينبغي لها بشكل أو بآخر أن تُدخل سورية ومصر في نطاق نفوذهـا وسيطرتهـا كما جاء في بيان للرئيس الأمريكي « ترومان » ألقاه بمناسبة يوم الجيش في الولايات المتحدة يوم ٦ نيسان «أبريل » ١٩٤٦م قال : « في هذه المنطقة (الشرق الأدنى) ، موارد طبيعية هائلة ، فضلاً عن أنها منطقة تقع عبر أفضل الطرق البرية والمواصلات الجوية والمائية . فهي لذلك بقعة ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية عظيمة ، غير أن شعوبها ليست من القوة بحيث أن الدولة الواحدة أو دول المنطقة كلها مجتمعة تستطيع أن تقاوم العدوان القوي إذا أتاها من الخارج . ولذلك يسهل على المرء أن يدرك كيف ان الشرقين الأدنى والأوسط يمكن أن يصبحا يوماً ما حلبة لمنافسة عنيفة بين القوى الخارجية ، وكيف أن تنافساً كهذا يمكن أن يتحول فجأة إلى نزاع مسلح » .

وقد شهدت منطقة « برّ الشام » خلال الحكم العثماني تدفُّق موجات يهودية قدمت من الأندلس واستقروا في المنطقة وأقاموا في دمشق والقاهرة والقدس والاسكندرية وصفد وأُطلق عليهم لقب « السفارديم » . ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي جاءت أعداد كبيرة من اليهود من القارة الأوروبية الغربية والشرقية وبشكل خاص من اليونان واستقروا في المدن الكبرى في بلاد الشام تمهيداً لإعلان وعد بلفور في فلسطين.

* * *

القومية العربية ..والغزو الفكري !

عرفت بلاد العرب منذ مطلع القرن العشرين الميلادي حركات فكرية عقائدية وجمعيات سياسية علمانية كان عدد كبير من مؤسسيها من نصارى العرب ، ويرجع السبب في ذلك وفق ما يتحدث به المؤرخون هو نزوح العديد من الأسر الإقطاعية النصرانية إلى مصر وأوروبا وبخاصة فرنسا عقب أحداث الحرب الأهلية اللبنانية وحركات صغار الفلاحين على كبار الملاكين وهي الأحداث التي وقعت عام ١٨٦٠م .

لقد تزامن إطلاق فكرة القومية العربية مع ظهور الطبعات الأولية من كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» ، في الامبراطورية الروسية باللغة الروسية فيما بين سنة ١٩٠١ و ١٩٠٥ م ، ولكن سُحبت هذه الطبعات من الأسواق فوراً واختفت عن الأنظار ، ولكن تسربت نسخة منها إلى المتحف البريطاني في لندن تحت رقم ٣٩٣٦ و ١٧ ، وقد أودعت سنة ١٩٠٦م ، ولم تلفت هذه الوثيقة انتباه أحد حتى الثورة السوفياتية عام ١٩١٧م إذ أن الانهيار المفاجئ للامبراطورية الروسية على أيدي البلاشفة ، ووجود عدد كبير من اليهود في صفوفهم جعل كثيراً من الناس يفكرون بهذا الأمر ويبحثون عن سبب محتمل لهذه الكارثة ، فبدا لهم أن البروتوكولات توضح ذلك لأن خطة البلاشفة تشبه ما اقتُرح في كتاب البروتوكولات بالطبعة الروسية .

لقد نصت الفقرة الأولى من البروتوكول الرابع عشر على الغاء الديانات غير اليهودية وقد جاء فيها ما يأتي :

« عندما نغدو سادة لن نترك ديناً قائماً غير ديننا القائل بالإله الواحد الذي يرتبط به مصيرنا لأننا نحن شعب الله المختار ، وبنا ارتبط مصير العالم ، ولذا يجب أن نقضي على كل الأديان ، فإذا نشأ عن ذلك وجود ملحدين عصريين فإنهم سيكونون عناصر انتقالية ، وهذا لا يضر مخططنا لأنهم سيكونون مثالاً للأجيال التي ستعتنق تعاليم دين موسى ، الذي بفضل قوته وعقلانيته يجب أن ينتهي بنا إلى التسلط على العالم كله » .

لقد انطلقت القومية العربية في سورية وفي الدول العربية مع نهاية العهد العثماني للمنطقة العربية عام ١٩١٩م ، وكان من أوائل من أطلق هذه الفكرة « الأستاذ ساطع الحصري » ، الملقب « أبا خلدون » الذي استلم مناصب رفيعة في إدارات التعليم ، وبعد ذلك ظهر على المسرح التعليمي الدكتور قسطنطين زريق حيث اسندت اليه مناصب عديدة في مجال التعليم منها رئاسة الجامعة السورية بدمشق ، وقد كان الشخص الثاني الذي دعا

لفكرة القومية العربية من خلال كتبه التعليمية في المدارس السورية واللبنانية . وهو أول نصراني أرثوذكسي يطلق هذه الأفكار في العالم العربي ، وأول خطوة حققها في هذا المضمار تأسيس حركة القوميين العرب إلا أن زعامة الحركة قد انتقلت بعد ذلك إلى جورج حبش الزعيم الفلسطيني اليساري المتطرف .

إن الإسلام دين وبناء اجتماعي ونظام أخلاقي ودين دولة متكامل شامل لجميع معاني الأمة ، ويمتاز بكونه ليس كاليهودية ديناً قومياً يختص بجماعة معينة من الناس هم العبرانيون، أو كالنصرانية التي جعلت همها حصر الفكر في كيفية الوصول الى النجاة من هول اليوم الآخر ، مع الاهتمام في نفس الوقت بأداء ما لقيصر لقيصر وماالله لله ولكن الإسلام كان على العكس من ذلك منذ أول ظهوره في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فهودين الإنسانية جمعاء لأنه يعنى جميع الأمم والشعوب بدون استثناء من أجل أن يسعدوا بخيري الدنيا والآخرة .

ولذلك فالعقيدة الإسلامية لم تقرّ العصبية القبلية التي كانت سائدة بين العرب في العصر الجاهلي الذي كان يشكل وحدات قبلية في شبه الجزيرة العربية كل منها مستقلة عن الأخرى وكانت هذه الوحدات كثيراً ما يتباهى أهلها بعصبيتهم وبصلة الدم الخالصة وبنجابتهم في داخل تلك الوحدات ، ومهما يكن من شيء ، فإنه لا يوجد ما يثبت أنهم اتخذوا لأنفسهم وجوداً قومياً ، وعندما جاء الإسلام جعل من هذه القبائل إخواناً متحابين في الله برغم تعدد أجناسهم وألوانهم ومراكزهم الاجتماعية وفروقاتهم الشخصية ، فكان الجميع يعيشون جنباً إلى جنب منهم الحبشي والفارسي والزنوج وغيرهم .

يقول الله عزَّ وجل : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » سورة الحجرات ، الآية: (١٣)

كما أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو القدوة الحسنة قد نهى في صراحة عن التمييز العنصري فقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » .

وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قاتل تحت راية عُمِيّة يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فَقُتِلَ فقِتْلَة جاهلية » . وفي رواية لمسلم أيضاً « فليس من أمتي » .

وهكذا تتوالى الحقب وبحلول النصف الثانـي من القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية فريسة اضطرابات في داخل الدولة وفـي خارجها ولم يتمكن السلطان عبد الحميد الثاني باعتلائه على عرش الامبراطورية العثمانية عام ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م أن يضع حداً لتلك الاضطرابات الا أنه تمكن من إبقاء الدولة العثمانية وقتاً أطول.

وفـي عـام ١٨٨٣م قامت حركـة انفصالية بين نصارى مدينة بيروت فـي كليـة اليسوعيين (= البروتسطانت) السورية (الجامعة الامريكية ببيروت) وكانت تعلن معارضتها للامبراطورية العثمانية ووزعت مناشير سرية في بيروت تحرض الشعب العربي على الثورة ضد العثمانيين ، وموّلت الحكومة الفرنسية هذه الحركة لنشر نفوذها في المنطقة .

نعود للحديث عن الأستاذ ساطع الحصري باعتباره أبرز من نادى بالقومية العربية ، فقد ولد في عام ١٨٨٢م في مدينة صنعاء حيث كان أبوه قاضياً فيها وهو ينتمي إلى أسرة حلبية ، وخلال إقامته في دمشق عام ١٩١٩م تبنى فكرة القومية العربية ، وتقلد منصب وزير المعارف في حكومة الملك فيصل الأول ملك سورية وعندما سقطت الحكومة العربية في سورية واحتلت فرنسا سورية عام ١٩٢١م اتجه الحصري بناء على طلب الملك فيصل إلى العراق وبقي هناك حتى عام ١٩٤١م وأصبح حتى وفاته عام ١٩٦٨م المتحدث الأول باسم « القومية العربية» ونادى بنظرية علمنة الدول العربية وقامت مظاهرات عنيفة في دمشق وبغداد ضد مبادئه مستنكرة تطبيق العلمنة في العالم العربي . وكان المتظاهرون يهتفون « لا إله إلا الله وساطع الحصري عدو الله » ومن طريف ما قيل فيه في هذه الآونة :

ساطـع أظْلَـمُ لمّـا ... وُسّدَ الأمر إليه
هدّ ركن الدين عمداً ... لعنة الله عليه

وكانت الصحافة الروسية تعنى عناية خاصة بساطع الحصري باعتبار أن مبادئه بعيدة عن الدين الإسلامي وفي مقال نشر عنه في تلك المدة في إحدى الصحف الروسية فذكرت الصحيفة أن ساطع الحصري كان بحق سيد العلمانية في العالم العربي باعتباره أول من بعث هذه الفكرة في المنطقة العربية .

إن القومية العربية والحركات الفكرية التي شهدها عالمنا العربي والإسلامي التي تعددت على الساحة السياسية في هذا القرن قد وضع أسسها منذ ذلك التاريخ فئة من عرب المشرق وبدأت الدعوة إليها في سورية ولبنان فئة من النصارى وبصورة خاصة من الأقليات النصرانية المهاجرة إلى المنطقة العربية والقادمة من بعض الدول الغربية لا سيما

اليونان ، ودعمت كيانها مدارس التنصير في البلاد العربية .وعندما يستعرض الباحث أسماء المؤسسين لهذه الأحزاب العقائدية في العالم العربي فانه يجد أن العديد من أعضائها البارزين هم من الطوائف والاقليات المذهبية.

لقد أسس هذه الاحزاب الفكرية قلة من النصارى هم أنطون سعادة (الحزب القومي الاجتماعي) ، الدكتور قسطنطين زريق (حركة القوميين العرب) ، ثم انتقلت زعامة الحركة للدكتور جورج حبش الفلسطيني الشيوعي المتطرف ، نايف حواتمة (الجبهة الشعبية) وهو فلسطيني أيضاً ، الشيخ بيار الجميل زعيم (حزب الكتائب اللبنانية) وجميع أعضائه من الطائفة المارونية ، ميشيل عفلق (حزب البعث العربي) ، شبلي العيسمي وهو درزي من جبل الدروز في سورية ، الدكتور إلياس فرح نصراني ، والدكتور طوبيا حنّا عزيز المعروف بـ: «طارق حنّا عزيز » وهو آشوري الأصل من العراق وهؤلاء الثلاثة من الأقطاب البارزين في حزب البعث . أما الحزب الشيوعي السوري اللبناني فقد أسسه عدد من اليساريين في كلا البلدين وأكثرهم من النصارى وكانت نسبة المسلمين فيهم قليلة ولكن تم اختيار خالد بكداش وهو سوري من أصل « كردي » لزعامة الحزب وذلك خلافاً للأحزاب العقائدية الأخرى التي كان قادتها من النصارى .

ويقول الدكتور إلياس فرح في بعض مؤلفاته الحزبية « إن العلمانية ألتي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها ، تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع، إن علاقة الدين بالدولة هي أهم القضايا القومية ، وهذه القضايا تشمل شيئاً أوسع من علاقة الدين بالدولة ، وهو علاقة الأمة بماضيها وموقفها من مستقبلها ، كما أنها تعني الأسس الروحية والحقوقية التي تقوم عليها القومية العربية في المستقبل » .

لقد برزت القومية العربية بشكل يلفت النظر على الساحة العربية مع ظهور جمال عبد الناصر في عقد الخمسينيات وبعد أن تحققت الوحدة السورية / المصرية عام ١٩٥٨م . وكان عبد الناصر منذ انقلابه يوم ٢٣ يوليو « تموز » ١٩٥٢م بعيداً عن تيارات القومية العربية وقد كان في العهد الملكي عهد الملك فاروق يعتبر من أقرب المقربين لجماعة الإخوان المسلمين في مصر حيث كان من أشد المتمسكين بعقيدته الإسلامية ، وبتوثيق الصلات الدينية .

ولكن عبد الناصر بعد توليه السلطة ، انقلب رأساً على عقب فحاد عن أهدافه الإسلامية وأخذ بتصفية أقطاب الإخوان المسلمين . ثم اختار طريق الفكر القومي العربي بعد التأييد الشعبي الذي حظي به في العالم العربي ولا سيما في سورية ووجد أن من مصلحته

الشخصية تبني الفكرة القومية و« الوحدة العربية » بهدف تحقيق السيطرة على العالم العربي مبتدئاً بقيام الوحدة مع سورية .

لقد رفض عبد الناصر علناً اعتبار العقيدة الدينية ، أياً ما كانت ، أساساً للدولة وعبر عن ذلك الرفض بما يأتي : « ينظر الإسرائيليون الى اليهودية » لا كعقيدة فحسب بل كقومية، وهذا ما يُعقِّد المشكلة . ولست أدري ما الذي يحدث لو أننا قررنا أن نقيم دولتنا على الإسلام، وقرر آخرون أن يقيموا دولتهم على المسيحية ، وقرر غيرهم أن يقيموا دولتهم على البوذية ، لسوف تكون هناك في كل مكان أعمال تنم عن التعصب » .

وعندما يحلل الإنسان المواقف المتناقضة لعبد الناصر منذ ظهوره عام ١٩٥٢م حتى عام ١٩٧٠م أي قبل وفاته نرى أن زعيم الناصرية كان يناقض جميع مواقفه السياسية التي يشكلها حسب الأجواء العربية السائدة والتيارات والأفكار الملحدة في العالم العربي ومن هذا المنطلق نجد أن أفكار عبد الناصر أصبحت في نفس التصور للقومية العربية .

وفي الجانب الآخر نجد أن الجامعة الأمريكية في بيروت قد لعبت دوراً بارزاً في توجيه الطلاب فيها نحو أفكار القومية العربية وذلك بسبب توجيه الأساتذة في الجامعة من عرب وأجانب في كافة مراحل التعليم فيها .

فقد تشبع هؤلاء الطلاب بالمبادئ التي لقنها الأساتذة لهم واختار كل طالب أحدها ، وعندما عاد هؤلاء إلى أوطانهم أخذوا ينشرون هذه الأفكار العلمانية الملحدة في أوطانهم الأصلية بعد تشكيل خلايا حزبية أو حركية لترويج الأفكار العلمانية.

وكان لجامعة دمشق « الجامعة السورية » دورٌ مماثلٌ في هذا المجال باعتبارها الجامعة الوحيدة في سورية آنذاك وقد لاقت إقبالاً من المثقفين العرب ؛ فقد وجد هؤلاء عناية فائقة من ميشيل عفلق وصلاح البيطار حتى يكون تخرجهم مشبعاً بمبادئ حزب البعث الملحد بكل ما في هذه الكلمة من معنى شامل وعميق ، لقد كان ميشيل عفلق يركز اهتمامه الشخصي على هؤلاء الطلاب الوافدين من العالم العربي ويحيطهم بوسائله الخاصة بهدف السيطرة على عقولهم الصافية ليبث فيها أفكاره العلمانية الملحدة .

ومن المستحسن أن نشير في هذا الفصل إلى أهمية المنتديات والندوات الفكرية والعلمية التي تقام على ساحة العالم العربي من أجل إنشاء الصلة وتوثيقها بين المؤسسات المعنية بالفكر والمعرفة والهيئات والمنظمات السياسية المهتمة بالممارسة والتطبيق ، ويجب أن يكون للفكر دور أساسي في صياغة القرار ، ومَن أقربُ إلى ضمير الأمة

العربية من رجال الفكر الذين يتحملون مسؤولية لا تقل وزناً ولا تنقص أهمية عن تلك التي يتحملها أصحابُ القرار المؤمنون وبعقيدتهم الإسلامية التي نص عليها الكتاب الكريم والسنة النبوية .

وفي ختام هذه الحلقة التي تحدثت فيها عن جذور الغزو الفكري وانتشار القومية العربية نرى أن المجتمع العربي يحاول إيجاد أجهزة جديدة للحكم تتبع قواعد التنظيم الاقتصادي الحديث المتشابك المعقّد لذلك فان المجتمع العربي مدعو إلى اقامة تنظيم دولي حديث ومن واجبه ان يستخرج قيماً منسجمة مع تاريخه وتربيته يسير إليها بوضوح وعزم .

* * *

ظهور الأحزاب العلمانية على المسرح !

من الوعود السرية التي اتفقت عليها فرنسا وبريطانيا عام ١٩١٢م قبل توقيع اتفاقية سايكس / بيكو أن حصل « بوانكاريه » وزير الخارجية الفرنسية من « إدوارد غراي » وزير خارجية بريطانيا على تصريح يؤكد عدم تدخل بريطانيا العظمى سياسياً فيما يتعلق بالأراضي السورية . وفي الوقت نفسه تم الإتفاق بين البلدين على أن يكون ضمن الحملة البريطانية كتيبة خاصة « البغالة » في عداد الجيش البريطاني المكلف بـ« تحرير » منطقة الشرق العربي ، ويكون في عداد هذه الكتيبة متطوعون يهود ، وأن يقوم الجيش البريطاني وهو في طريقه إلى « تحرير دمشق » بزرع أفراد الكتيبة من « البغالة » في أرض فلسطين بهدف إعلان وعد بلفور « البريطاني » .

وكانت دمشق أو منطقة « بر الشام » كما هو معروف قد شهدت قبل نهاية الحكم العثماني قدوم أعداد كبيرة من جميع نحل الطوائف الدينية ، جاءت من مختلف الدول الأوروبية بهدف الإقامة في المنطقة و كان بعضهم يفد إلى المنطقة لأهداف سياسية بعيدة المدى غير واضحة أهدافها بالنظر لما يكتنفها من غموض . وهكذا بدأت عملية إستيطان غير مقننة ، ومع مرور الوقت أصبح لهؤلاء حق مكتسب في البلاد ، وصاروا يعاملون كالمواطنين الأصليين رغم وجودهم المجهول ، وأيضاً عدم معرفة الآخرين لدياناتهم الأصلية .

وكان من الوافدين إلى سورية من اليونان في أواخر العقد التاسع عشر ميلادي شخص يدعى « يوسف أفلق » وأقام في منطقة حوران جنوب مدينة دمشق ، وكان من أسرة عادية . ويوسف اسم شائع لدى اليهود ، وهناك رأي يقول : إن « يوسف أفلق » يهودي أصل آبائه وأجداده من اليهود.

واختار « يوسف أفلق » العمل بتجارة بيع الحبوب وعرف بتوجهه الربوي حيث يبيع عملاءه بالديْن المؤجل شأنه في ذلك شأن اليهود الذين عرفوا بالتعامل بالربا ، كما عرف عنه القيام بنشاط ملحوظ ضد الدولة العثمانية وضد العقيدة الإسلامية والقيام بنشر المبادئ والأفكار القومية وذلك وفق ما روى عنه بعض القدامى في حوران .

وبعد أن وطد « يوسف » نفسه في حوران وأصبح له عملاء من المزارعين والفلاحين في المنطقة ، انتقل إلى حي الميدان بمدينة دمشق بهدف توسيع أعماله والتغلغل في أوساط تجار بيع الحبوب ، على اعتبار أن أكثر أسر حي الميدان كانت تعمل بهذه التجارة ، وأصبح المذكور يتظاهر بالغنى الوافر و ليبدو أنه من كبار المولين .

وأقام علاقات حميمة مع أحد الأشخاص ذوي النفوذ في الحي لحمايته ولئلا يكشف أمره وديانته اليهودية وقرر تبديل كنيته من «أفلق» إلى «عفلق» .

ومن المؤكد ــ وفقا لما ذكرت بعض الأسر القديمة في حي الميدان ــ أن «يوسف عفلق» من أصل يهودي دون أدنى شك في هذا الأمر ، كما أكدت هذه الرواية شخصية كبيرة سبق لها أن تولت منصبا كبيرا في جهاز الأمن الداخلي في سورية ، وأضافت هذه الشخصية أن «يوسف» المذكور قرر تحويل دينه من اليهودية إلى النصرانية حتى يتاح له الإقامة إلى جانب القلة القليلة من الأسر النصرانية في زقاق الموصلي في حي الميدان لأنه إذا استمر على ديانته اليهودية فإنه لا يستطيع أن يقيم في ذلك الحي ، لأن سكان حي الميدان يرفضون وجود أي يهودي بينهم ، ولكنهم قبلوا بوجود أسر قليلة من النصارى فقط . لذلك اعتنق «يوسف» الدين النصراني ، إلا أنه لم يلتزم بالواجبات التي طلبتها الكنيسة ولا سيما دفع المساعدات المالية الواجبة عليه وعندما توفي «يوسف» رفضت الكنيسة الأرثوذكسية إقامة قدّاس على جثمانه لأنه لم يثبت ولاءه للدين النصراني ، ولكن بذلت وساطة لدى أركان الطائفة المذكورة فاقيم القدّاس .

وبعد أن تعرف على فتاة نصرانية من أسرة «زيدان» في زقاق الموصلي الذي أقام فيه وعرض عليها الزواج فرفضت طلبه لأنه يهودي ، لذلك قرر تبديل دينه إلى النصرانية بناء على طلب الفتاة وطلب أسرتها أيضا .

وتحوّل الأسرة اليهودية إلى النصرانية ظاهراً ليس بغريب على « اليهودي » الذي من شأنه أن يحتفظ بعقيدته باطناً ، ويظهر ما تقتضيه مصلحته . ويهود الدونمة الذين كانوا من بلاد الأندلس في الأصل وتظاهروا بالإسلام في تركيا المسلمة أمرهم معروف . ومنهم (أتاتورك) السفاح عدو الله والإسلام والمسلمين .

وأنجب «يوسف» من زوجته خمسة أولاد ، ثلاثة ذكور هم : فؤاد ، وميشيل – الذي أسس حزب البعث في سورية – ووصفي وابنتان.

وكان تصرف شقيقتي « ميشيل عفلق » تثير الريبة والشكوك بين الأسر الإسلامية المحافظة في دمشق باعتبارها تصرفات شاذة لم يألفها سكان العاصمة السورية من قبل .

وروى لي بعض الاشخاص الثقات الدمشقيون الذين مازالوا على قيد الحياة – مدّ الله بعمرهم – أن « ميشيل عفلق » خلال دراسته في السوربون في فرنسا أقام علاقة غرامية مع فتاة فرنسية « ساقطة » تعرف إليها في مقهى باريسي ، حملت منه سفاحا ، وعندها طلبت

منه أن يتزوجها رسمياً وهددته بإثارة الموضوع أمام القضاء الفرنسي ، وبعد مداخلات تم الإتفاق على أن يدفع لها مبلغاً من المال ، وإجراء عملية الإجهاض لاستئصال ثمرة السفاح منها .

وأمام هذا المأزق اتصل « ميشيل » بزميل له من دمشق ، كان يتابع دراسته في السوربون وهو الشاب مختار القصار ، مستنجدا بنخوته لتأمين المبلغ المطلوب دفعه للفتاة .

لقد تأثر« ميشيل عفلق » بالموجة الشيوعية الفرنسية ، وتعاون مع أقطاب الشيوعيين هناك ، وقام بنشاط في هذا المجال مع بعض زملائه الشيوعيين الاشتراكيين بعد أن انغمس في هذا التيار . وأقام «عفلق» علاقات وثيقة بالحركات والجمعيات الطلابية والعمالية العربية المقيمة في فرنسا وبخاصة من دول المغرب العربي ضمن مخطط مدروس ، وكان سبب ميله للعمل في الحركات اليسارية الفرنسية والأوروبية باعتبار أن هذه الحركات تساند الحركات اليسارية العربية .. وكان الحزب الشيوعي الفرنسي مناط ورجاء ميشيل عفلق .... » .

لقد تعاطف عفلق مع الحزب الشيوعي الفرنسي وانضم لصفوفه .. كما كان في طليعة المؤيدين والمندفعين لمبادىء ثورة « أكتوبر » تشرين الأول عام ١٩١٧م ، في الإتحاد السوفياتي التي أطاحت بالإمبراطورية القيصرية ، وأعلن عفلق فرحته « بالجيش الأحمر » في روسيا لأن هذه الثورة « الحمراء » تساند الحركات اليسارية في العالم العربي ».

لقد انضم ميشيل عفلق لصفوف الحزب الشيوعي الفرنسي خلال إقامته أيام الدراسة في باريس ، وتلقى المبادىء اليسارية بهدف رسم طريقه السياسي ــ أو المرسوم له ــ بعد عودته إلى سورية ، والترويج لهذه المبادىء وتكوين فئة من الشباب السوري غير الناضج لتأييد التيار الشيوعي والإشتراكي في فرنسا ، لأن ميشيل عفلق ارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بالحزب الشيوعي الفرنسي ، وأصبح له رؤساء يوجهونه لما يعمل في المنطقة العربية .

انجرف ميشيل عفلق مع الأفكار العلمانية الملحدة والإتجاهات « الدموية » أيام وجوده في فرنسا ، ولما أسس حزب « البعث » وجد في تلك الأفكار والإتجاهات الشاذة أساسا لمبادىء حزبه ، فكان يطالب بالثورة والإنقلاب على الحكومات الوطنية في العالم العربي وبصورة خاصة على الأنظمة الملكية العربية ، ويدعو لإقامة حكومات يسارية اشتراكية غايتها تغيير الأوضاع الإجتماعية العربية بطريق الدم والعنف وبصورة مفاجئة . وعلى هذه الأسس الدموية قامت مبادىء حزب « البعث » عندما عقد مؤتمره الأول في مدينة دمشق خلال الأسبوع الأول من شهر نيسان « إبريل » ١٩٤٧م .

لقد التقى« ميشيل » خلال دراسته في باريس بصلاح البيطار (من مواليد ١٩١٢م) وهو من أبناء دمشق ومن أسرة عريقة في حي الميدان ملتزمة بالعقيدة الإسلامية إلا أن البيطار انجرف في التيار الشيوعي ذاته الذي اختاره عفلق فجمعتهما المبادئ الاشتراكية الفرنسية . وبدأت بينهما صداقة وثيقة مدعومة بالمبادئ الغربية التي اعتنقاها .

وفي عام ١٩٣٣م عاد البيطار إلى دمشق بعد تخرجه من السوربون وعين مع ميشيل عفلق في ثانوية دمشق للتدريس حيث درَّس عفلق مادة التاريخ ودرَّس البيطار علم الفلك والفيزياء . وقد استغل كل واحد منهما أعمال التدريس للدعاية للنظام الاشتراكي العربي والقومية العلمانية بشكل فاضح ، علماً بأن البيطار من عائلة علم وفضل اذا عرفنا أن عمه هو فضيلة العالم الدمشقي الشيخ بهجت البيطار رحمه الله.

استطاع «عفلق » من خلال تدريس طلابه مادة التاريخ أن يجمع حوله بعض هؤلاء الطلاب وحدد لهم لقاءات أسبوعية في منزله بحي الميدان أيام الجمعة وكان يتحدث معهم عن أهمية الشباب الناشيء بهدف جذبهم لمبادئه الإشتراكية الشيوعية وللوقوف في وجه التيار الديني ، بهدف التنكيل بعلماء الدين الإسلامي ، وكان « عفلق » يقول لطلابه « إن الأجيال الناشئة هم الذين سيكونون العمال والفلاحين في المستقبل ».

ويضيف عفلق قائلا للطلاب : « نحن في دور الممهدين ، مهمتنا شقُّ الطريق للجيل الجديد لا تعبيدها .. مهمتنا رفع الأشواك لا زرع الرياحين .. مهمتنا زرع البذور الخالدة لا قطف الثمار اليافعة.. وهذا الجيل لن يكون إلا بانفصاله عن الجيل القديم .. إن عملنا عمل نضالي طويل يستهدف المستقبل البعيد .. إن الإسلام كان ثمرة العبقرية العربية أكثر منه وحيا من عند الله .. نحن أصحاب رسالة لا سياسة ..» .

«كان طلاب عفلق ، بل مريديه كانوا يرددون أفكار عفلق ، و«كان» يتلوها بعضهم على بعض وأطلقوا عليه « محمد ميشيل » .

وقال الدرزي الملحد نوفان قرقوط أحد أتباع عفلق : « إن عفلق كان يقول لنا : لسنا ندعي أننا أفضل من غيرنا .. ولكننا مختلفون عنهم ، وهذا الإختلاف هو الذي يجعلنا عربا ويجعلهم غير عرب ، فإذا اجتمع عدد من الشباب المثقف النشيط واتحدوا اتحاداً متيناً وخضعوا لنظام شديد وتسلسل في الدرجات .. كان ذلك وحده كافياً ليضمن تأثيرهم على الشعب .. إن القدسية التي يخلعها هؤلاء على قائدهم تكون في الواقع قدسية للفكرة التي يريدون نشرها ونصرها .. وبقدر ما تكون شخصيات التابعين للقائد قوية وذات قيمة يكون

نجوع الفكرة أكثر ونصيبها من النجاح أكبر . . إن مبادىء حزب « البعث » كتعبيرات ذهنية هي بحاجة إلى عمل طويل وإلى دراسة .. وبحث .. لكي ترتقي شيئا فشيئا .. فالتعلق بالأشخاص يظهر أن الفكرة التي اجتمع حولها الأفراد قابلة للحياة .. فالجيل الجديد يشترط أيضاً وجود نوع معين من الثقافة ، ونوع معين من المثقفين .. وعلى الجيل الجديد أن يتقدم لحمل الرسالة الخالدة مرة أخرى» .

لقد قامت حول « عفلق » ضجة من الطلاب الدمشقيين المتدينين وضجة اخرى من المشايخ والعلماء بسبب نشره المبادئ الملحدة ، وكان فضيلة الشيخ علي الطنطاوي قد وقف بحزم وشدة في وجه التيارات الملحدة التي أتى بها عفلق من الغرب ، وقد كان علماء الدين الإسلامي ورابطة العلماء في سورية يكشفون زندقة عفلق وحربه للإسلام .

والدليل القاطع على بعد حزب البعث العربي الاشتراكي عن العقيدة الإسلامية صيغة النشيد الذي وضعه مؤسس الحزب ليردّده الأعضاء صبيحة كل يوم ونصُّه :

أمنت بالبعث رباً لا شريك له   وبالعروبة ديناً ما له ثانِ

كما وضع نشيداً خاصاً لأعضاء الحزب يرددونه في المناسبات وفي الاحتفالات الحزبية ونصه :

الدهر دارت دورته   والبعث حانت ثورته

قد أسمعتنا دعوته   لبيك بعثَ العربِ

ومن خلال هذا النشيد الإلحادي الكافر كان في نظر مؤديه ، بأن «ميشيل عفلق» هو حزب «البعث » ورب «البعث» كما نص النشيد المنوه عنه ـ وأستغفر الله العظيم ـ .

وخلال فترة التدريس الذي مارسه «عفلق» في المدرسة الثانوية التي كانت تسمى مكتب عنبر ثم مدرسة التجهيز الأولى ـ الصف الأول الثانوي «العاشر» ـ كان يدرس الطلاب مادة التاريخ ، وكان عفلق يهمل الحضارة الإسلامية ودورها في تطوير المجتمع العربي والإسلامي بل الإنساني ، بينما كان يتوسع في موضوع الحضارة الأوروبية ويشيد بما وصلت إليه هذه الحضارة ودورها في المجتمعات الأوروبية ، مع شرح مستفيض عن المزايا لحضارة الغرب ، في محاولة منه لأقناع الطلاب بأن تلك الحضارة الأوروبية ، كان لها الدور الكبير في تطوير المجتمعات وتعميق الحرية التي يتمتع بها الأفراد في العالم الخارجي . وكان عفلق يعرض على طلابه صوراً عارية تماماً للرجال والنساء «حملها معه من فرنسا والعالم الأوروبي » بحجة التعريف بالحضارة الأوروبية وفنها الجمالي(!) . ولا يخفى ما في عرض هذه الصور على

الشباب من فتنة وإثارة ، وهذا ما كان يبغيه ميشيل عفلق من وراء ذلك ليضلّ الشباب المسلم في سورية ويجعله يسير في طريق الانحلال الخلقي المؤدي لإفساد المجتمعات الإسلامية المحافظة وقد كان عفلق يحمل في جيبه كتاب المستشرق الفرنسي « هنري ماسِّيه » عن « الإسلام » «L'ISLAM» من منشورات مكتبة « أرمان كولن » في باريس . ويختار منه المواد التي يدرسها للطلاب وهذا الكتاب : كتاب ضحل قليل القيمة ويعطي فكرة سطحية عامة عن الإسلام . وفي الجملة أن الكتاب في أبوابه كان خارجاً عن مألوف المسلمين ومغايراً للحقائق الفقهية أوضارباً عرض الحائط بالأسس الثابتة والراسخة لشعائر الإسلام السماوية والحِكَم الجليلة التي تنطوي عليها أحكام الدين أو الأعمال التي حققها رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية .

ولذلك فإن مما يدعو إليه حزب البعث في مجال التربية الوطنية والثقافة العمل على إنشاء جيل مؤمن بمبادئ البعث ومشبع بالتفكير العلماني ، ومتحرر من العوائق – والمقصود هنا هو التدين – الناتجة عن الأوهام والخرافات والتقاليد البالية – كما يصفها عفلق والبيطار – كما يدعو إلى إشاعة الثقافة القومية العربية «التقدمية» ، ويركز دستور حزب البعث في هذا المجال العلماني على تحقيق ذلك . ولهذا يؤكد دستور الحزب أن جميع الأهداف التي ينادي بها الحزب لا يمكن بلوغها الا بتغيير المجتمع العربي تغييراً جذرياً ، « عن طريق الانقلاب وعن طريق النضال » ولكي يصل هذا التغيير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي إلى هدفه ينبغي أن يعتمد على الجماهير الشعبية ويعبر عن إرادتها ؛ لذلك كان يركز مؤسّسا البعث على النشء الجديد لتلقينه هذه المبادئ الملحدة لتغيير الوضع العربي من أساسه .

ويتمادى ميشيل عفلق في توجهاته الشعرية الملحدة وقصصه الخيالية والسفسفات الفاجرة فيقول : « وكوني أكتب لنفسي لا يعني إني أناني لا أفكر بغيري .. وإنما أعني أنني لا أرغب أن أكتب ما يريد الغير مني ، بل ما أريده أنا لهم ومنهم » . وكانت جميع قصصه مترجمة للكاتب الشيوعي الألماني « نيتشه » وللكاتب الشيوعي الفرنسي « أندريه جيد» .

وأقدم للقارىء الكريم بعض نماذج من شعر « ميشيل عفلق » الذي يدل على ترويجه للكفر والإلحاد ، فيقول في قصيدة شعرية بعنوان « عاصفة » :

« اعصفي يارياح ! » واهزأيي بالسمـــاء
من يكن ذا جنـــاح هل يهاب الفضاء ؟

ويعتبر أكرم الحوراني الشخص الرابع في حزب البعث وهو من مواليد حماة في سورية

وقد انتسب في بادىء الأمر إلى الحزب القومي السوري ثم أسس الحزب العربي الاشتراكي ، وقد عرف عنه بأنه شخصية مزدوجة حاقدة على جميع الوطنيين مهما اختلفت ميولهم السيايسة، فهو انتهازي للفرص يعمد إلى ضرب الأعداء والخصوم حتى أقرب المقربين إليه. وكان يحرك الشارع السوري بتصريحات غوغائية لا مسوّغ لها ، ويشعل الفتن الغوغائية لارضاء شهوته السياسية كما يفعل اليسار الشيوعي الماركسي. وسعى لاجتذاب العناصر العسكرية الى صفوف حزبه ليلعب الدورالقذر في صناعة القرار السوري، وكان يدفع الطلاب الراسبين للانتساب للكليات العسكرية ليعتمد عليهم في المستقبل فكان له الأثر الواضح في تهديم الوضع السياسي.

كانت مهمة الاحزاب الشيوعية والاشتراكية والبعثية دس « السموم » في طريق التيار الإسلامي الجارف في سورية وفي العالم العربي ويبذل كل جهد في محاولة لنشر الإلحاد وجعل سورية دولة علمانية بتطبيق الأنظمة الاشتراكية اليسارية ليباح فيها ما حرمته الشريعة الإسلامية المطهرة ، وأطلق «عفلق» الشرارة الأولى للمبدأ الاشتراكي والقومية بإطار معارض للدين بعد أن أطلق شعار حزب البعث « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » ، والشعار الثاني الذي جاء بعده « وحدة – حرية – اشتراكية » ، لذلك كان يدعو الحزب إلى تأميم المشروعات الاقتصادية على اختلافها وإلى توزيع جميع الثروات الاقتصادية للوطن العربي .

* * *

الانقلابات العسكرية في العالم العربي!!

في أواخر عقد الأربعينيات من هذا القرن شهدت سورية ومصر تطوراً في انتقال السياسة من القيادات الوطنية إلى قيادات « ثورية » عن طريق الانقلابات العسكرية وتدخلها في سلطة الحكم ودعمها لعدد من الاحزاب الاشتراكية والبعث العربي ، والحديث عن مبادئ الانقلاب يمكن الربط بين التطورات السياسية التي شهدتها سورية والملابسات التي انتهت بإعلان قيام إسرائيل وتهجير الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ليحل مكانه الشعب اليهودي وأصبحت القضية الفلسطينية بمثابة مزايادات سياسية وتجارية بين رجال السياسة وبعض ضباط الجيش للتسلط على الحكم وإقصاء المخلصين للبلاد .

و حدث يوم ٣٠ آذار «مارس » ١٩٤٩م أن وقع أول انقلاب عسكري بقيادة حسني الزعيم الذي أطاح بالحكم الوطني واتضحت الصورة أمام الشعب السوري حول خلفيات انقلاب حسني الزعيم الذي كان هدفه تحقيق ثلاثة أمور كان الحكم البرلماني يعارض الموافقة عليها وهي :

١ – التوقيع على اتفاقية الهدنة مع إسرائيل ؛ فقد وقع الاتفاقية نيابة عن الحكومة السورية اللواء فوزي سلو .

٢ – التوقيع على الاتفاقية النقدية مع الحكومة الفرنسية بشأن البنك السوري .

٣ – التوقيع على اتفاقية مرور خط أنابيب البترول مع شركة التابلاين الأمريكية .

وفي يوم السبت ٢٥ حزيران « يونيو» ١٩٤٩م انتخِب حسني الزعيم لمنصب رئاسة الجمهورية دون وجود أي منافس له لهذا المنصب

وهنا أذكر حقيقة واقعة إنه في اليوم الذي استقبل فيه الرئيس المنتخب الوفود المهنئة كان يصادف اليوم الأول من شهر رمضان المبارك وبالرغم من ذلك أصدر حسني الزعيم تعليماته بعدم إثبات دخول شهر الصوم في ذلك اليوم ليتاح له استقبال تلك الوفود وبهذا أجل ثبوت رمضان لليوم التالي ليتاح للرئيس الفائز بالتزكية استقبال المهنئين بفوزه بمنصب رئاسة الجمهورية . وحكم سورية أربعة أشهر ونصف الشهر إلى أن وقع يوم ١٤ آب «أغسطس » ١٩٤٩م الانقلاب الثاني في سورية وأطاح بالزعيم وبرئيس وزرائه محسن البرازي وتم اعدامهما في سجن المزة العسكري وقاد الانقلاب الزعيم سامي الحناوي .

وفي يوم ١٩ كانون الأول « ديسمبر ١٩٤٩ » فوجئ الشعب السوري بوقوع الانقلاب

العسكري الثالث بقيادة العقيد أديب الشيشكلي (من مدينة حماة) وفي أول عرض عسكري أقامه العقيد أديب الشيشكلي في الثالث عشر من كانون الأول « ديسمبر » ١٩٥١م بمناسبة ذكرى انقلابه العسكري الذي سماه عيد سورية القومي ، أقيم العرض في شارع الجلاء بمدينة دمشق واشتركت في العرض قطعات مختلفة من تشكيلات الجيش السوري ومن مختلف الآليات وفي ذلك اليوم وقعت كارثة كبيرة خلال العرض عند مرور « الدبابات » من طراز شيرمن فوق جسر نهر بردى الذي يقسم العاصمة السورية إلى شطرين وقد انحرفت إحدى الدبابات وطالت الرصيف المكتظ بالأهالي من المتفرجين فأودت بحياة أربعين شخصاً عندما حاول قائد الدبابة تجنب الكارثة بين ذهاب وإياب فوق جماجم الأهالي ثم سقطت الدبابة في مجرى النهر .وهذه كارثة من كوارث الانقلابات العسكرية نتيجة تسلط القادة العسكريين وغطرستهم وطموحهم غير العاقل لاستلام المناصب العليا ليتقلدوها من خلال حكم طائش يفتقر لأدنى درجات الانضباط والشعور بالمسؤولية .

وفي صبيحة يوم ٢٥ شباط « فبراير » ١٩٥٤م وقع الانقلاب الرابع في سورية وأعلن العصيان المسلح على نظام الشيشكلي ، وعندما غادر الشيشكلي سورية تقررت عودة الحياة الدستورية بزعامة هاشم الأتاسي ثم انتخب الرئيس شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية.

ورغم عودة الحياة الدستورية للبلاد إلا أن ظهور جمال عبد الناصر على المسرح السياسي العربي ساعد على تحرك ضباط الجيش بتحريض من بعض السياسيين العقائديين «الثوريين » للتخلص من حكم الرئيس شكري القوتلي ، ومن الأحزاب الوطنية ، عن طريق قيام تعاون وحدوي مع مصر .

وظهر في الجيش خمسة رؤساء من الضباط وهم العقيد أمين النفوري والعقيد أحمد عبد الكريم ، والعقيد عبد الحميد السراج ، والعقيد مصطفى حمدون واللواء عفيف البزرة حملتهم خلافاتهم الحزبية على جمع كلمتهم في أمر تسليم سورية وأمورها إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر. ولولا هؤلاء الضباط الخمسة لما تمت الوحدة بين سورية ومصر .

وفي أواخر صيف عام ١٩٥٧م أصبحت سورية على شفا التمزق من حيث هي مجتمع سياسي منظم ، وفقد السوريون الثقة بمستقبل بلادهم فليس لهم كيان سياسي مستقل وأصبحت الأجهزة الأمنية في الجيش وفي الدولة تسهم في إحداث الخلل السياسي بهدف تدمير الحياة الديمقراطية ، وأضحت سورية محوراً لسلسلة أحقاد وعمليات انتقام عربية

داخلية متزايدة الشراسة والوحشية ، وأخذ ضباط الجيش يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة ، وكان رئيس الأركان العامة حين ذاك اللواء عفيف البزرة وهو « شيوعي » معروف يستهزئ برجال السياسة الوطنيين المحافظين ويتطاول على سيد القصر الجمهوري ويتمرد في تقديم الطاعة لرئيس الجمهورية المنتخب من نواب الشعب لذلك فقد الضباط تنوقهم للإصلاح ولم يفقدوا شهيتهم للسلطة للانقضاض عليها .

وقد تزامن مع بروز هذه التيارات المتنافرة بين العسكريين ورجال السياسة أن اعلنت الوحدة السورية / المصرية بقيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر وتم توحيد البلدين بصورة اندماجية تامة .

ويمكن للقارئ أن يستخلص بكل يسر وسهولة أن أقطاب البعث العفلقي / الحوراني وبخاصة الذين تسلّموا مناصب قيادية في سورية والعراق لم يكونوا في يوم من الأيام إلاّ وبالاً على المجتمع كله . إن المؤسس الأول لحزب البعث العربي ميشيل عفلق يقول في كتابه : « في سبيل البعث » : « ***إن البعث هو قدر الأمة العربية ... إن عقيدة البعث لا يمكن الوصول اليها بالعقل ولكن بالإيمان وحده ... إن القدر الذي حمّلنا رسالة البعث أعطانا الحق في أن نأمر بقوة ، ونتصرف بقسوة ، إن البعث هو الطليعة ، وعلى الجماهير أن تمشي وراءه .. الانقلابيون صورة سبّاقة لمجموع الأمة: إننا نعرف بأن هذه الفئة القليلة من الانقلابيين الذين تضمهم حركة البعث العربي ، هم قلة في الظاهر ، قلة في البدء ، ولكن صفتهم القومية الصادقة تجعلهم صورة مصغرة وسباقة لمجموع الأمة ؛ نحن نمثل مجموع الأمة ؛ الذي لا يزال غافياً ، منكراً لحقيقته ، ناسياً لهويته ، غير مطلع على حاجاته ، نحن سبقناه ، فنحن نمثّله ... فالانقلاب إذن طريق ، طريق الى الغاية المنشودة ، إلى المجتمع السليم الذي ننشده ، ولكنه ليس طريقاً من الطرق ، إنما هو الطريق الوحيد*** » .

لذلك نستخلص من أقوال مؤسس « البعث » – كما يدّعي – أن البعث حركة ... رسالة البعث غير خاضعة للعقل بل هي فعل إيمان أو اعتقاد ، وان القلة التي آمنت بالبعث هي النخبة المختارة هي أمة الانقلاب . وهذا الامتياز الايديولوجي يخوّل البعث أن يأمر ويتصرف بقوة ويحكم وينفرد بالأمر والحكم. فهذه «الفلسفة» منقولة عن الحكم الفاشي ... فالفاشية هي حكم الصفوة المختارة وعليها أن تقود الجماهير وأن تأمر بقوة وتتصرف بقسوة .

وهذا التمييز العقائدي هو أشدّ من التمييز العنصري أو الطبقي ، فالطليعة ، أو النخبة هي

فكـرة ارسـتـقراطية طبقيـة ، استبدادية ؛ لأنها تقيم نفسها طليعة وتفرض نفسها نخبة يحق لها أن تأمر وتحكم فالتمييز العقائدي يخول « أمة الانقلاب » الممتازة ، أو الحزب الانقلابي أن يفـرض حكمـاً مطلقاً على الأجسـام وعلى العقول البشرية ، وهذا شرّ أنواع الطغيـان . ومـن هنـا يبدأ الطغيـان ، ليفرض حكم الحزب العقائدي الأوحد المختار بأفكاره الهدّامة ، ويفـرض أسلوبه في الحكم ، مع استبعاد كل أسلوب يتعارض مع عقيدة الحكم ، وليسود أعضاء القيادة الحزبية ، ويسحق سائر المواطنين ، ويقتل من يقاوم ، ويشرّد مـن لا يرضخ ، ويعامل الشعب المستكين كقطيع الغنم ذلك ما نصت عليه بروتوكولات حكماء صهيون وهذا ما ينفذه البعث بقيادة صدّام حسين في العراق .

لقد عجب الناس لدعوة ترفع شعار الوحدة ، وتعمل في الوقت نفسه كل شيء لتمزيق العرب كأن «البعث» حوّل الوحدة العربية إلى إيديولوجية واعطاها مفهوماً أشبه بلغم متجدّد يتفجر فيبدّد الوحدة ويدّمر الأمة ؛ إن الشعب بنظر العقائديين « البعثيين » هو العامل والفلاح فقط أما باقي الشعب فهم من العملاء المأجورين . إن أكثرية أهل سورية والعراق من الطبقة الوسطى وهم لا يعتبرون بنظر ميشيل عفلق من طبقة العمال ولا الفلاحين.

لقد صادر « الثوريون » البعثيون حريات الناس جميعاً باستثناء أفراد لالتزامهم العقائدي المشبوه وهم يشكلون القلة الضئيلة من الناس ، الذين صادروا حريات الكثرة الكثيرة التي قدر لها أن تعيش في المجتمعات الثورية .

وبهذا المنطق الأخرق صادر البعثيون حريات سائر المواطنين ، وبالمنطق نفسه بطش الثوريون بالثوريين ، وصادر الانقلابيون حريات رفاقهم الانقلابيين ، ان المدرسة الثورية التي فرضت على بعض العرب الوحدة والحرية والاشتراكية في مبادئ « البعث » قد عطلت عليهم حريتهم في اختيار دستور حياتهم السياسية . إن الحرية هي الغاية العليا للسياسة وهي الهدف الأرفع . وليست للوحدة قيمة مطلقة ، وليست غاية في حدّ ذاتها ، إن شرط الوحدة العربية هو الاتفاق بين العرب على قيم مشتركة وعلى طريقة مرغوبة في الحياة ، وتقدم على اجتماع قلوب المواطنين وعلى اجتماع عقولهم ... لقد أسيء إلى موضوع الوحدة عندما ربطت بالنظم الثورية والانقلابات العسكرية العقائدية « المزّيفة » وعندما اتخذت الثورة طريقاً إلى الوحدة . فالأنظمة الثورية تسلك طريق الاستيلاء والمصادرة والتأميم وإخضاع الحياة الاقتصادية كلها لبيروقراطية دولة الانقلاب .

* * *

القوة « الخفية » ... وعفلق وصدّام !!

ان جـذور البـلاء فـي العالـم أجمـع كامنة في التطبيق العملي للخلق اليهودي «النوراني» التلمـودي ، ومـا حل بالعالم من ويلات وبلاء على أيدي اليهود الذين أمعنوا وما يزالون يمعنون منذ قرون مضت في تخريب الأسس التي قامت عليها الحضارات، فكان أحدث بلاء ما حل بالعالمين العربي والإسلامي في اليوم الثاني من شهر آب «أغسطس» ١٩٩٠م عندما أصدر حاكم العراق صدّام حسين أوامره باحتلال وغزو دولة الكويت وتشريد شعبها الأصيل الآمن ونهب أمواله وممتلكاته ٠

فالقوة « الخفية » لليهود أو ما يشبه اليهود بمؤامراتهم الشيطانية ، أو ما يسمون به حكومتهم « بالأفعى » السامة التي بدأ التخطيط لها بعد خراب الهيكل سنة ٧٠م ومنذ ذلك التاريخ وَالْذَنَبُ باق في فلسطين والرأس يعمل في جميع ممالك الأرض لدغاً وتخريباً٠ ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب في القدس إلا بعد تدمير العالم والتربع على أنقاضه تحت حكم يهودي يحكم العالم من القدس – كما يدّعي زعماء اليهود – إن من أهداف « المؤامرة الشيطانية » اليهودية التي تقف من خلفها « الماسونية » العالمية إنما تتيح للشر أن يطارد الحق وأن يتآمر على الشعوب في كل مكان ، لذلك فالماسونية حركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح حاخامات التلمود وخاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود العهد القديم فأخذ الحاخامات على عاتقهم بناء تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية ٠

ويقول المؤرخون إن الماسونية المشتركة قد تأسست عملياً في عام ١٧١٧م وكانت مدينة لندن المركز الرئيسي للمحافل الماسونية في العالم وأضحت الماسونية وسيلة استغلال يستخدمها اليهود لإنشاء وطنهم القومي وقد كانت تسمى «القوة الخفية».

وتحدث الدكتور عفيفي إبراهيم حسن عن تاريخ الماسونية العالمية فقال :إن أصل الماسونية بالفرنسية « فرنسما سونزي » وبالإنكليزية « فريمايسن » أي البنّاء الحر أو البنّاؤون الأحرار ، والبناء الحر يرمز الى « هيكل سليمان » وأول من أسس محفلاً ماسونياً في «القدس» هو الملك « هيروبوس أغريبا » ملك اليهودية من سنة ٣٧ إلى سنة ٤٤ بعد ميلاد المسيح».

وتدلّ الأبحاث والدراسات التاريخية التي أجريت عن تأسيس أول محفل ماسوني في «أورشليم» «القدس» أن عائلة «أغريبا» في روما والتي نشأ منها « نيرون » الطاغية هي من عائلة « أغريبا » التي حكمت اليهودية في «أورشليم » ، فاتفقت العائلات مع بعد المسافة بينهما

بخصائص جعلت « أغريبا » الرومانية تساعد عائلة « أغريبا » حكام اليهودية في «أورشليم » على معاداة اليهود ورمي الشقاق بينهم مما سبب خراب « هيكل سليمان » و«سبي بابل» إلى ما بين النهرين على يد « بنوخذ نصر » ملك آشور ، كما اتفقتا معاً على معاداة نصارى روما وإحراقها بيد « نيرون » فضلاً عن قتلهم القديس « بولص » ، وذلك بهدف القضاء على يهود الشرق الأوسط وسيطرة يهود روما «اليهود الرومانيين» ونشر جناحي النسر الروماني على المشرق والمغرب لنشر الفوضى والإباحية والطغيان وإعادة عهد الطاغية «نيرون » .

والماسونية العالمية مرتبطة بالماسونية الرمزية بطريقة خفية لا يعرفها إلا يهود الماسونية الرمزية ، ومبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها، ترمي كلها الى تقديس ما ورد في التوراة واحترام الدين اليهودي، والعمل على إعادة المملكة اليهودية في فلسطين باسم «الوطن القومي اليهودي » « إسرائيل » وإعادة بناء هيكل سليمان رمز قوميتهم في القدس مكان المسجد الأقصى مع استرداد كل الأماكن التي قام فيها موسى وبنوإسرائيل وخاصة جزيرة « سيناء» حيث الطور « الجبل » الذي صعد إليه موسى حيث كلم الله موسى . ودهاقنة اليهود يحاولون دائماً اقناع الطائفة اليهودية أن مناسك الشريعة اليهودية ستظل ناقصة ولا تستكمل إلا بعد استرداد هذه الأماكن لإقامة الشعائر اليهودية فيها كما أن غاية الفرقة «الملوكية » في الماسونية تأسيس وتوسيع دولة إسرائيل الكبرى ممتدة من فلسطين حتى تشمل الجزيرة العربية وسورية ولبنان والعراق ومصر ، ومعظم دول إفريقيا الشمالية.

إن الخلاف بين الشيوعية الدولية والصهيونية العالمية قديم جداً ومن أجل ذلك توجد حرب عقائدية خفية عنيفة بينهما لسيطرة كل منهما على الأخرى ولقد أفاق بعض حكام الدول الشيوعية الأوروبية وتكشفت لهم الرؤية واضحة. إنهم مسيرون بالفعل ولصالح الصهيونية العالمية وتأكدلهم الدورالقذر الذي قامت به الشيوعية اليهوديه لبلادهم وقادتهم الى طريق مظلم حيث الخراب والدمار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والأخلاقي والديني فثاروا على أنفسهم وثاروا على النظم الشيوعية ، وانقلبوا على الوطن الشيوعي في الاتحاد السوفياتي الأم وانفصلوا عنه ليتخلصوا من براثن الصهيونية العالمية المتخفية في ثياب الشيوعية والاشتراكية، وكانت ثورة الرئيس السوفياتي غورباتشوف على النظام الشيوعي العفن بمثابة انقاذ للشعب السوفياتي وللشعوب المجاورة التي كانت تسير بالفلك الشيوعي وإيجاد نظام جديد يساعد على تحقيق نوع من الرفاهية المحدودة إذاما قورنت مع السنوات السبعين الماضية التي عاشتها هذه الشعوب بسبب فرض النظام الشيوعي الذي قيد كل حرية في هذه الدول .

ويوغل بعض المؤرخين للحركة الماسونية في قدمها التاريخي إلى حد ربطها بكل المنظمات والأعمال السرية القديمة في أعماق التاريخ الإنساني القديم وبين بلدان وشعوب العالم المختلفة · ويشكل الوعود الكاذبة التي تكررت عشرات المرات في التوراة المحرفة منذ عهد موسى عليه السلام ، لذلك فان الماسونية العالمية هي الأم التي أتاحت لحكماء صهيون وضع البروتوكولات التي بلغت أربعة وعشرين ، هذه البروتوكولات التي أثارت أكبر ضجة في العالم منذ صدورها فقد ورد في كتاب أشعيا / الاصحاح ما نصه :

« خيوطهم لا تصير ثوبا ولا يكتسون باعمالهم ، أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم · أرجلهم الى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي ، أفكارهم أفكار إثم ، في طرقهم اغتصاب وسحق · طريق السلام لا يعرفونه وليس في مسالكهم عدل · جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة ، كل من يسير فيها لا يعرف سلاما » ·

إن الأهداف الرئيسية للماسونية « السرية » التي خططت لها « المؤامرة الشيطانية » في العالم تحت اسم الأحزاب العقائدية ، ما هي أصلاً الا حركة عمالية قامت في الظاهر للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ولتدمير الرأسمالية المستغلة أما ما تهدف إليه بالدرجة الأولى فهو كما يأتي :

١ – إلغاء كل الحكومات الوطنية في العالم ·

٢ – إلغاء مبدأ الإرث ·

٣ – إلغاء الملكية الخاصة ·

٤ – إلغاء الشعور الوطني ·

٥ – إلغاء المسكن العائلي الفردي ، والحياة العائلية ، وإلغاء فكرة كون الحياة العائلية « الخلية » التي تُبنى حولها الحضارات ·

٦ – إلغاء كل الأديان السماوية وفي مقدمتها الديانة الإسلامية تمهيداً لمحاولة إحلال العقيدة الشيطانية ذات الطابع المطلق في الحكم وفرضها على البشرية ·

وينص البروتوكول الخامس لحكماء صهيون على نوع الحكومة الذي يمكن ان يعطى للمجتمعات التي تفشّى الفساد في كل جوانبها ، وحيث تحصل الثروة بالاحتيال وبالمداهنة بوسائل هي نوع من الغش والخداع ، وسوف تقضي الأنظمة الجديدة رويداً رويداً على كل الامتيازات والحرية الممنوحة من قبل « الجوييم » أي جمهرة الشعوب وإفساد الرأي العام وذلك عن طريق السيطرة على الأفكار العامة وسوقها وجهة محيرة مرتبكة ، وذلك بطرق

أفكار كثيرة متناقضة حتى يضل « الجوييم » طريقهم في هذا التيه وأيضاً في مضاعفة الأخطاء والأهواء والقوانين الوضعية حتى يضيع المرء في متاهاتها ولا يستطيع الناس ان يتفاهموا فيما بينهم ، وهذه الحالة تساعد على بذر بذور الشقاق بين كل الأحزاب وتفتيت كل القوى الجَماعية التي لم تزل تأبى الخضوع للنورانيين • فكانت فلسطين الضحية الأولى في المؤامرة الشيطانية ... وإقامة الوطن اليهودي على أرضها العربية وربط ذلك بوعد بلفور «المشؤوم » الذي أعلن بدعم كبير من الحكومة البريطانية وبتأييد مطلق من الاتحاد السوفياتي ثم الولايات المتحدة •

إن ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية قد مهّد لقيام دولة إسرائيل عندما زار فلسطين في شهر آذار – مارس – عام ١٩٢١م وقد أعلن خلال هذه الزيارة عن صهيونيته وأنه مع تحقيق وعد بلفور ؛ فقد قابل وفداً يمثل القادة العرب والمسلمين في فلسطين وعرض الوفد على تشرشل خشيتهم من الهدف الذي تخطط له السياسة الصهيونية بقصد الاستيلاء على فلسطين واستغلال أراضيها لمصلحة اليهود ، وبيّن الوفد الحقائق التاريخية للشعب العربي الفلسطيني على أرضه مؤكداً ان العرب يعيشون في تلك الأرض منذ الأزل ، وطلبوا استخدام نفوذه لرفع الظلم ، وقد نقل عنه بأن أجاب على طلبهم بقوله : « أنتم تطلبون مني أن أتخلى عن وعد بلفور ، وأن اوقف الهجرة اليهودية ، وهذا ليس في طاقتي كما أنني لا أرغب فيه ... ونحن ننوي تحقيق هذا الوعد » •« أنا صهيوني وقد عملت من أجل تقدم الصهيونية » وقد كان تقيد تشرشل بالوعد تقيداً قوياً .

إن الرئيس الأمريكي جورج واشنطن عندما تقلد منصب الرئاسة الأمريكية نبه الأمريكيين محذراً من خطر اليهود فقال : « ... ومن المؤسف أن الدولة لم تطهر أراضيها من هؤلاء الحشرات رغم علمها ومعرفتها بحقيقتهم، إن اليهود هم أعداء سعادة أمريكا ومفسدو هنائها »

إن معظم أنواع الصراع العقائدي التاريخي أو الصراع القومي بين كثير من الأمم يرتكز على الحقد التاريخي القديم والمطاردة والتشهير والعدوان الذي قامت به القوى الصهيونية في العصر الحديث ضد الإسلام والمسلمين .

وتحدث « وليام غاي كار » ضابط المخابرات الكندية في كتابه «أحجار على رقعة الشطرنج» عن المؤامرة الشيطانية فقال : (كانت الحكومة الألمانية في بافاريا قد وضعت في عام ١٧٨٤م تحت يدها براهين قاطعة على وجود) المؤامرة «الشيطانية» المستمرة الذي أعدها الأستاذ الشيوعي «آدم وايزهاويت» للقانون في جامعة انغولد شتات الذي ترك في عام

١٧٧٠م ديانته النصرانية ليعتنق المذهب اليهودي «النوراني» الشيطاني، وقد استأجره المرابون «الصهاينة» الذين أسسوا مؤسسة روتشيلد لمراجعة وإعادة تنظيم بروتوكولات حكماء صهيون القديمة ووضعها على أسس حديثة حيث تهدف البروتوكولات لإعداد نظام جديد لكنيس الشيطان للسيطرة على العالم . ثم يجري تدبير « حادث » في كل فترة يكون من شأنه أن تنقضّ هذه المعسكرات المتصارعة بعضها على بعض فتضعف نفسها محطمة الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية .

ويقضي مخطط الحرب العالمية الثالثة أن تنشب (أي الحرب) نتيجة للنزاع الذي يثيره «النورانيون » بين الصهيونية السياسية وبين قادة العالم الإسلامي . وبأن توجه هذه الحرب وتدار بحيث يقوم الإسلام « العالم العربي والمسلمون » والصهيونية « دولة إسرائيل» بتدمير بعضهما البعض وفي الوقت ذاته تقوم الشعوب الأخرى التي تجد نفسها منقسمة أيضاً حول هذا الصراع تقوم بقتال بعضها البعض حتى تصل إلى حالة من الإعياء المطلق الجسماني ، والعقلي والروحي والاقتصادي ، وهذا بالفعل ما كان يسعى اليه صدّام حسين من مؤامرته على الخليج حيث كان يهدّد دوماً في حال أي تدخل خارجي في الكويت من وقوع حرب عالمية ثالثة في العالم . لذلك فان مؤامرة حاكم العراق « تلميذ ميشيل عفلق » إنما تلتقي في مخطط واحد منسّق هدفه الوصول إلى هذا الهدف الشيطاني ! .

إن مكتنزي المال وهم اكثرهم من اليهود العالميين قد استعملوا الذهب اليهودي أداة للعمل يبتغون بواسطته الوصول إلى تحقيق مخططهم الرامي إلى إقامة دولة إلحادية العقيدة تقوم على الديكتاتورية الشاملة . وقد اعترف بذلك لينين بوضوح في كتابه «شيوعية الجناح اليساري » إذ يقول في الصفحة ٥٣ منه : « إن نظريتنا – الشيوعية – ليست مذهباً عقائدياً بل هي أداة للعمل » .

إن مؤسسة مابلوبا« روتشيلد » العالمية في سويسرا وهي مؤسسة صهيونية عالمية كانت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية الممول الرئيسي لعمليات «المؤامرة الشيطانية» الماسونية «السرية » ولكن بعد ذلك التاريخ أصبحت مؤسسة روكفلر هي الممولة للمؤامرة بعد أن نقل كيان النظام الشيطاني مركز قيادتهم إلى نيويورك في مبنى هارولد برات كما أوضح كتاب احجار على رقعة الشطرنج وكان لمؤسسة روتشيلد دور في وضع المخطط العام « للمؤامرة الشيطانية» وهي خطة العمل للسيطرة على الثروات والموارد الطبيعية واليد العاملة في العالم حيث قال روتشيلد في مؤتمر زعماء الماسونية: « ***بما أن أكثرية الناس تميل***

الى الشر أكثر من ميلها الى الخير فإن الوسيلة المثلى للحصول على أطيب النتائج في الحكم هي استعمال العنف والإرهاب وليس استعمال النقاشات العلمية الهادئة • فالناس يخضعون للقوة العمياء المعروفة بالقانون ، والقانون ما هو إلا القوة المقنعة ، وان قوانين الطبيعة تقضي بأن الحق هو القوة.

إن فلسفة حكماء صهيون تؤكد أن صاحب الحق هو الذي يملك القوة الكافية لتدمير كل المؤسسات ، وكل نظام قائم ، ويسيطر على القانون ويغير كل المؤسسات ويصبح حاكماً على أولئك الذين تنازلوا لمصلحة الصهيونية ، بملء إرادتهم وبليبرالية ، عن الحقوق التي كانت لهم ، فهو صاحب حق •

ويقول البروتوكول الأول لحكماء صهيون « إن الحق للقوة ... قوة الذهب اليهودي ... فرق لكي تحكم » : « إن أفضل طريقة للحكم هي العنف والإرهاب وليس النقاش الأكاديمي إن الحاكم المستبد وحده يستطيع أن يرسم مخططات بسيطة واضحة قادرة على تنسيق جميع أفراد الآلة الحكومية ، ومن هذا يبدو أن أفضل حكومة نافعة للبلاد يجب أن تكون متمركزة بين يدي شخص واحد مسؤول » • لذلك فإن أول ما ترمي إليه بروتوكولات حكماء صهيون هو زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة العربية ، ومن أهدافها البعيدة في أن تكون هذه البروتوكولات حافزاً لنهضة صهيونية عالمية وإقامة الدولة « اليهودية » ووسيلة لتخويف غير اليهود •

لقد نفت البروتوكولات الصهيونية كل علاقة بين السياسة وبين الأخلاق وأكدت أن الحكومة التي تحكم بالأخلاق ليست حكومة رجال خبرة سياسية ، وبالتالي ليست مكينة في مقاعدها ، وقد ذكرت بروتوكولات حكماء صهيون في مبدئهم الأول ما يأتي :« ***إن الذي يريد أن يحكم عليه أن يعتمد على الخداع والمكر ، وإن الاستقامة والصراحة ، تصبحان نقيصتين في السياسة ، لأنهما أشد فتكاً في الكيان الحكومي من أقوى الأعداء »*** •

إن المثل الشعبي المعروف يقول : « إن أعداء الشعب يشبهون الأفاعي فإذا سحقت الرأس ماتت الأفعى » وقال السيد المسيح عليه السلام عندما خاطب اليهود : « يا أولاد الأفاعي ، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ؟ » . « من كتاب جذور البلاء تأليف عبدالله التل ص٢٦٦ ».

لقد ظهرت في العقدين الثالث والرابع من القرن الحالي مبادئ وأفكار هدامة جلبها إلى

المنطقة دعاة القومية العربية الذين انتشروا في العالم العربي وهم عملاء الماسونية «السرية» وليس من المستبعد أن يكون هؤلاء من أصل يهودي نشرتهم الصهيونية العالمية في هذا الموقع الاستراتيجي وانطلقت شرارة مبادئهم الهدامة من سورية في العقد الرابع بزعامة ميشيل عفلق وهو رأس الأفعى في العالم العربي الذي كان يعمل لتحقيق المخططات «السرية» للماسونية العالمية لقد كان « عفلق » الأستاذ الكبير للماسونية التي هيأت تلاميذها في الدول العربية من أجل العمل للمبادئ الصهيونية ولمخططاتها الجهنمية . واستطاع عفلق إدخالَ سورية في صراعات سياسية طاحنة .

إن نظام حزب « البعث » بقيادة عفلق قد تحول في سورية إلى نظام إرهابي . وبما أن مخطط عفلق لم ينجح في سورية بعد اكتشاف أهدافه طرد من سورية دون رجعة ولذلك ركز جهوده لتنفيذ مخططه الإجرامي في العراق الذي أصبح ألعوبة بيد عفلق وحاكم العراق صدّام حسين التكريتي . ولذلك ليس من المستغرب كما ذكرنا أن يكون عفلق وتلميذه صدّام حسين أعضاء في المحافل الماسونية منذ نشأتهما السياسية .

لقد هيأت لهذه الأحداث الدموية الحركات الفكرية العقائدية وجمعيات سياسية علمانية ملحدة ، هذه الأحداث التي شهدتها المنطقة الخليجية باتجاه يؤكد مضمون الرسالة التي اخبر عنها الجنرال الأمريكي « ألبيرت بابك » والهادفة لإثارة الاضطرابات في العالم التي تحركها القوى الروحية والفكرية « الصهيونية » في الظلام ، وتسيطر على معظم هؤلاء الذين يشغلون المراكز العليا في العالم بأسره .

إن ما جرى في منطقة الخليج من تهديدات صدرت من حاكم العراق كادت أن تفضي إلى وقوع حرب عالمية لا تبقي ولا تذر على نحو لا يعلم مداه إلا الله . فقد تجمعت في المنطقة جيوش عالمية تمثل حوالي ٥٤ دولة إسلامية وعربية وعالمية تمتلك أحدث الأسلحة المتطورة التي لم يعرف التاريخ العسكري مثيلاً لها من قبل ، فقد قدر عدد الجيوش بأكثر من سبعمائة وخمسين ألف جندي تمثل جميع الأمم ويقابل هذا العدد أكثر من مليون جندي عراقي يقفون في الجانب الآخر مدافعين عن مؤامرة حاكم العراق. التي نفذها في أهم بقعة في العالم باعتبار أن هذه المنطقة تدفن تحت ترابها أضخم مخزون نفطي، يحتاج إليه الاقتصاد العالمي، وكان مخطط صدّام حسين يهدف أيضا إلى السيطرة على مخزون النفط والتحكم بمقدراته في سبيل تحقيق اهداف وأطماع الصهيونية العالمية، ولكن مشيئة الله تعالى قد خيبت أمل صدّام وحزبه وأبطلت مخططاته وحافظت على المنطقة وشعوبها وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية التي تقوم مبادئها وأنظمتها على الشريعة الإسلامية السمحة فانتصر العالم الإسلامي في وجه

الطغيان البعثي العراقي ودَمَّر جيش العراق الذي طغى وعربد وأكثر في الأرض الفساد بتوجيه من قيادته الملحدة .

وبالصراحة « المزيفة » أعلن عفلق لأول مرة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية أن حزب البعث ينطلق في مبادئه منسلخاً انسلاخاً تاماً عن الدين حتى إن كلمة الدين لم ترد ضمن الدستور كله فقد نصت المادة الخامسة عشرة من دستور « الحزب » على ما يأتي : ***الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين ، وانصهارهم في بوتقة واحدة ، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والاقليمية*** . إن دستور حزب البعث صدر عام ١٩٤٧م ولكن عفلق أخذ في ندواته الحزبية في الخمسينيات يتحدث عن دولة البعث وعن فكرة تكوينها وإقامتها في المنطقة العربية . إن مبدأ العلمنة والإلحاد الذي شرع عفلق بتنفيذه في العالم العربي إنما هو ينسجم مع بروتوكولات حكماء صهيون التي جاء فيها : « ***عندما نغدو سادة لن نترك ديناً قائماً غير ديننا القائل بالإله الواحد الذي يرتبط به مصيرنا لأننا نحن شعب الله المختار ، وبنا ارتبط مصير العالم ، ولذا يجب أن نقضي على كل الأديان ، فاذا نشأ عن ذلك وجود ملحدين عصريين فانهم سيكونون عناصر انتقالية ، وهذا لن يضر مخططنا لانهم سيكونون مثالاً للأجيال التي ستعتنق تعاليم دين موسى ، الذي بفضل قوته وعقلانيته يجب أن ينتهي بنا الى التسلط على العالم كله .وسنفرض أيضاً الحقيقة الصوفية لتعاليم الماسونية التي تؤكد أنها أساس كل قوة تربوية . وفي كل مناسبة سننشر مقالات نقارن بها بين قوانيننا الخيرة وبين قوانين الماضي ، وإن نعيم السلام ، الذي هو حصيلة قرون من الاضطرابات ، سيظهر الصورة الخيرة لسيطرتنا*** » .

ونصت المادة السادسة من دستور « البعث » على ما يأتي : « ***أن حزب البعث انقلابي يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الانقلاب والنضال . وأن الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالإصلاح الجزئي يهددان هذه الأهداف بالفشل والضياع لذلك يقرر النضال لتحرير الوطن العربي تحريراً مطلقاً ، والنضال لجمع شمل العرب كلهم في دولة مستقلة واحدة والانقلاب على الواقع الفاسد انقلاباً يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية***

والاجتماعية والسياسية » .

لذلك كانت أطماع صدّام حسين التكريتي في منطقة الخليج العربي وفق أهداف مؤسس البعث ميشيل عفلق أن يسيطر على منطقة الخليج ثم ينتقل الى سورية والأردن ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وبذلك يربط المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي .

هذه هي أبرز مبادئ دستور عفلق وكلها تتعارض مع الدين الإسلامي كما أن تلك المبادئ تنسجم بل تتطابق مع ما تسعى إليه الماسونية « السرية » .

لذلك أعود لأوضح : أن الإسلام ، هو رسالة للعالم أجمع وليس رسالة لشعب خاص ولا لبلد خاص ولا لأمة خاصة ، ومن الفضائل الكبيرة التي نصت عليها الشريعة السماوية ، تحريم الاعتداء أو النيل من النفس أو المال أو العرض أو العقل . قال الله تعالى : « ولكن الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون » . «فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم » سورة الحجرات ، الآيتان : (٧ و ٨).

لذلك يمكن القول إن الاشتراكيات العربية « الثورية » التي ابتدعها قادة الأحزاب العقائدية نقلاً عن مبادئ كارل ماركس والمبادئ التي نصت عليها الماسونية العالمية« السرية» وبروتوكولات حكماء صهيون التي فرضت تطبيق الاشتراكية على العالم العربي والإسلامي ما هي إلا إرهاصات وعمليات تخريبية بعيدة الأهداف والغايات في عالمنا العربي والإسلامي . لهذا كان من الطبيعي أن تُرفض القوانين والمبادئ الاشتراكية رفضا قاطعاً مهما تسترت بشعارات العدل أو تنويب الطبقات عدا طبقة العمال والفلاحين .

إن الثورة الاشتراكية غايتها تغيير كل الأوضاع الاجتماعية ... القضاء على أنظمة المجتمع ... القضاء على الفضائل والأخلاق ... القضاء على الأفكار السليمة التي يتمتع بها كل انسان ، وأن يكون التغيير بطريق العنف والدم وبصورة مفاجئة وبذلك يمكن القضاء على كل الامتيازات التي كان يملكها المجتمع ونقل ملكيات هذه الامتيازات لأعضاء الحزب ليستمتعوا بها وحدهم وفي سبيل البقاء في الحكم والتنعم بالمنافع التي صارت إليهم بحكم زوال سواهم فإنهم ينادون بدوام الثورة واستمرارها .

ونقول في هذا المجال ؛ إن التجربة الروسية « الماركسية»لم تحقق في السنوات الطويلة التي استمرت أكثر من سبعين سنة الرخاء ولا الحرية ولا المساواة بين أبناء الشعب السوفياتي لذلك تراجعت هذه الثورة في عهد الرئيس ميخائيل غورباتشوف عن مبادئ « كارل ماركس » بعد أن ثبت عليها أنها تقود إلى الفقر والجوع والهلاك .

وتأسيساً على ذلك فان مبادىء الأحزاب الاشتراكية ما هي إلا خداع وتضليل وطريق للخراب والدمار وإفقار المواطنين ، لأن ما يهدفون إليه أن تعود المنافع الاقتصادية على الفئة القليلة التي تتسلط على الحكم ، وأن يساق الشعب الأعزل بالقوة والعنف والإرهاب سوق الحيوانات والبهائم ، دون النظر إلى كرامة الإنسان من حيث هو إنسان ولا مراعاة حريته وإبداعه في الإنتاج.

إن جميع الاشتراكيات في العالم العربي فُرضت بقوة الجيش لأنها جاءت بالقوة والعنف على إثر انقلابات عسكرية ، ومصدر هذه المبادئ الاشتراكية مهما حاولوا تغيير مسمياتها هو «الماركسية »وليس لصفتها الثورية ، تأييد شعبي إلا من فئة المنتفعين والأنصار وهم قلائل بالنسبة لمجموع السكان ، لقد عملت الاشتراكيات العربية على تصفية البورجوازية والرأسمالية حتى الصغيرة منها بعد أن وسمتهم الأنظمة الديكتاتورية باطلاً بالرجعية وعملاء الاستعمار ، ، كأن هؤلاء ليسوا من الشعب ، وكأن الشعب مصدره العمال والفلاحون وحدهم. لقد صادرت الاشتراكيات العربية أموال الناس ، واستولت على أراضيهم ، ومصانعهم، ومعاملهم ، وعلى أسهمهم في الشركات الوطنية المساهمة ، ولم ينج من ذلك حتى الفقراء حملة الأسهم القليلة من النساء والأرامل والأيتام ، الذين كانوا يعتمدون على أرباح أسهمهم للعيش المتواضع في هذه الحياة ولم تستطع الاشتراكيات العربية أن تدفع بالفقراء الى أعلى بل جعلت الأغنياء ومتوسطي الحال في مستوى الفقراء وبذلك تحققت المساواة في الفقر والبؤس لدى الشعوب ولم ينج من هذا التأميم إلا الطبقات الجديدة التي أوجدتها الثورات وهي الفئة الحاكمة ورجال الحزب وأفراد الجيش . وقد تهدمت الزعامات العربية التي كافحت وناضلت خلال عهود الانتدابات وأخذت الثورات الاشتراكية تطعن بهذه الزعامات وتشوّه سمعتها وتلصق بها الأباطيل وتصورها بصورة الزعامات الناقصة أو الخائنة التي تخدم مصالح الاستعمار . ففقد الناس معنى الراحة والهناء وأصبحوا في قلق دائم . ولقد زادت الاشتراكيات العربية «الثورية » في أزمة البطالة، فحملت العمال على الهجرة إلى بلاد مجاورة أو بعيدة لتحاشي شغبهم أو للتخلص من أزمات اقتصادية في البلاد

وبتحليل الطروحات التي عرضها عفلق في دستور حزب البعث بالنسبة لاشتراكية الحزب نؤكد بأن الحزب منذ الساعات الأولى لاستلامه مقاليد السلطة سواء في سورية أو العراق فقد أصدر قرارات العزل المدني للسياسيين الوطنيين وصادر أموالهم المنقولة وغير المنقولة وشرّدهم من الوطن بعد ملاحقتهم بموجب قانون الأحكام العرفية كما أصدر قرارات تقضي بتأميم الشركات والمؤسسات الوطنية حيث شمل التأميم أصحاب الصناعات الصغيرة واليسيرة التي لا

تحتاج لرأسمال كبير باعتبارها في عداد العمل اليومي الذي يقوم بتنفيذه صاحب المصنع . كما صادر حزب عفلق والحوراني الأراضي الزراعية من أصحابها الطبيعيين الملاّك كما شملت قرارات العزل المدني عدداً كبيراً من رجال المال والأعمال والاقتصاد وذلك بهدف إذلالهم باعتبارهم كانوا شرفاء وكانت لهم إسهامات فعّالة في تطوير المجتمع السوري والعربي بشكل عام .

فالعقيدة العفلقية / الصدّامية توضح لأعضائها « لكي تثبت في هذا النظام أنك بعثي عقائدي عليك أن تؤيد وتصفق بحماسة لكل ما يقوم به البعث وما قد تقوم به القيادة القومية لحزب البعث من أعمال الاعتقال والمحاكمات والتصفيات الجسدية ، وأن ترى فيها مثالاً للعدالة والإنصاف ، ثم تصفق بحماسة مماثلة لكل حكم بالإعدام لأي شخص كان حتى ولو كان والدك أو أخاك أو صديقك أو أقرب المقربين إليك . ونشير في هذا المجال الى ما يعتمده قادة الماسونية « السرية » بشأن الحرية السياسية فقد قال روتشيلد : ***« إن الحرية السياسية ليست إلا فكرة مجردة ولن تكون حقيقة واقعة. ويستنتج من ذلك أن كل ما يقتضيه الوصول إلى السلطان السياسي هو أن يبشر شخص ما أوهيئة ما بالتحرر السياسي بين الجماهير حتى إذا أمنت هذه الجماهير بتلك الفكرة المجردة قبلت أن تتنازل عن بعض امتيازاتها وحقوقها دفاعاً عن تلك الفكرة، ويستطيع المتآمرون آنئذ أن يستولوا على هذه الامتيازات والحقوق».***

وأكد روتشيلد « ان سلطة الذهب قد تمكنت من انتزاع مقاليد الحكم من الحكام الأحرار .. وان الدين كان هو المسيطر على المجتمع ذات يوم . ثم لما استعيض عن الدين بالحرية أضحى الناس لا يعرفون كيف يستعملون هذه الحرية باعتدال » .

وقد نصح روتشيلد زعماء الماسونية « السرية » بضرورة الترويج لاستعمال المشروبات « الكحولية » والمخدرات والفساد الأخلاقي وكل أنواع الرذائل لإفساد الشبيبة الصاعدة لدى الأمم المختلفة .

وفي مجال ثقافة المجتمع فإن الأحزاب الملحدة ودستور « البعث » ***قد نصّ على أن يتولى الحزب (العمل) في سبيل إيجاد ثقافة عامة للوطن العربي قومية عربية حرة تقدمية شاملة عميقة ، وإنسانية في مراميها، وتعميمها في جميع أوساط الشعب وأن سياسية الحزب التربويه ترمي إلى خلق جيل عربي***

جديد مؤمن « بمبادئ البعث » طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية -كما يصفها الحزب - مشبع بروح التفاؤل والنضال والتضامن مع مواطنيه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدم الإنسانية - كما يتصور عفلق - وذلك عن طريق طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية والعمرانية والفنية بطابع قومي عربي .

ويؤكد دستور« البعث » أن مهمة التعليم تنحصر أصلاً في القومية العربية التي هي كما يقول عفلق : « إرادة الشعب العربي أن يتحرر ويتوحد وأن تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ . ولا تعني الشخصية العربية إلا الشخصية الجاهلية ، لأنها هي الشخصية التي لا يحكمها الإسلام و للتلاميذ أن يجتمعوا هم وأهلهم في الكليات كما لو كانوا في النوادي ، ويلقي الأساتذة محاضرات وخطباً ، كأنها غير متحيزة ، حول القضايا المتعلقة بصلات الناس بعضهم ببعض » . « إننا نعلم بعد تجربة عدة قرون أن الناس يعيشون بالأفكار ، وينقادون إليها ، ويرضعونها بالتعلم ، ومهما اختلفت الطرق فانها كلها تجدالنجاح ذاته » .

وفي مجال العناية بالشباب وأهميته في المؤامرة « الشيطانية » الماسونية والتي حاولت الأحزاب العقائدية الاشتراكية تعميمها في المجتمعات العربية فقد أشار المموّل الصهيوني روتشيلد أمام اقطاب الماسونية إلى أهمية دور الشباب فقال : « وكان من الأمور البالغة الأهمية أن تتم السيطرة على عنصر الشباب ، وأن يقوم العملاء بالتسلل إلى كل طبقات الشعب ومستويات المجتمع والحكومة بهدف خداع عقول الشباب وإفسادها عن طريق تلقينهم النظريات الخاطئة . وإحلال الحكم الكيفي محل القانون ، و سنعمل على تأسيس منظمات على درجة من القوة والإرهاب تجعل أكثر القلوب بسالة ترتجف أمامها تلك هي منظمات الشبكات الخفية تحت الأرض » .

وكانت الكارثة المفجعة التي أصابت العالم الإسلامي في الصميم عندما استشهد قائد مسيرة التضامن الإسلامي الملك فيصل بن عبد العزيز رحمة الله عليه يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول ١٣٩٥ هـ ٢٥ آذار « مارس » ١٩٧٥م والمعروف أن الملك فيصل رحمه الله كان أقدم وزير للخارجية في العالم حيث عيّنه والده مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز قبل سنة وزيراً للخارجية، لذلك ما من زعيم عربي في موضع المسؤولية رافق القضايا العربية

وفي مقدمتها القضية الفلسطينية في كل مراحلها ومنذ البداية كما عاشها رحمه الله، منذ عهد بلفور سكرتير الدولة البريطانية الذي أصدر وعده المشؤوم في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني نوفمبر ١٩١٧ م ، وكان الملك الراحل يتمنى على القادة العرب أن يستمر التعاون العربي إلى أبعد الحدود ، داعياً إلى البعد عن التفرقة التي ستضر بالأمة العربية وتخدم في الوقت نفسه العدو الصهيوني

لقد ذهب الملك فيصل الشهيد ضحية مؤامرة خبيثة خطط لها عملاء الصهيونية العالمية والماسونية « السرية » بسبب موقف الملك الشهيد المتشدد من القضية الفلسطينية المساند للشعب الفلسطيني المؤيد لحقوقهم المشروعة ، المطالب بصورة مستمرة في أن يتاح له الصلاة في المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ٠ لقد تمكن الملك فيصل بعد جريمة الاعتداء الإسرائيلي الآثم لإحراق المسجد الأقصى ــ يوم ٢٣ صفر ١٣٨٩ هـ الموافق ٢١آب «أغسطس » ١٩٦٩م ــ من جمع العالم الإسلامي تحت مظلة المؤتمر الإسلامي التي رعاها رحمة الله عليه ، كما استطاع في منتصف الستينيات إقناع العديد من الدول الإفريقية في أن تقطع علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل ، وكان حاول أيضاً وقبل تاريخ استشهاده بأسبوع واحد التمهيد لعقد مؤتمر قمة عربية / إفريقية على اعتبار أن مصير القارة الأفريقية مرتبط ارتباطاً عضوياً بمصير العالم العربي والإسلامي ٠ وكان الملك فيصل قد وافق في مطلع السبعينيات من هذا القرن وبناء على الرغبة التي أبداها بعض رجال القانون والفكر النصراني في أوروبا على أجراء حوار مع فريق من كبار علماء المملكة العربية السعودية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام ، إلا أن المنظمات الصهيونية عارضت الحوار بين الديانتين وبذلت كل جهد لئلا يتحقق هذا التقارب لأن نتائجة ستكشف فضائح ومؤامرات المنظمات اليهودية الصهيونية المعادية للإسلام ٠ وبدأ هذا الحوار في مدينة الرياض يوم ٧ صفر ١٣٩٢ هـ الموافق ٢٢ آذار « مارس » ١٩٧٢م حيث نظمت وزارة العدل ثلاث ندوات استوضح خلالها الوفد الأوروبي عن بعض الأمور التي نصت عليها الشريعة الإسلامية ومفهوم الدين في الإسلام ولدى غير المسلمين ، وقد أجاب الوفد العلمي السعودي عن كل الأسئلة والملحوظات المطروحة من الوفد المسيحي ٠

وقد استؤنف الحوار الإسلامي النصراني في ٢٣ تشرين الأول «أكتوبر» ١٩٧٤م في ندوة عقدت في باريس حول مصادر الشريعة الإسلامية ثم عقدت ندوة في ٢٥ تشرين الأول «أكتوبر» ١٩٧٤م في مقر الفاتيكان تلبية لدعوة رسمية من بابا الفاتيكان الكاثوليكي بولس السادس وتناولت حقوق الإنسان الثقافية في الإسلام وفي يوم ٢٩ تشرين الأول

«أكتوبر» عقدت ندوة مجلس الكنائس العالمي حول نظرة الإسلام إلى الإنسان وتطلع الإنسان إلى السلام وفي الثاني من تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٧٤م عقدت ندوة ثانية في باريس عن مجمل حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وتطبيقها في المملكة العربية السعودية ووضع المرأة في الإسلام وفي الرابع من تشرين الثاني «نوفمبر» عقدت ندوة المجلس الأوروبي حول حقوق الإنسان ووحدة الأسرة البشرية في الإسلام .

وقد كان لهذه الندوات نتائج ملموسة لدى بابا الفاتيكان وفريق رجال القانون والفكر المسيحي بعد أن تفهمت الأطراف المسيحية المعنية حقيقة الأهداف النبيلة التي يحتويها الدين الإسلامي ، واتفق على ضرورة استئناف مثل هذا الحوار لما فيه مصلحة الديانتين الإسلامية والمسيحية ، ولكن هذا الحوار قد أثار حقد وضغينة أعضاء المنظمات اليهودية في أوروبا والولايات المتحدة على اعتبار أن مثل هذا الحوار قد قرب وجهات النظر بين رجال الدين الإسلامي والمسيحي وتوضحت حقيقة الإسلام ومبادئه التي نص عليها القرآن الكريم المنّزل من السماء ، ولم يمض إلا أقل من أربعة شهور على نهاية هذه الندوات حتى تمت عملية استشهاد الملك فيصل رحمة الله عليه . وبعد مدة مماثلة توفي البابا بولس السادس في مقره بالفاتيكان في ظروف غامضة لم يكشف النقاب عنها .

وهذا ما يؤكد أن جذور البلاء في العالم أجمع كامنة في التطبيق العملي للخلق اليهودي ، ولذلك فإن على عقلاء اليهود أن يدركوا أن زعماءهم هؤلاء هم وحدهم المسؤولون عن كل ما حل بهم من كوارث في تاريخهم الحافل بالمنازعات وقد قال النبي موسى عليه السلام في اليهود :« أنا أعرف تمردكم وقلوبكم الصلبة ، انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم ، ويصيبكم الشر في آخر الأيام » . «كتاب أحجار على رقعة الشطرنج «الترجمة الكاملة» ص: «٣٥٧» دار النفائس بيروت».

ومما لا شك فيه أن الصراعات العسكرية والمدنية في داخل «البعث » في عقد الستينيات في سورية وفي عهد صدّام حسين في العراق وبين القيادتين القومية والقطرية في أواخر الستينيات وحتى الآن أظهرت بوضوح وجلاء العواقب الوخيمة للمؤامرات والصراعات الداخلية التي أضحت وسيلة لبلوغ القيادات العسكرية السلطة في البلاد .

لقد لعبت الماسونية « السرية » دوراً قذراً في العالم منذ نشأتها عبر القرون الماضية ؛ فقد كانت تخطط لتهديم كيان العالم ودوله وشعوبه لتحقيق أهدافها في قيام « المؤامرة الشيطانية» التي تسعى إليها وكان للماسونية دور كبير بالنسبة لبعض أنظمة العالم العربي فقد أسهمت على نحو ظاهر أو خفي لإحداث تبديل للحكومات الوطنيه وتحويلها إلى حكومات ثورية

تسير في فلك« المؤامرة الشيطانية »وبإرادتها، وفي تلك الأدوار المشبوهة قصة التآمر الذي استهدف إنهاء الدولة العثمانية التي استمرت حوالي خمسة قرون قوةً كبرى تحكم بالعقيدة الإسلامية .

فقد قال السير مارك سايكس الشهير ممثل بريطانيا في اتفاقية سايكس / بيكو التي وُقِّعت بين بريطانيا وفرنسا في أعقاب الحرب العالمية الأولى : « كان هدف الاجتماع الذي عقد من أجلها الدوافع الخفية لهذه الاتفاقية التي غيرت مصير الأمة العربية » .

ولا بد من الإشارة في هذا المجال إلى الدور الخسيس الذي قامت به الماسونية السرية العالمية ورديفتها الصهيونية العالمية بالتعاون والتآمر مع بعض الدول الغربية والاتحاد السوفياتي في العقد الثاني من القرن الحالي ، فقد استطاعت أن تنشئ جمعية الاتحاد والترقي في المنطقة الإسلامية وتتعاون مع زعماء الجمعية لإحداث القلاقل للدولة العثمانية لشَغْلها بقضايا جانبية لكي لا تسهم بأية وسيلة للحيلولة دون إقامة وطن قومي يهودي في الأرض المقدسة فلسطين العربية ، بعد ممارسة الكثير من الضغوط على الخليفة الإسلامي السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد ، إلا أن السلطان العثماني رفض كل عمليات الابتزاز المجحف بحق الأمة العربية والإسلامية وأخيرا اضطر إلى ما ليس منه بد وهو التخلي عن منصبه في الدولة العثمانية فقدّم استقالته ، وكان ذلك إيذاناً بانهيار الدولة العثمانية شيئاً فشيئاً . وهذا ما يثبُت من الوثيقة التاريخية التي رفعها السلطان عبد الحميد إلى شيخ الطريقة «الصوفية » الشيخ محمود أبي الشامات وهي تكشف حقيقة المؤامرة الماسونية على الدين الإسلامي . رَ : « نص الوثيقة في مكان الوثائق من هذا الكتاب ».

وبهذه المناسبة أسجل أيضاً الفتوى التي أصدرها فضيلة الإمام الشيخ رشيد رضا عن أهداف ومبادئ الماسونية الخطيرة التي كانت أصل البلاء في عالمنا العربي والإسلامي وهي تدل على ان فضيلته كان عميق الفكر بعيد النظر مدركاً لأخطار الماسونية الظاهرة والخفية وأساليبها الماكرة ، ويحذر من شرّها في مناسبات عديدة وكان ذلك قبل أن يتعرض لها أحد من رجال العلم والعلماء في العالم الإسلامي . رَ : « نص الوثيقة في مكان الوثائق من هذا الكتاب ».

كما أن مجمع الفقه الإسلامي في أول دورة يعقدها في مكة المكرمة في العاشر من شعبان عام ١٣٩٨ هـ الموافق الخامس عشر من تموز «يوليو» ١٩٧٨م تدارس أوضاع «الماسونية» هذه المنظمة «السرية» الخطيرة وما لها من صلة مباشرة بالصهيونية العالمية وأنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع

وأصابع ظاهرة أو خفية ، وأصدر المجمع قراراً في قضية الماسونية والمنتسبين إليها وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك. رَ : « نص الوثيقة في مكان الوثائق من هذا الكتاب ».

وكانت صحيفة الوقائع اليومية لشارلز بنسكي لولاية كارولاينا الجنوبية في الولايات المتحدة قد نشرت وقائع مقتبسة من الميثاق الوطني لسنة ١٧٨٩م بما يتعلق بوثيقة الرئيس بنيامين فرانكلن عن الهجرة اليهودية . جاء فيها : « هناك خطر مهلك مميت على الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا الخطر العظيم هو (اليهودي) ، لأن اليهود في أي أرض يستوطنونها فإنهم يعملون على إفساد وحلّ الأخلاق ، وزعزعة مستوى الثقة التجارية ، فلقد بقوا دائما ذلك الجزء المنبوذ المضطهد ، وحاولوا خنق الشعوب والأمم اقتصادياً كما هي الحالة في أمر البرتغال واسبانيا » . « لمدة خلت تزيد على ١٧٠٠ عام وهم يندبون قدرهم الحزين وبالتحديد منذ طردوا وشردوا من وطنهم الأم كما يزعمون ، ولكن أيها السادة ، إذا كان العالم المتحضر اليوم لا بد له وأن يعيد إليهم « فلسطين » فإنهم وفي الحال سيتذرعون بايجاد الأسباب والمبررات القوية لعدم العودة إلى هناك . لماذا .. ؟؟ لأنهم مصاصو دماء ... ومصاص الدماء لا يمكنه العيش مع مصاص دماء ، ولذلك فإنهم لايستطيعون العيش على بعضهم كما يعيشون على المسيحيين أو أي شعب آخر لا يمت بصلة إلى دمهم وعرقهم » .

« فاذا لم يبعدوا من الولايات المتحدة بقانون ، فانه وفي غضون مئة سنة على الأقل ، سيتدفقون على هذه البلاد بأعداد كبيرة ، وسيحكموننا ويدمروننا بتغييرهم نمط وشكل حكومتنا الذي من اجله نحن الأمريكيين قد بذلنا دمنا وضحينا بأرواحنا ، وممتلكاتنا ، وحريتنا الشخصية ... إذا لم يبعد اليهود ففي خلال ٢٠٠ عام سيعمل أولادنا عمالاً في الحقول لإطعامهم بينما هم ينعمون في خزائن من المال يفركون أيديهم » .

« أيها السادة ، إنني أحذركم ، إذا لم تلفظوا وتطردوا اليهود وإلى الأبد ، فان أبناءكم وأبناء أبنائكم سيلعنونكم في قبوركم ، إن أهدافهم ومثلهم هي ليست كمثل وأهداف الأميركيين بالرغم من أنهم يعيشون معنا منذ أجيال . إن النمر المرقط لا يمكن ان يغير من طبائعه ، إنهم سيكونون خطراً على كل مؤسساتنا « دستورنا » فبالدستور يجب أن يطردوا». «الوثيقة الأصلية يمكن مشاهدتها في معهد فرانكلين في فيلادلفيا — بنسلفانيا».

* * *

الوحدة .. والحرية .. والاشتراكية !!

بعد حرب الخامس من حزيران « يونيو » ١٩٦٧م عندما منيت مصر وسورية والأردن بالهزيمة في المعركة مع العدو الإسرائيلي أصدر موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي الذي حقق النصر لبلاده وفي الوقت نفسه ألحق الهزيمة بالدول الثلاث وبقواتها المسلحة – أصدر كتاباً – عن وجه المعركة ونتائجها قال فيه : « لو قدّر لي أن أقود جيش إسرائيل مرة اخرى في حرب فلن أتبع إلا هذه الخطة مع تفاصيلها التي نفذت ... وردّ الوزير الإسرائيلي على سؤال عن سبب إعلانه هذا الموقف وبكل هذه البساطة فقال : « إن العرب لا يقرؤون » .

وفي الحرب الأولى بين الدول العربية وإسرائيل عام ١٩٤٨م ، اتُّخِذ قرار الحرب العربي في ساعة ارتجال وتم تنفيذه بإمكانيات هزيلة وآليات ومعدات بالية ، فكثيراً ما كانت محركات الدبابات ، والعربات ، والمصفحات ، تتوقف ، فيضطر الجنود للنزول منها ليدفعوها بمناكبهم وليتقدم الجنود لاقتحام المستعمرات الإسرائيلية ، وبالرغم من أن القتال فوق أراضي فلسطين كان يتم بغير سابق استطلاع لإمكانيات العدو وبدون خرائط كاشفة أو معرفة أو إلمام بطبوغرافية الأرض ، فقد نجحت الجيوش العربية في بداية الأمر بوصول قوتها إلى مشارف مدينة تل أبيب ، كما دخلت قوات الجهاد السوري بقياة الشيخ مصطفى السباعي المراقب العام للأخوان المسلمين في سورية آنذاك مدينة القدس . وقد حقق الجيش السوري إنتصارات جيدة في هذه الحرب ، أما القوات الأردنية التي تحظى بتدريب وتنظيم أفضل من الجيوش العربية الأخرى ، فإنها كانت تتبع تعليمات الجنرال البريطاني كلوب باشا الذي قيل عنه بأنه كان يدير معركة الأردن لحساب بلده بريطانيا ، كما أن الجيش العراقي قد التزم بتعليمات قيادته العليا «ماكوأوامر » !! .

وكان لجيش الإنقاذ العربي بقيادة فوزي القاوقجي دور غير واضح في حرب عام ١٩٤٨م لذلك تم في سورية تشكيل جيش شعبي أطلق عليه « جيش الجهاد » ليسهم مع الجيوش العربية النظامية في تلك المعركة مع العدو ، وكان يضم عدداً كبيراً من علماء الدين الإسلامي ورجال السياسة والفكر ومن زعماء الأحياء ، ولكن أنضم إلى « جيش الجهاد » كل من ميشيل عفلق وأكرم الحوراني (!!) وكانا يمثلان الأحزاب العقائدية اليسارية في سورية ، وقد كان وجود عفلق في هذا الجيش لافتاً للنظر لأنه لم يتقيد بالتعليمات التي يصدرها فضيلة الشيخ مصطفي السباعي قائد « جيش الجهاد » وكان الشيخ السباعي يطوف بين وقت وآخر

على تشكيلات «جيش الجهاد» ويتبادل مع قادة الفرق الوضع العام بهدف تحريك ذلك الجيش للقتال ضد العدو الإسرائيلي وشغل قوات العدو في مختلف المواقع للتخفيف عن المواقع التي يقاتل فيها الجيش النظامي السوري . وكان الشيخ السباعي يلحظ بأن عفلق لا يبدي تجاوباً مع وجهة نظره وأن هذا المسلك كما يبدو يشكل معارضة ضمنية لآراء السباعي ؛ إذ أنه في صبيحة يوم باكر أوعز السباعي للجيش الذي يأتمره ؟ بقصف مواقع العدو فأدى الأمر لتبادل قصف مكثّف فأثار الوضع شعور عفلق وأخذ « بالصراخ » : « أما قلت لكم إن الوقت لم يحن بعد لهذه العملية » ، وقد أدى ذلك إلى إصابة عفلق باضطراب عقلي وجسماني أدى إلى وقوع عفلق من أعلى السلم « الدرج » إلى الأرض وأصيب برضوض في جسمه . وأمام هذا الموقف ألا يحق للباحث أن يتساءل عن أسباب وجود عفلق في جيش الجهاد وعن مهمته الأساسية في الجبهة مع العدو ، فهل كان وجوده عن إيمان صادق لجيش الجهاد أو كان له مهمات أخرى ، وهل كان دور عفلق منسقاً مع الدور الذي قام به الجاسوس الإسرائيلي إلياهو كوهين قبل حرب حزيران « يونيو » ١٩٦٧م ؟ يبدو أن المهمة واحدة لعفلق وكوهين وصدّام حسين وهذا ما تؤكده التصرفات التي قام بها الجاسوس كوهين إبّان قيادة عفلق لحزب البعث العربي الذي تزامن مع فترة السيطرة على الحكم في سورية منذ عام ١٩٦٣م وحتى قيام حرب ١٩٦٧م ، وما قام به صدّام حسين يوم الثاني من آب « أغسطس » ١٩٩٠م عندما احتل دولة الكويت .

ومن التعرف على مفهوم الصهيونية في نظر عفلق وعلى ما اقترحه من حل بالنسبة للقضية الفلسطينية بالذات فقد طرح أفكاراً هي في جوهرها على طرفي نقيض فإنها تجمع بين الغوغائية والتضليل ، ففي مقال نشره في صحيفة « البعث » يوم ٦ آب «اغسطس» ١٩٤٦م يحمل عنواناً له دلالته فقال : « لا ينتظر العرب ظهور المعجزة، فلسطين لا تنقذها الحكومات بل العمل الشعبي » .

« إن تكن الصهيونية بالنسبة إلى بلادنا حركة عدوان ، فإنها بالنسبة إلى أصحابها حركة إيمان . وإن يكن وراء الصهيونية رأسماليون يغذونها ويستغلّونها ، ودول استعمارية تجد في مؤازرتها ربحاً لها ، وتثبيتاً لاستعمارها في بلاد العرب ، فذلك لا يمنع الصهيونية ان تكون في صميمها حركة شعبية ، وان تحصل على التأييد الفعال من جميع يهود العالم ! ونرى

أيضاً ان الدول الغربية التي تناصر الصهيونية لا تفعل ذلك مختارة بل مكرهة بدافع المصلحة لأنها تجد في مناصـرتها من الربح أكثر مما تلاقي في معاداة العرب من الخسارة...» .

ويقـول : « *ولكن لا حاجة أن تظنوا أن إسرائيل تأتمر بالاستعمار بكل شيء، هي حليفة للاستعمار، ولكنها ليست أداة بالمعنى العادي ... لها كيانـها ، ولها خططـها ، ولها مصالحها ، ولها قوتـها وذكاؤها وسياستها* »
وكأن ما يهم مؤسس البعث الترويج للصهيونية العالمية ولإسرائيل معاً في العالم العربي .

إن هذه « الفلسفة العفلقية » قد تفوه بها ميشيل عفلق عام ١٩٥٧م وقبل قيام الوحدة السورية / المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر . وهذه « الفلسفة » تلتقي مع رغبات قادة وزعماء إسرائيل ، فقد قال رئيس وزراء إسرائيل بن غوريون في خطاب له أمام الكنيست عام ١٩٥١م : « *إن الخطوة التي يجب أن تسبق الصلح مع إسرائيل هي إقامة ديموقراطيات اشتراكية ، محل الحكومات الرجعية في الدول العربية..»*.

وقال عفلق : فإذا عالجنا مشكلة إسرائيل على ضوء نظرتنا العربية الانقلابية ، التي لا تنفصل، أو بالأصح التي ترتبط فيها صورة المجتمع الدولي والإنساني المقبل الذي يسهم العرب في تحقيقه، نصل إلى النتيجة الآتية : «إن ما يشكل خطراً على الأمة العربية هو كيان إسرائيل كدولة لا وجود أقلية يهودية في العالم العربي، وإن التعجيل في النضال العربي، وإن التعجيل في النضال العربي والوحدي وتحقيق خطوات سريعة وجدية في هذين المجالين يقطع الطريـق على أطمـاع الاستعمار ، والتعجيل في النضـال الاشتراكي العربي يضعف مخاوف الأقلية اليهودية من تعذر تعايشها السلمي العادل مع العرب ، كما يزيل أو يضعف سلاح الدعاية الصهيونية العالمية في استدرار عطف الشعوب الحرة والطبقات الشعبية على إسرائيل كدولة يراد لها أن تكون ملجأ لشعب مضطهد ولشعب راق متقدم قد يحمل بذور التقدم إلى الأقطار المجاورة . وأخيراً فان اصرار العرب على اتجاههم الإنساني في المجال الدولي ، وتعاونهم مع الشعوب الأخـرى في سبيل توطيد السلم والتقدم الإشتراكي لجميع الشعوب ، وسياسة الحياد الإيجابي ، كل هذا يساهم في ازالة اسباب التعصب

العنصـري والديني ويساهم إلى حد ما في حل هذه المشكلة».

ومن تحليل فلسفة عفلق في هذه القضية الأساسية التي أثقلت كاهل العالم العربي طيلة ٥٢ سنة وقامت الانقلابات العربية في المنطقة بتحريض من ميشيل عفلق « فيلسوف البعث» الذي اتهم الحكومات الوطنية بالتواطؤ مع الاستعمار لعدم تمكنها من استرداد فلسطين لأصحابها ! نجده إنما يكثر من الترويج والدعاية لوجود إسرائيل في الوقت الذي نجد فيه من جانب آخر أن أقوال عفلق عن القضية الفلسطينية تنصَبُّ وفق التوجهات الصهيونية التي حددها عفلق وهي الآتية:

أ - ان الكيان الإسرائيلي انما يتمثل بالسيادة القومية لإسرائيل لأن وجودها في مرحلتنا القومية الحاضرة يجب أن ندخله في حسابنا وأن نجد له الحل الكامل:

١ ـ دون أن نتهرب من بعض المصاعب .

٢ ـ دون أن نتهــرب من رؤيـــة العلاقة العميقة التي تصل وجود إسرائيل بمشكلاتنا القومية .

٣ ـ هذه المشــاكل القومية هي أســس نظامنا الاقتصادي واتجاهنا الاجتماعي وتربيتنا السياسية ووحدتنا القومية.

ب - أن نرى بوضوح وجرأة ان كل تلكؤ في مواجهة مشاكلنا السياسية ووحدتنا القومية بتفكير وأسلوب ثوريين قد لا يؤخر حل مشكلة إسرائيل بل يسمح بتدعيم كيانها الى حد يشكل خطراً .

ج - إن معالجة مشكلة إسرائيل في ضوء النظرة العربية الانقلابية ، التي لا تنفصل ، أي التي ترتبط فيها صورة المجتمع العربي المقبل بصورة المجتمع الدولي والإنساني المقبل ، الذي يسهم في تحقيقه ، توصلنا إلى النتيجة .

وقالت مجلة « العلم والدين » السوفياتية في عقد السبعينيات : « ***إن الإسلام ليس له مركزية تامة ، مشابهة للفاتيكان ، تستطيع أن تضبط سلوك المسلمين ، وأقرب شيء الى المركزية الإسلامية هو الجامع الأزهر في القاهرة ، والنجف في العراق ، وطالما ان الاشتراكية العربية قد سعت مبكراً الى تطبيق التحويل الاشتراكي على الجامع الأزهر مثلا ، فان مكافحة الرجعية الدينية***

في الشرق الأوسط يجب أن تتخذ صفة سياسية ضد التكتل الإسلامي ، وضد انفكاك المسلمين عن تأييدهم للاشتراكية ، وفي شعار « الصراع الطبقي » ومحاربة الاستعمار الجديد والاحتكارات البترولية، لربط الرجعية الدينية ونشاطها بها ، وبالاستعمار » .

ويقول تروتسكي اليهودي ذو الأسماء الثلاثة اليهودية ، ليني ، دافيد ، فيتش برونشتاين:

« إن الحركة الثورية لا تعرف حدوداً قومية أو عنصرية أو دينية ، فالزمالة الثورية يجب أن تكون فوق أي اعتبار ، وإن نشر قواعدها في كل وسط : بين القوات المسلحة وبين المثقفين ، وبين العمال والمزارعين وبين المستمتع برغد العيش والطامع في عيش أفضل » .

وتقول مجلة « البعث » الشيوعية الإيطالية : « **إن إسرائيل تغازل الغرب اضطراراً لتحمي نفسها من العالم العربي ، إذا لم يتحول كله إلى مجتمع اشتراكي ثوري ، وخشية أن تبقى فيه عصبيات قومية أو دينية تهددها ... إن هذه العصبيات القومية أو الدينية هي سبب الخصومة بين العرب وإسرائيل ... فإذا تمّ تحويل المجتمع العربي إلى مجتمع ثوري تزول حاجة إسرائيل إلى الغرب ، والتقت مع العرب على الاشتراكية .**

وفي محاضرة ألقاها المستشار الأول للسفارة السوفياتية في إسرائيل على أساتذة وطلاب الجامعة العبرية قال فيها : « **إن الحركات التقدمية اليسارية في العالم العربي لا تريد الاعتداء على إسرائيل » .لذلك كان الاتحاد السوفياتي يحتضن اليسار العربي ليدفع بالوطن العربي نحو الاشتراكية الثورية التي تستطيع أن تتعايش مع المجتمع الاشتراكي اليهودي .**

ويقول «فيلسوف » البعث الياس فرح وهو نصراني : « إن تنظيم البعث يستهدف تكوين جيل جديد يكون في مستوى حمل فكرة البعث العربي الاشتراكي التي تقوم على ثلاث دعائم وهي : « الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية » » .

ويتحدث الدكتور جمال الأتاسي من (مدينة حمص) في أواسط سورية وهو بعثي قديم ملتزم وقد شغل منصب نائب ووزير في عهد البعث – عن اشتراكية البعث – فيقول :

«إن الحركة السياسية للبعث عندما تستند الى مثل هذه المبادئ الأخلاقية والحقوقية والدوافع ، فإنها لا تزداد إلا قوة ومضاءً كما تتمكن وحدتها

وتوضح غايتها وذلك :

١ - تفريق الفكرة الاشتراكية عن المذاهب الدينية وعن النزعات المعادية للدين ، ويمكن ان نأتي للحركة الاشتراكية بعناصر من العمال مثلاً كانت حتى اليوم معادية للاشتراكية بسبب وساوسها الدينية أو عصبياتها .

٢ - ان المهمة السياسية الأولية في الاشتراكية والتي تعبر عن ضرورة سريعة وأكيدة هي النضال في سبيل السلام ولنزع السلاح ولرفع الحدود والعوائق الإقتصادية.

٣ - ويتوسع مفهوم الاشتراكية وتعم غاياتها ومراميها بصورة تجعل فيها تبديل كل اسس الحضارة بدلاً من أن تكون مجرد تطور وتجديد في بعض المؤسسات الاجتماعية ، ولتكون الثورة انقلاباً عاماً في النفسية والأخلاق ، وبفكرتنا الاشتراكية نضع مفهوماً جديداً للنضال الطبقي وللعمل الاجتماعي القومي ونربطها بفكرتنا الأساسية فكرة الجيل الجديد ».

هذه هي خلاصة « البعث العربي » وفحواه ومغزاه كما رسم مبادئه «ميشيل عفلق» ... (المجهول الهوية) بيده ؛ لتكون مبادئ خيالية تقوم عليها النظرية العلمانية الإلحادية !!!

ورداً على هذه « الفلسفات » الملحدة والتخرصات العلمانية نقول لهؤلاء :

كثير من الناس تسيطر على عقولهم الخرافات ، أو الأوهام ، أو الظنون، وتدفعهم إلى ممارسة أعمال باطلة، ليس لها أسس سليمة تدعمها، وهذه الأفكار التي وجهت هؤلاء الناس إلى هذا الباطل قد سلكت طريقاً معوجاً إلى أنفسهم، فأوقعتهم في خديعة الظنون الكاذبة الضالة، وقال الله تعالى في كتابه العزيز : « إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون» ، « وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم » سورة الأنعام الآيتان : (١١٦) ، (١١٩).

لذلك فأي كلام يتفوه به واحد من البشر ، إنما يكون انعكاساً لشخصية قائلة وعلمه الخيالي ومزاجه ونفسيته وأوهامه التي ابتلي بها، وكل كلام يحمل روح قائله وناشره ومروجه، لأنه أثر من آثاره ومن واجب كل إنسان أن يعرف الحكمة من خلقه في هذه الحياة، وأن يعرف مصيره الذي إليه يسير، وأن يعرف ربه الواحد الأحد .

وما يزعمه الملاحدة بأن الطبيعة هي التي تخلق المخلوقات فقد خالفوا العقل ، وحاربوا الحق، لأن الطبيعة لا تملك عقلاً ، ولا تملك علماً، وزعم هذا جهل وضلال هدفه نشر الإلحاد والعلمنه بين المجتمعات المؤمنة برب العزة والجلالة، وقال الله تعالى : «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون» سورة الطور، الآية: (٣٥).

فالعقول السليمة تتلاقى على الحق، وكلما ازدادت علماً كان تلاقيها على الحق أيسر وأقرب، لقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين حقيقة الإيمان الذي يقبل الله به الأعمال ويتحقق به ما وعد الله المؤمنين . إن أهل القلوب السليمة يتفكرون في أنفسهم وفي خلق السموات والأرض وفي الهدى الذي جاءهم من خالقهم ، يعرفهم الحكمة في حياتهم، وموتهم، وكيف يطبقون ما أمرهم به، لتتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، لأن الإيمان يحقق للإنسان كل ما يرجوه ويتمناه من السعادة والفوز الكبير.

وعندما يتفكر كل إنسان قليلاً ، سيجد أن الله الذي خلقه ، قد أعطاه كل الوسائل ليتعلم بها كافة العلوم الدينية والدنيوية وقال عز وجل : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » سورة النحل، الآية: (٧٨).

ومن أيقن أن الله هو الهادي الحكيم نحو الطريق الصحيح ، فلن يقبل أي فكرة تعارض هدى الله، وقال الله تعالى : « قل إن هدى الله هو الهدى » سورة الأنعام ، الآية : (٧١) .

والقرآن الكريم يكشف لنا الكثير من مظاهر تقدير الإسلام للعقل، فكثيراً ما تردد الآيات الكريمة هذه العبارات « أفلا تعقلون » ، « أفلا تتفكرون» ، « أفلا تنظرون » ، « أفلا تشعرون»، إلى غيرها من العبارات التي تدعو إلى استخدام العقل والشعور للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

وإذا كانت الكتب الإلهية التي سبقت القرآن الكريم قد حرفت وبدلت، فإن الله سبحانه وتعالى قد حفظ على عباده المؤمنين كتابه المبين « القرآن الكريم » من كل تحريف أو تبديل، والملحد الكافر لا يعرف إلا دنياه ، ومصالحه الشخصية التي توجه عمله وتحدد علاقاته بغيره من الناس والنسل في سبيل أهدافه ورفاهيته على حساب الآخرين.

ولفضيلة العالم الاسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي – يرحمه الله – تعريف لائق بهذه الفئة الضالة الملحدة نشره في كتابه عقيدة المسلم قاله فيه : « إن الإلحاد أن يسفه المرء نفسه، ويركب رأسه ، ويغمض عينية عن كل ما حوله، ثم يصدر الأحكام جزافاً ، لا تخضع لمنطق ، ولا يربطها فكر سليم ، إن للإلحاد شباباً ممسوخاً في بلادنا، يعرف قشوراً من العلم. ويتعلق بأوهام لاوزن لها عند أولي الألباب. تراه يتكلم عن الألوهية والدين والوحي فيلوي لسانه

بعبارات مشحونة بالغرور والادعاء وليس وراءها إلاما يذكرك بقول الله تعالى « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » « ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » سورة الحج، الآيتان : (٨، ٩).

لذلك إن «الاشتراكية» هي دعوات باطنية، والباطنية هي أم الخبائث التي بسبب مكرها تصدعت الأمم والشعوب ، لأنها تقوم على فلسفات ، وسفسطات مبنيه على نكران الغيب والإيمان، وهدم الفضائل الإنسانية كلها، وإباحة الحرمات جميعها، وتغيير هذا العالم بالثورة والصراع الطبقي.

إن العلمانية تعني حرفياً في قاموس اللغة «الدنيوية» أو المذهب الدنيوي فصل الدين عن الدولة ، أو فصل الدين عن الحياة، وقيام الدولة على أسس دنيوية لا دينية، وتتمثل هذه الأسس في العلم الوضعي ومراعاة المصلحة الحزبية الحاكمة المسيطرة على مقاليد السلطة، ووضع دساتير وأنظمة غير مستقرة على أساس القانون الوضعي .

ولهذا كان فلاسفة «البعث» والأحزاب الاشتراكية الأخرى يعملون على إصدار القوانين المدنية للأحوال الشخصية، وإعطاء تسهيلات قانونية لمن يريد مخالفة الشريعة الإسلامية وتجاوزها ، وكانت الغاية الأساسية في «الثورات» الاشتراكية الدموية، هدم كل نظام اجتماعي، وجعله نظاماً ارهابياً لفرضه على المجتمعات ، وإحلال الحكم الكيفي محل القانون منسلخاً انسلاخاً تاماً عن الدين، والاعتماد على الانخداع والمكر والزيف .

وللتمهيد الاستعماري في نشر تلك المبادىء الملحدة العلمانية، توافد إلى منطقة الشرق العربي منذ أوائل القرن التاسع عشر الإرساليات النصرانية التبشيرية المخربة، وفتحت المدارس «اليسوعية» في أكثر المدن العربية لنشر الثقافة النصرانية بين أبناء العقيدة الإسلامية، بهدف زعزعة الأمن والاستقرار بين سكان ا لبلاد الأصليين ، وشكلت الارساليات الوافدة، المؤسسات الثقافية المنتشرة بالمبادىء العلمانية، وأصدرت الدول الغربية المستعمرة للمنطقة العربية الصحف العربية الموالية للبعثات الأجنبية ، لنشر ا لأفكار العلمانية، بهدف توطيد النفوذ الغربي، وتحقيق المصالح الاقتصادية للدول المستعمرة.

فالاشتراكية التي روجت لها الأحزاب العلمانية ومنها حزب ميشيل عفلق وزبانيته، كان هدفها الأساسي نشر المبادىء الثقافية والفكرية الفاسدة، وأوعز أقطاب هذه الأحزاب الملحدة لفلاسفتهم باصدار الكتب والمؤلفات العلمانية، وكانت كلها تسخرمن مبادىء الإسلام حتى يشك النشء الإسلامي وجيل المستقبل في عقيدته ، بهدف تحويل المجتمع العربي المسلم إلى مجتمع اشتراكي علماني ملحد،لأن الاشتراكيـة ما هي إلاحـرب علـى الديانات وحـرب على الإنسان

وحرية وتفكير الإنسان .

وتمادى فلاسفة الأحزاب العلمانية في كتبهم ومنشوراتهم الحزبية في الإساءة بالعقيدة الإسلامية وبظاهرة الدين، وزعمت تلك الكتب الهدامة إلى أن ظاهرة الدين، هي ظاهرة انقسامية وليس توحيدية للشعب العربي، لأنها ظاهرة سلفية ومتخلفة – في نظرهم – في النظرة وفي الممارسة ، مطالبين النضال ضد انحرافات الظاهرة الدينية / السياسية ، وبأن النضال هو في مقدمة المهمات التي يتعين على حركة «الثورة» العربية خوضها ، لأن فلسفة الاشتراكية ليست التراث ولا الدين، بل ما تعبر عنها المنطلقات الفكرية، والسياسات المتصلة بها، مركزين في إصداراتهم أن المطلوب في كل اشتراكي أن يكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة، وفي المجتمعات ، وضد اقحام «الثورة» في المسائل الدينية.

ويدعي هؤلاء الفلاسفة ، بأن العلمانية مسؤولية فكرية تقف في وجه من يحتكر الدين، ويحكمه في جميع مساعي الإنسان ، ومن الواجب كشف الحجاب ، لأن القومية العربية عقيدة سياسية اجتماعية ذات أهداف ومنطلقات قابلة للنقاش والتطور ، ومن هذه السفسطات التخريبية كان فلاسفة الأحزاب الاشتراكية يؤكدون على علمانية أحزابهم، وخاصة حزب البعث وعلى إبراز التناقضات بين الجماهير في النظام الملحد. بهدف القضاء على حرية الرأي، عن طريق القضاء على كل القوى الجماعية، وتنظيم النشاط تحت ستار الأعمال التخريبية، وايجاد ثقافة عامة على أسس قومية تقدمية شاملة عميقة، وتهيئة جيل عربي جديد مؤمن بمبادىء «البعث» طليق من قيود التقاليد الرجعية – كما يصفها فيلسوف «البعث» الأول ميشيل عفلق – في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل ، باعتبار أن الدولة مسؤولة عن حياة حرية القول والنشر والاجتماع والصحافة، والعناية بالشخصية العربية المتمثلة بالشخصية الجاهلية التي لا يحكمها الإسلام ، والهدف الرئيسي من هذا التبديل الجذري يرمي لعلمنة الدولة ، واحلال التعليم اللاديني.

ومن هنا أقول لهؤلاء الفلاسفة الذين ضلوا الطريق، بان الله تعالى منَّ على البشرية بالإسلام منة عظيمة، إذ حررها من جميع السخافات وأنزل شعائر هي في غاية الحكمة والسمو والاتساق مع العقل والفطرة، شعائر لا غموض فيها، ولا أسرار لأعمال تخريبية بل كلها في مصلحة البشرية جمعاء.

وخير رد على مبادىء الأحزاب التخريبية هو ما جاء في قول الإمام «ابن القيم» حيث أشار إلى: «ان الأصل من أهم الأصول وأنفعها وهو مبني على حرف واحد، وهو عموم رسالته صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم

يحوج أمته إلى أحد بعده وإنما حاجتهم إلى من يبلغ عنه ما جاء به، فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص ، عموم بالنسبة إلى المرسل إليهم وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بعث إليه في أصول الدين وفروعه، فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها، ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته ، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به».

ويتابع الإمام «ابن القيم» : « إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرفهم من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة، فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم إلى أحد سواه ، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها، ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها ؟ ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن الناس حاجة إلى رسول آخر بعده، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك، وقلة نصيبه من الفهم الذي وفق الله أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به واستغنوا به عما سواه وفتحوا به القلوب والبلاد وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا وهو عهدنا إليكم »

إن دين الإسلام كان وما يزال وسيبقى هو الدين القيم ، دين الفطرة ، دين الحياة الإنسانية، ولقد سعد الناس به طوال قرون عديدة، وكان المسلمون أرقى الأمم وأعزها وأسعدها بقدر ما كانوا متمسكين بدينهم، وكم شقي الناس بغير دين الإسلام.

فالشريعة الإسلامية هي الطريقة والمنهج للحياة البشرية الفكرية والعملية وهي التي تصلح أمور البشرية كلها، لأن العقيدة الإسلامية شاملة لكل نواحي الحياة، وتمتاز بالروح العملية، وتتجسد فيها معاني العمل في عدة نواح، أهمها عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه بمفهومها الواسع ، يعمل على تنقية الذات المؤمنة من أدران الرذيلة ، وانتزاع شوائب الانانية بأسلوب عملي، ومن هنا يبدو الفرق واضحاً بين المنهج الإسلامي وبين فلسفات ونظريات منحرفة بعيدة عن شريعة الله .

إن الشريعة الإسلامية أصلحت أمور المسلمين وغير المسلمين ، لقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم منذ نيف وأربعة عشر قرناً ، وحفظ ما فيه من بينات مصدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تقوم الحجة على الناس، وما يزال كتاب الله يتحدى المكذبين ، أن يأتوا بسورة من مثله فكيف تغفل البشرية أو تتناسى أن الخالق وحده هو الذي يقدر على إرشاد الخلق إلى طرق الصلاح.

إن ما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق من عند الله، وحمل إلى البشرية جمعاء رسالة العلم والنور والحق المبين ، إن رسالة نبي الإسلام عامة إلى الناس كافة ، وقال رب العزة والجلالة في كتابه العزيز : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» سورة الأنبياء، الآية : (١٠٧). وقال عزَّ من قائل : « وما أرسلنا ك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» سورة سبأ، الآية : (٢٨).

ومن هنا نؤكد لمن أبت نفوسهم إلا الريب والشكوك في ذلك، لأن كثيراً من النفوس والعقول تصيبها أحياناً غاشية في جهالة ، أو هوى، فتتبع هواها وتخضع لمغريات ومصالح ذاتية شخصية.

إن الإيمان بالله لا يكمل إلا بالحب الحقيقي ، حب الله ، وحب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وحب الشريعة الإسلامية ، ومن هنا يتمثل الإيمان في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله والكفاح لرفع راية الحق ومنع الظلم والفساد في الأرض.

« إن الإسلام هو دين العقيدة الخالصة لله سبحانه وتعالى ، بينما الاشتراكية وجميع ما يسمى بالأنظمة الشيوعية الملحدة تنكر وجود الله ... إن الإسلام يؤمن بجميع الأنبياء والرسل ، بينما الاشتراكية والشيوعية تتنكر للرسالات السماوية ... إن الإسلام يرعى جميع القيم الأخلاقية ويحميها ويدافع عنها ، بينما الاشتراكية تهدم جميع هذه القيم ... إن الإسلام يضمن لكل فرد حرية تملك وسائل الإنتاج ، بينما الاشتراكية تمنع الأفراد من هذا التملك وتخول الدولة والفئة الحزبية الحاكمة الإشراف على جميع وسائل الإنتاج ... إن الإسلام يحارب الظلم والفساد مهما كان نوعه ، بينما الأنظمة الاشتراكية تعمم الفساد والفوضى واللامبالاة في جميع أجهزتها الحكومية وبين أفراد الشعب ... إن العالم المتحضر يحتاج إلى البناء لا الهدم والتخريب ، ولكن الاشتراكية بتوجيه من الصهيونية والماسونية العالمية تجيز لنفسها أن يقوم المجتمع على الظلم والفساد والتحطيم وهدم المثل العليا والإنسانية ... إن الإسلام يحقق الأمن والسلام ، بينما الاشتراكية تنادي بالفوضى والانقلاب والثورة على المجتمعات الدينية وعلى النظم الإسلامية المحافظة » .

***

أسرار « الرسالة الخالدة » لعفلق !!

تحدثت فيما مضى عن ظهور ميشيل عفلق على المسرح السياسي في سورية وعن تجريحه الماكر للمرتكزات الإسلامية وتآمره على الأمة الإسلامية وعلى الرسالة السماوية التي حملها سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما تحدثت عن دوره في الانقلابات العسكرية التي شهدتها سورية.

كان ميشيل عفلق في الأيام الأولى لانقلاب حسني الزعيم يتصرف مع قائد الانقلاب وكأن حزب البعث يملك الحق في إسداء النصيحة لقائد الانقلاب مذكّراً بدور عفلق في تهيئة الأجواء لتقبل حدوث الانقلاب لدى الشعب والتي دعت حزب البعث إلى تأييد الانقلاب ، وفي ٣٠ أيار « مايو » ١٩٤٩م أصدر حزب البعث بياناً شديداً حمل فيه على الزعيم حسني الزعيم تضمن احتجاجا بسبب إلغاء الأحزاب السياسية ومنها « البعث » متهماً اياه بالقيام بتصرفات غير مسؤولة لا تليق بالحكم ، فأصدر الزعيم أوامره باعتقال عفلق وبعض أعضاء الحزب وأرسل عفلق إلى سجن المزة العسكري وتم توقيفه ·

كان وجود عفلق في السجن صدمة لم يكن يتوقعها واعتبرها إهانة لشخصه ولمبادئه ولسمعته الحزبية بين الشباب المغرّر بهم الذين انصهروا في بوتقة حزب البعث العربي ·

لقد وضع عفلق في « زنزانة » في سجن المزة تسمى « زنزانة أبو ريحة » وهي اسم على مسمى لما تعنيه من حقيقة حيث يبلغ طولها متراً واحداً وعرضها مترين وتشمل على «مكان للنوم » و « للمرحاض » وبابها حديد موصد له نافذة صغيرة مربعة الشكل ١٥ X ١٥ سنتمتراً مربعاً · وجد مؤسس البعث نفسه في وضع لا يحسد عليه أمام أعضاء حزبه وبعد خلوة مع نفسه قرر تقديم اعتذار لقائد الانقلاب بأمل الإفراج عنه وليحمي رأسه من الأعدام ، فطلب من مدير السجن ورقة وقلماً ليسطّر كتاب اعتذار على تصرفاته ومواقفه السلبية ومعارضته لسياسة زعيم الانقلاب . وضمنها اعتذاره المتخاذل بعدما أصابه من انهيار سياسي وليتاح له متابعة مخططه المرسوم أو الذي رسم له للتآمر على الإسلام «نص الرسالة الحرفي ويخط يده في المكان المخصص للوثائق».

وتم الإفراج عن عفلق بعد أيام قليلة من تقديم رسالته إلا أن رسالة الاعتذار طرحت اسئلة عديدة عن شخصية عفلق وقد أصبح في شك وريبة من أمره.

وقد جوبه عفلق بثورة من الحزبيين وحملة شعواء ، رفضوا جميعاً كل تعليل أعطي لهم. وكانوا مجمعين على أن الموت أفضل من هذه الرسالة .

* * *

تآمر الناصرية والبعث على الخليج العربي!!!

لقد تآمر النظام السوري بالتعاون مع النظام الماركسي في الجنوب العربي الذي عاصمته « عدن » في ذلك الوقت ، ودفع نظام صلاح جديد نظام عدن للاعتداء على المناطق الجنوبية للمملكة العربية السعودية « الربع الخالي » بهدف إشغال المملكة في أمور داخلية هامة ، فقامت القوات العسكرية لحكومة عدن في شتاء عام ١٩٦٨م باعتداء مسلّح على بعض المخافر السعودية واحتلت مخفر «الوديعة » في منطقة الربع الخالي . وشارك في العدوان الزعيم الفلسطيني المتطرف جورج حبش .

لقد مهدّ حزب « البعث » للتدخل في أوضاع منطقة الخليج العربي وذلك باستعمال العنف والقوة في المنطقة من خلال اجتماعات المؤتمر القومي الاستثنائي السادس للحزب الذى عقد بعد انقلاب ٢٣ شباط « فبراير » ١٩٦٦م في محاولة منه للمزايدة على اطماع الرئيس جمال عبد الناصر في التسلط على الدول العربية . فقد أصدر حزب البعث بيانه عن المؤتمر وأعلن فيه مايأتي : « إن الحكم الملكي في السعوديه والاردن والمغرب وليبيا والحكم العشائري في الكويت وإمارات الخليج والجنوب العربي إن حكومات هذه الدول أنظمه مرتبطة نهائيا بالاستعمار. كما قال البيان : إنه لا يمكن أن تسمح ثورة « البعث » بالتآمر عليها أو بتعطيل سيرها وعلى الثورة أن تدافع عن وجودها بقوة وشراسة ».

وكان نظام صلاح جديد قبل العدوان على الاراضي السعودية قد القى القبض على جورج حبش ووضعه في السجن بسبب تجاوزات الجبهة الشعبية التي يتزعمها حبش ولخلافاتها مع النظام السوري واشترط صلاح جديد لإطلاق سراح جورج حبش من السجن قيامه بالحملة العسكرية المسلحة على المنطقة السعودية المتاخمة لأراضي الجنوب العربي ! وللتأثير على أوضاع المملكة قام النظام السوري اليساري المتطرف أيضاً بنسف أنابيب البترول « التابلاين » في الأراضي السورية الممتدة من المملكة العربية السعودية عبر الأردن إلى لبنان في منطقة الزهراني جنوب مدينة بيروت ، لنقله إلى العالم الخارجي ، وقد توقف ضخ البترول لفترة من الزمن إلى أن تم إقصاء الحكم اليساري في سورية عام ١٩٧٠م.

وعندما وقع حادث العدوان الجنوبي على مناطق الربع الخالي في المملكة وقف الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله موقف البطل الشجاع وأصدر أوامره إلى القوات المسلحة لصدّ العدوان الماركسي على حدود بلاده ، فنفذت القوات السعودية التعليمات الموجّهة إليها بمساعدة الطيران السعودي وردت القوات المعتدية من حيث أتت بعد أن كبدتهاخسائر فادحة.

لقد كانت سياسة الملك فيصل إنما تمثل المبادئ الراسخة للقيادة السعودية التي رسخها الملك عبد العزيز مؤسس المملكة يرحمه الله ، وهي تقوم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، وأن من مهمات القوات المسلحة السعودية هي الدفاع عن الأراضي السعودية من أي عدوان خارجي والدفاع عن المقدسات الإسلامية في الحرمين الشريفين .. ومنذ أن وضعت هذه الأسس الثابتة للسياسة السعودية ، لم يسجل التاريخ أن تحرشت القوات السعودية أو قامت بأي عدوان على أي من حدود الدول المجاورة لها بل كانت علاقاتها مع الجميع علاقات أخوية تنشد السلام الذي يقوم على المحبة والإخاء .

لقد كان الملك فيصل رحمه الله صريحاً في أقواله وأعماله وأخذ يحذر العالم العربي من الخطر الشيوعي الذي أخذ ينتشر في الدول العربية فقال للاشتراكيين الذين يأبون الوحدة إلاَّ على أساس دعوتهم : « يا أيها الاشتراكيون ، لكم فكرتكم ولنا عقيدتنا .. يقولون إننا نحارب الاشتراكية ، فنحن مسلمون نؤمن بالله وشريعتنا القرآن ، فإذا كانوا يدَّعون أن الاشتراكية لا تتنافى مع الإسلام، فلماذا يدعون إلى ترك الأصل والتمسك بالفرع .. نحن لم نتدخل حينما أرادوا نزع كلمة أن «الإسلام دين الدولة » ومن دستورهم .. لم نقل لهم شيئاً ، لأنهم أحرار في بلادهم ، يفعلون ما يشاؤون ، وإن كان من واجبنا أن نقاوم ذلك .. فلماذا يريدون أن يفرضوا علينا مبادئ وشرائع لا يقرها ديننا ولا وطنيتنا ؟ . فلماذا دس المبادئ الهدامة .. والتحلّل من الأخلاق .. وإنكار وجود الإله عزَّ وجل والمروق من أية عقيدة سماوية فنحن نأبى ذلك وسنقاومه بكل ما أوتينا من قوة » . « من خطاب الملك فيصل يرحمه الله في حج عام ١٣٨٨هـ».

من هذا المنطلق اقتفى الملك فيصل إثر الملك عبد العزيز ممنعاً النظر بواقع بلاده والتي كانت وما تزال المهد الأول للعربِ والمهد الأول للإسلام ، وقام بدعوة إسلامية بهدف التضامن الإسلامي لمواجهة خطر الدعوات القومية المنحرفة التي تمهد الطريق للوصول إلى الماركسية بالاضافة إلى خطر الصهيونية وإسرائيل على العالمين العربي والإسلامي وأكد الملك فيصل: «أن التضامن الإسلامي لا يعني بحال ، كما لا يستتبع ، إقامة إمبراطورية إسلامية ، أو دولة مركزية إسلامية واحدة تشمل كل ديار الإسلام ، أو الإنتقاص من سيادة أي بلد مسلم على أرضه ، ذلك أن عهد الإمبراطوريات وما شابهها قد عفا عليه الزمن ، وأصبح لا يتفق ومنطق التاريخ الحديث .. ونفى الملك فيصل يرحمه الله مراراً وتكراراً ، أن تكون الغاية من دعوة

التضامن الإسلامي تكوين حلف أو كتلة موجهة ضد أية دولة في العالم العربي .. وقال إن هناك قوى تعارض التضامن الإسلامي ، هي قوى إستعمارية ، وقوى صهيونية ، وقوى شيوعية » .

لقدتحدث الملك فيصل بصراحته المعهودة عن أخطار الشيوعية والصهيونية العالمية فقال لـ « أرنولد . د . ي بورسي درسي » مراسل مجلة نيوز ويك الأمريكية : « إن الشيوعية هي والصهاينة يعملون معاً في نطاق مؤامرة كبرى لمنع الوصول إلى تسوية سلمية إلى الشرق الأوسط ويقوم بينهما تعاون وثيق لاحباط أي تسوية لاحلال السلام في المنطقة وحتى لو انسحب الإسرائيليون إلى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ م فإن ذلك لن يحل الأزمة » .

وأضاف الملك فيصل رحمه الله يقول في حديثه للمجلة الأمريكية يوم الأربعاء ٢٠ رمضان ١٣٩٠ هـ الموافق ١٨ تشرين الثاني « نوفمبر ١٩٧٠ م : « إذا اتيح للأزمة أن تعالج على نحو ما نقترح فإن النفوذ والتغلل الشيوعي سيوقف ، لكن الصهيونية والشيوعية بتعاون وثيق يعملان لإحباط أية تسوية لاحلال السلام .. إن ذلك كله جزء من مؤامرة ضخمة .. إن الشيوعية هي من صنع الصهيونية ، حين تتظاهر الحركتان الشيوعية والصهيونية بأن إحداهما تعمل ضد الأخرى في الشرق الأوسط ، فإن ذلك من قبيل ذر الرماد في العيون ليس إلا .. إن الصهاينة يقومون بإيهام الولايات المتحدة بأنهم يقفون في جانبها بينما يقف الشيوعيون في الكفة الثانية بإيهام العرب بأنهم يقفون إلى جانبهم مع أنهم في الواقع ضالعون مع الصهاينه .. » .

وبهذا المنطق السليم عبر الملك فيصل رحمه الله عن عقيدته الراسخة ورأيه الواضح في رفض العالم الإسلامي للمبادىء الاشتراكية والشيوعية على حد سواء مهما تسترت هذه المبادىء بشعارات مزيفة ، وتمرست بشتى أنواع التضليل والخداع والغش بهدف القضاء على الأنظمة التي تقوم على العقيدة الإسلامية ، وخاصة ما يتعلق بالولاء والتلاحم العائلي في المجتمعات الإسلامية ، بينما يقوم ولاء الشعب في النظام الشيوعي والاشتراكي للنظام الملحد وللدولة التي تسيّرها فئة قليلة ضالة .

وقال الملك فيصل : « ان تطورنا الاقتصادي والانمائي إنما يعود إلى إيماننا بالله العظيم والإعتماد عليه ومن ثم الإعتماد على نفوسنا في مواجهة مشاكلنا الاقتصادية والانمائية وفي مواصلة العمل للوصول إلى الغاية التي يطمح لها كل مواطن مخلص لدينه

ووطنه فالشريعة الإسلامية تقوم على أســس متينه وثابته وعندما يأخـذ بها الإنســان يتاح له أن يسعى إلى الخير وأن يصل إلى حالة الاستقرا والاطمئنان ، ولهذا وجب على كل مسلم أن يتفهم هذه الأسس وأن يتمعن بها وأن يستعين بها في مواجهة مشاكله .. وعندما نتحول عن الله.. يتحول الله عنا ويخذلنا..» .

بعد هذه الايضاحات التي تفضل بها الملك فيصل رحمه الله لابد من تحليل منطقي لخطورة المبادىء الاشتراكية في عالمنا العربي هذه المبادىء التي تسللت إلى منطقتنا العربية في عقد الاربعينيات وما بعده من هذا القرن ، فالمجتمعات الاشتراكية التي طغت على بعض الاقطار العربية والإسلامية قد استطاعت تهديم المجتمعات الإسلامية المحافظة في هذه الاقطار وحلت مكانها مجتمعات متصارعة لا هوية لها ، وانجرفت مع التيار اليساري الاشتراكي واوجدت حالة من التخلف الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وأصابت الشعوب العربية بحالات من المرض والفقر والجهل والحقد .. إن الغزو الشيوعي الفكري وطغيان المبادىء الاشتراكية ومن ورائها القيادات العسكرية المتطرفة المساندة ، قد أثرت تأثيراً كبيراً سيئاً في أوضاع العالم العربي وفي علاقاته السياسية مع العالم الخارجي .. إن الاشتراكية العربية التي روجتها الاحزاب « الاشتراكية » في العالم العربي ماهي إلا صورة مصغرة للثورة الماركسية « الحمراء » التي قامت في الاتحاد السوفياتي في تشرين الأول « أكتوبر » ١٩١٧م وهي تلتقي مع الحركة الشيوعية العالمية التي تعمل على أخضاع العالم .. كل العالم .. تحت سلطة الماسونية العالمية وبروتوكولات حكماء صهيون ومن خلفهما الصهيونية العالمية .. لأنه كما قال الملك فيصل رحمه الله في البيت الأبيض الأمريكي خلال زيارته للولايات المتحدة « أن الصهيونية والشيوعية توأمان لاينفصمان .. الصهيونية أم الخبائث... » ان تحويل العرب اشتراكياً هدفه – كما قال مؤسس البعث ميشيل عفلق – إلتقاء العالم العربي مع الصهيونية وإسرائيل في الحل الاشتراكي لأوضاع منطقة الشرق الأوسط .

إن الاحزاب « الاشتراكية » في العالم العربي ترى أن تحرير فلسطين لايتم إلا باقتلاع جذور الدين الاسلامي من المجتمع العربي.. لهذا فإن الاحزاب الثوريه، تعمل علي تغير الواقع العربي والوجود العربي من الجذور بهدف اضعاف الأمة العربية وإحداث الشقاق وزيادة الخلافات العربية لتتحول الشعوب العربية من عقيدتها الإسلامية إلى النظم الماركسية الشيوعيه .. وهذا ما حاول تحقيقه صدام حسين التكريتي في المنطقة العربية عندما احتل دولة

الكويت في اليوم الثاني من شهر آب « أغسطس » ١٩٩٠م .

إن الاشترايكة التي يسمونها « اشتراكية علمية » ما هي إلا مقدمات لأفكار تخريبية تذوب فيها الطبقات والأجناس والعروق وتسود فيها طبقة واحدة وهي طبقة « البروليتاريا» أو ما يسمى بطبقة الفلاحين والعمال وذلك حسب مفهوم فلسفة « ميشيل عفلق » وأيضاً فلاسفة الأحزاب الشيوعية الماركسية .. فالاشتراكية هي دعوة صريحة إلى التفرقة والصراع الطبقي بين الشعوب الإسلامية التي تقوم على العقيدة الإسلامية والعدالة الإجتماعية ، لتحل مكانها أنظمة تقوم على العنف السياسي وإراقة الدماء العربية ، وبث فوضى فكرية عقائدية تستهدف هدم الأسس الثابتة التي يقوم عليها الخلق الإسلامي والديانة الإسلامية السمحة والعدالة الإجتماعية التي هي من أسس مبادىء الإسلام .

إن « الاشتراكية العربية » التي اطلقتها الفئات « الاشتراكية » الضالة ليس لها هوية في عالمنا العربي ، ولم تكن معروفة من قبل .. فهي مبادىء مستوردة ومستمدة في خطوطها العامة من مبادىء كارل ماكس ، وهي نفس المبادىء التي طبقتها الاحزاب الاشتراكية الشيوعية في دول أوربا الشرقية ، وفي بعض أجزاء العالم الأوروبي .. فالاشتراكية تحدث عنها « شاوشيسكو » السكرتير العام للحزب الشيوعي الروماني عام ١٩٦٤م فقال : « لاتوجد شيوعية قومية وشيوعية دولية بل الشيوعية هي في نفس الوقت قومية دولية » .

كما أن الزعيم الشيوعي ستالين سبق أن تفوه عام ١٩٤٤م عن هدف الحزب الشيوعي الروسي فقال : « إن الدولة السوفياتية دولة ملحدة .. نحن ملحدون .. ونحن نؤمن بأن فكرة الله خرافة .. ونحن نؤمن بأن الإيمان بالدين يعرقل تقدمنا .. ونحن لانريد أن نجعل الدين مسيطراً علينا ، لأننا لانريد أن نكون سكارى .. لذلك إن حزبنا لا يستطيع أن يقف موقفاً سلبياً من الدين .. فالدين خرافة وجهل .. وليس صحيحاً أن الله هو الذي ينظم الأكوان ... وإنما الصحيح هو أن الله فكرة خرافية اختلقها الإنسان ليبرر عجزه ، ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو شخص جاهل عاجز » .

وفي عام ١٩٣٨م حدد «ستالين » مهمة كل من ينتسب للأحزاب الشيوعية خارج الاتحاد السوفياتي فقال : «ان الشيوعي المخلص في الدول غير الشيوعية هو الذي يعرف كيف يقضي على نظم الحكم غير الشيوعية بلا رحمة، وبلا هوادة، أو شفقة.. وهو ذلك الذي

يستعين بكل وسائل التضليل والخداع ، وسعة الحيلة لفرض النظم الشيوعية على البلاد التي يعمل بها .. ودعوني أوضح لكم بصراحة، أن نظامنا الشيوعي لا يؤمن بالحرية الفردية ، فالحرية الفردية تعني القضاء على «الجماعية» في الحزب الشيوعي، وتعني الانحراف عن الماركسية، وهذا النوع من الحرية الفردية هو أخطر ما يهدد نظامنا الشيوعي».

إن ما قدمته للقارىء الكريم عن المبادىء الشيوعية وأهدافها التخريبية في العالم وفروعها في الدول العربية ما هو إلا نماذج قليلة جداً، وهي منقولة عن أساطين الشيوعية العالمية، وكانت الصحف العربية اليسارية الماركسية تنشرها في صدر صفحاتها الأولى وتفرز لها العناوين الكبيرة بهدف الدعاية للنظام الشيوعي العالمي.. لذلك كان الاتحاد السوفيتي يحتضن اليسار العربي ، ليدفع بالدول العربية نحو الاشتراكية الماركسية «الثورية» ، وكانت الأحزاب الشيوعية العربية وقادتها تنظر إلى مصلحتها ، بصورة خاصة ، ولمصلحة وجودها على الساحة العربية، والساحة الدولية بصورة عامة، وكانت مهمة تلك الأحزاب الملحدة بالدرجة الأولى الإساءة لمفهوم العقيدة الإسلامية، والوقوف في وجه كل تضامن إسلامي يهدف الى جمع الأمة الإسلامية.

ولإعطاء المزيد من الإيضاح عن محور الحركات الشيوعية العلمانية ومبادئها الملحدة، نقول: إنها كثيرة وبعيدة في مراميها ومن أهمها : الاستيلاء على أموال الشعوب وتجريدهم مدنياً وحجز جميع ممتلكات رجال السياسة والأعمال والمال وأصحاب المهن، واحتكار الدولة للتجارة الخارجية بكل أنواعها ، حتى ان المهن الأخرى كالطب وعلومه، وعلوم الجراحة، والعلوم الرياضية، والفلك ، والاجتماع ، وعلم النفس وسائر العلوم الأخرى كلها مقيدة بالنظام الشيوعي الاشتراكي، وبذلك يكون جميع أبناء الشعب تحت سيطرة النظام الهدام، كما أن حرية العامل في النظام الاشتراكي ، هي خرافة ووهم، كباقي الحريات الأخرى، فالعامل مستعبد لا يستطيع أن يتبرم من عمله، ومن المصنع الذي يرتبط به، وعليه أن يعمل في الأوقات التي يحددها النظام الاشتراكي ويفرضها عليه، وإذا تمرد عن العمل يكون عقابه السجن أو التعذيب أو الموت، وإذا تأخر العامل أو تقاعس في عمله يساق إلى لجان تأديب العمال والمحاكم العمالية لينال العقاب، وقد يصدر عليه الحكم بالإعدام، لأنه خالف مبدأ النظام الاشتراكي الشيوعي.

إن الحرية الشخصية في النظم الاشتراكية والشيوعية معدومة، لأن البيئة الحاكمة تسلب الفرد حرية التفكير والقول والعمل والرأي والانتقال، وتجعل لسلطة الدولة السلطان المطلق في إصدار الأحكام على الأفراد دون إبداء الأسباب.

والحرية الاقتصادية لا تجد في الاشتراكية نصيراً وهي مفقودة على الاطلاق لأن كل وسائل الانتاج سواء أكانت صناعية أم زراعية أم كانت تتعلق بأي مرفق من مرافق الحياة ، أو أي مصدر من مصادر الثروة فهي ملك للدولة ، وتقضي الأنظمة الشيوعية والاشتراكية تملك الدولة لكل شيء قل أو كثر؛ فالفرد لا وجود له ولا حرية له لأنه استحال من إنسان إلى «رقم » هو «آلة» في صورة آدمي، وهو عامل لدى الدولة ، وراتبه هو طعامه ومسكنه، لذلك فالتنافس الذي هو روح الحرية الاقتصادية لا وجود له عند أفراد الشعب لأنه وقف على أعضاء النظم «الثورية» الشيوعية والاشتراكية، لذلك فإن الاشتراكية تهدف إلى تحطيم المبدأ الاقتصادي الإسلامي الذي يقوم على الحرية الفردية. والاشتراكية بالمفهوم السياسي في مجال التطبيق العملي لا تؤمن بالدين ولا بوجود الخالق – كما تفوه الزعيم السوفياتي ستالين – .

فالعلمانية عبارة عن تهميش لكل الحضارات، وبخاصة ما يتصل منها بالحياة الاجتماعية والثقافية والتعليمية والإعلامية والفنون، ويدخل في هذا الباب عزل العلوم الإسلامية، لتحل مكانها العلوم الاشتراكية العلمانية، وهي مليئة بالعلوم التحررية والتقدمية – كما يدعون –، وبذلك تتحطم معنويات الطلاب والطالبات بسبب إبعاد العلوم الدينية والثقافة الإسلامية عن برامج التعليم، بحجة أن الثقافة الإسلامية أصبحت من مخلفات القرون الوسطى.

بينما يعلم الجميع ان العقيدة الإسلامية كان لها تأثير كبير على تربية الأجيال الإسلامية وتوجيههم التوجيه السليم نحو دعوة الحق ونشر الفضيلة والعدل ضمن مبادىء الشريعة ومناهج التربية الإسلامية التي حددتها رسالة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

بينما العلمانية موجَّهة لإبعاد شرع الله وإصدار القوانين الوضعية لتكون مطابقة للنظام العلماني ، وفي ظل العلمانية يتم إلغاء النظم الشرعية التي أنزلها الله لتحل مكانها الأنظمة العلمانية، وقد تم فعلاً وضع قوانين وضعية في كثير من الدول العربية والإسلامية التي تأثرت بالعلمانية وأصبحت تلك القوانين بعيدة عن هدى الإسلام الذي جاء به الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم.

ولا ريب أن الإستعمار الغربي للدول العربية والإسلامية لعب دوراً قذراً ، إذ مكّن للعلمانية التي تولدت عنها آثار ضارة في العالم الإسلامي وشعوب الأمة الإسلامية فشوه الإستعمار التاريخ الإسلامي ، والحقائق التاريخية والثقافية والروحية ، وعمل على تفكيك الروابط بين المسلمين واضعاف وحدتهم كما عمل على تفرقهم.

فالعلمانية من بنات القوة الخفية المتفرعة من الإلحاد ومن كثير من الحركات الفكرية والفلسفية، التي شوهت حياة الإنسان وأصابته بالشلل والفوضى، إن كل فلسفة منحرفة، وكل نظرية مخادعة ، إنما هي من صنع الشيوعية التي شجعت وبذلت كل جهد لنشر تلك المبادىء الهدامة والدعاية لها، وباستعمال شعارات براقة لجذب الشباب اليافع إليها مثل: حرية، مساواة، أخاء، إنسانية، ومحبة .. الخ. وكلها شعارات براقة لا وجود لها في النظام. إن الشيوعية نظام بطانته وقوامه العلمانية الإلحادية . وهذه العلمانية الإلحادية أفرزت النظام الشيوعي الذي يعمل ليستأصل كل إتجاه ديني.

وفلاسفة المبدأ العلماني هم مثل سائر المذاهب والحركات الأخرى يفسرون الألفاظ بحسب أهوائهم لا بحسب مدلولها الحقيقي. فسموا الفوضى حرية، وجعلوا الخلاعة والمجون والفسق والفجور والاباحية شريعة متبعة، وجعلوا كل ممنوع مباحاً، وكل حرام حلالاً ، وكل حريز مشاعاً، وقضوا على عاطفة الأمومة والأبوة، وهم قد نشروا مذهبهم بالسيف وبالدس والمكر والمكيدة.

وموجز القول أن الشيوعية العلمانية أشنع ما عرف من أنواع الكفر، حمى الله الإنسانية من الشيوعية والشيوعيين ومن سائر الدعوات الجاهلية والنزعات الطاغوتية ، وأعاذ الإنسان المسلم من الشيطان الرجيم.. أليس غريباً وعجيباً، أن يضع بعض العرب أيديهم في أيدي هؤلاء الخبثاء لتطبيق مثل هذه المبادىء التي ترفضها الشريعة الإسلامية.

وأقول لزعماء الشيوعية في العالم ولكل شيوعي في العالم العربي وخارجه، إن وجود الله عز وجل من البديهيات التي يدركها الإنسان بفطرته ويهتدى إليها بطبيعته، وقد جاءت الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، لتصحيح فكرة الناس عن وجود الله تعالى، فقد قال عز وجل : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك» سورة محمد ، الآية: (١٩) « هذا

بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد» سورة إبراهيم، الآية : (٥٢).

ويؤكد «القرآن الكريم» بأن الله تعالى هو مالك الملك، وأن الله عز وجل موجود وهو متفرد بالوحدانية وهذا ثابت بالأدلة والبراهين، ولقد بعث الله تعالى نبي الإسلام وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم للقضاء على التصور الجاهلي ولتطبيق شرع الله ، وإقامة مجتمع متين يقوم على الحق والعدل والأمن والتوازن بين أفراد الأمة، لذلك فالإسلام يضمن أمن الإنسان وطمأنينته ويحميها عن طريق إقامة شرع الله وحدوده.

ان السفسطات الستالينية وأمثالها ناتجة عن المكايد التي حاكها الشيطان للإنسان، في العصر الحديث لقيام نظام للحياة يقوم على البلاء وهي مضادة للعقيدة الإسلامية التي فيها نور الهداية، فالإسلام هو العدالة الاجتماعية بعينها، وهو دين الحق الذي أنزله خالق الكون وربه لهداية الناس.

لقد كانت الدعوة الإسلامية هي الدعوة الحقيقية التي أنصفت الإنسان واحترمت إرادته وحققت كرامته وذلك عند بزوغ فجر الإسلام في مكة المكرمة قبل نيف وأربعة عشر قرناً ، وقامت على أسس راسخة متينة أولها توحيد الله تعالى والقيام بالواجبات التي أنزلت على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم الذي كون أمة بكاملها ، كانت ترجمة حية للإسلام ، لذلك فإن الإسلام صالح لكل زمان ومكان بل لا صلاح للبشرية إلا به حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فالرسالة الإسلامية السماوية، فيها الأصول والمبادىء الكفيلة بحاجات الحياة الإنسانية.

إن الشريعة الإسلامية دين يعمل لإصلاح الحياة الدنيا، باقامة المنهج الإلهي الذي يأمر بالعدل والقسط، ويدعو إلى الجهاد في سبيل الله ، لئلا تفسد الحياة ويقع الظلم على الناس. وعلى أساس الإسلام قامت الحضارة الإسلامية وازدهرت العلوم في ظلها وإن الدول الغربية قد تعلمت الكثير من معارف العلم الذي وجدته عند المسلمين ، كما أخذت الكثير من الأصول الحضارية والتقاليد العريقة التي وجدتها عند المسلمين.

ونحن نقول للشيوعيين وأتباعهم الاشتراكيين بل نقول للعالم أجمع إن هذا الإسلام هو الحق وما دونه هو الباطل ، ولم تجن الإنسانية مما جادت به الطغمة الشيوعية من لينين وستالين وأتباعهما إلا الشر والفساد والكوارث .فالملحد الكافر إنما يعيش حياة مضطربة لا اطمئنان فيها ولا استقرار ، مقيداً بسلاسل العبودية، ويكون عبداً للأهواء ، أو الخرافات ،

والأوهام السخيفة ، لأنه يسبح في ظلمات من الجهل.

لذلك فإن «الشيوعية » أو «الاشتراكية» إنما هي أفكار هدامة ومحاولات تخريبية استطاع أن يصبها مبتدعها الأول « كارل ماركس» ورفيقه «الفريد ريك أنغلز» في قوالب فكرية خدّاعة وقد تسللت الأفكار الشيوعية إلى العالم العربي لتحقيق مصالح أفراد في الأحزاب المتسلطة على مقدرات بعض أجزاء من العالم العربي .

وبعد فإن «الشيوعية» أو «الاشتراكية » تستهدف كل منهما هدم الكيان الاجتماعي وتحطيم كل ماتعارف عليه العالم المتحضر، وتتعمد هدم القيم الإنسانية والفضائل والأخلاق. لذلك فإن هذه المبادىء والنظريات الهدامة مرفوضة رفضاً باتاً في المجتمعات الإسلامية، مهما تسترت بشعارات العدل الاجتماعي، أو تذويب الطبقات ، أو القضاء عليها.

والاشتراكية « الثورية » ليست في حقيقتها سوى نموذج عن الشيوعية الماركسية وهي الصورة الخلفية لحقيقة الشيوعية. وإن جميع الاشتراكيات «الثورية» العالمية قد اخفقت في تحقيق أي تقدم لشعوبها.

وفي محيط الاشتراكية الشيوعية ، كان من المعروف عند جميع شيوعي العالم، منذ قيام الثورة الشيوعية في روسيا القيصرية عام ١٩١٧م أن موسكو أصبحت مركز الشيوعية العالمية ، وقائدتها الوحيدة لتحقيق شيوعية العالم ، فقد قال ستالين الزعيم الشيوعي في عام ١٩٢٩م : «الشيوعي المخلص في أي دولة من دول العالم هو الشخص الذي يعلن دائماً ولاءه للاتحاد السوفياتي ».

وبعد فلنتساءل ماذا كانت نهاية هذا النظام الذي ادّعى أنه سيكون نظام العالم كله، وأنه قائد لتحقيق الشيوعية في العالم؟

لقد شهد العالم مع نهاية عقد الثمانينيات من هذا القرن الميلادي نهاية الاتحاد السوفياتي وانهيار النظام الشيوعي فيها الذي كان مصدر القلاقل والانقلابات العسكرية في العالم العربي، وشاهدنا زعماء روسيا الجدد قد سلكوا طريق الحوار المتواصل والصريح في العلن وخارج الأبواب الموصدة لايجاد ظروف دولية تساعد روسيا الجديدة في تقدمها وتطورها داخلياً للتخلص من النظام الشيوعي البائد الذي حطم هذه الدولة العظمى سابقا، وايجاد تعاون قائم على التكافؤ والتفاهم المتبادل لتحديد طرق التحديث الاقتصادي والاجتماعي، مع

تحقيق نمط طبيعي لحياة كل شخص وكل أسرة وللمجتمع الروسي دون ثورة أو انقلاب ودون أكراه وتسلط ، مجرد حياة طبيعية ، مع متابعة تنفيذ التغيير الاقتصادي والتحول نحو الاقتصاد الحر. مع تعميق العلاقات الروسية مع العالم الغربي ، ومع دول العالم أجمع.

لقد ثبت أن التجربة الروسية «الماركسية» لم تحقق في السنوات الطويلة التي استمرت أكثر من سبعين سنة، الرخاء، ولا الحرية، ولا المساواة ، بين أبناء الشعب السوفياتي ، لذلك تراجعت روسيا عن نظامها الشيوعي بعد أن ثبت أن ذلك النظام كان يقودها – ويقود كل من أخذ به – إلى الفقر والجوع والهلاك.

ثم إننا نؤكد لكل ضال وجاهل بل ولكل إنسان عاقل، بأن الله عز وجل، هو خالق هذا الكون كله، وهو الذي خلق الإنسان على هذه الصورة الأنسانية الكريمة، وهو الذي أتقن كل شيء خلقه الانسان فسواه فعدله، وجعله عاقلاً ومفكراً ، ولا يكون الإنسان سوياً إلا إذا كان مؤمناً،، والإيمان هو اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان وتصديق لما جاء « كتاب الله العزيز » أن الله تبارك وتعالى هو الخالق لهذا الكون ومن فيه من البشر، فهو ربهم ومالكهم والحكم والأمر والنهي هو لله وحده وعلينا طاعته في كل الأمور ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولنفتح قلوبنا لآيات الله تعالى إذ يقول : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون» «لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » « لو أنزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » « هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون» « هو الله الخالق الباري المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم» «سورة الحشر الآيات من (١٩) حتى (٢٤) . « صدق الله العظيم » .

إن ما يؤكد قدم العلاقات التاريخية بين البيت الأبيض الأمريكي وقادة حزب البعث العربي الاشتراكي منذ ظهور الحزب ما رواه برهان الدين باش أعيان رحمة الله عليه وزير خارجية العراق في حكومة نوري السعيد في العهد الملكي . لقد اختار الوزير العراقي الإقامة في المملكة العربية السعودية بعد أن تولى حزب البعث العراقي مقاليد السلطة . وقد جمعتني مع الوزير العراقي جلسة عامة عام ١٩٧٢م بحضور الدكتور محمد معروف الدواليبي وفيها روى القصة الآتية ـ وكان الشعب السوري على معرفة لأجزاء منها ـ وهي :

« في عام ١٩٥٧م استطاع الحزب الشيوعي التسلل لصفوف الحكم الوطني في سورية وظهر ذلك من إسناد منصب رئاسة الأركان العامة للواء عفيف البزرة «الدمشقي الشيوعي » خلفاً للواء توفيق نظام الدين المحسوب على الحكم الوطني ... وهذا التبديل أثار الإدارة الأمريكية فقررت الولايات المتحدة إجراء عمل ما مشترك مع الحكومتين العراقية والتركية بصفتهما عضوين في حلف بغداد للتخلص من السيطرة الشيوعية التي هيمنت على سورية وبصورة خاصة على الجيش السوري . فأجرى الرئيس الأمريكي إيزنهاور اتصالات سرية وشخصية مع القيادتين التركية والعراقية بواسطة وزير خارجيته المستر «دالس » وأبلغهما بإرسال نائب وزير الخارجية المستر « هندرسون » إلى أنقرة لتسليم رئيس وزراء كل من العراق وتركيا نوري السعيد وعدنان مندريس رسالة وصفت بأنها مهمة وفضّل أن تكون شخصية بدلاً من إرسالها بالبريد الرسمي حتى لا يتسرب مضمونها . وفي الموعد المحدد غادر نوري السعيد بغداد وكنت برفقته إلى تركيا – والكلام لباش أعيان – وتم اللقاء المقرر بنائب الوزير الأمريكي نيابة عن المستر دالاس وزير الخارجية » .

وأضاف باش أعيان يقول : « إن المبعوث الأمريكي بدأ الحديث عن مهمته الخطيرة في هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه المنطقة ولا سيما سورية بالذات التي أضحت في عداد البلدان الشيوعية وذلك في أن تقوم القوات العسكرية العراقية بعملية عسكرية محدودة للإطاحة بالحكم السوري والتخلص من العناصر الشيوعية ، – هذه المعلومات كانت معروفة في سورية خلال تلك الفترة . ولكن المجهول منها الآتي – : طلب الرئيس إيزنهاور – كما قال هندرسون – الحفاظ على سلامة بعض السياسيين البارزين خلال تلك العملية . وتابع باش أعيان حديثه يقول : وبما أني أعرف جميع السياسيين السوريين من رجال الرعيل الأول الذين ضحّوا في سبيل سيادة سورية ، فقد توقعت أن يكون الذين عناهم هندرسون هم هؤلاء الوطنيين المخلصين أمثال الرئيس شكري القوتلي ، ولطفي الحفار وصبري العسلي وخالد العظم ورشدي الكيخيا وميخائيل ليان وحسني البرازي والدكتور منير العجلاني وغيرهم ،

ولكن المفاجأة الكبرى التي لم أتصورها أن يكون هؤلاء هم ثلاثة من أقطاب حزب البعث العربي الاشتراكي ، ميشيل عفلق ، وصلاح البيطار ، وأكرم الحوراني ... لذلك تأكد لنا من هذا الموقف الأمريكي ان « البعث » له دور مهم وبارز في القضايا العربية المصيرية ولا سيما قضية الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية ».

إن هذه القصة التاريخية التي رواها وزير خارجية العراق إنما تزيد الريبة والشكوك في وجود عفلق والبيطار والحوراني وفي تصرفاتهم وأساليبهم السياسية وسعيهم للسيطرة على مقاليد السلطة في سورية آنذاك . لا سيما وأن حزب البعث كان المنافس الوحيد للأحزاب الماركسية وبخاصة الحزب الشيوعي السوري / اللبناني بزعامة خالد بكداش الموالي لموسكو ، ولجماعة القوميين العرب بزعامة جورج حبش ولكن في الوقت نفسه كان للاتحاد السوفياتي مواقف خاصة مؤيدة « للبعث » ولحركته السياسية باعتبار أن هذه الحركة تنسجم مع مبادئ لينين وستالين .

« إن الأحزاب العقائدية الملحدة نشرت جواً من الإرهاب الفكري والمادي مما أذلّ المواطن العربي ثم جعله يميل إلى استعمال النفاق تقية وتخلصاً مما يهدده من مصير أسود. لقد جنحت تلك الاحزاب بعد تسلمها السلطة إلى أسلوب لا إنساني فعاقبت على الشبهة ونفذت مبدأ المسؤولية الجمعية وقتلت وسجنت وأفقرت وأجاعت كل من يرى أنه ليس مؤيداً ولا مؤمناً بمبادئها ، ثم مدّ بعضهم يده إلى خزانة الدولة فعمل فيها إسرافاً وبعثرة . لقد سلك حكام هذه الأحزاب مسالك اعطت منها بعض الحق ليقول الناس فيها أقوالاً تصف ظواهر الأمور البادية للعيان فهي في نظر الناس :

١ – ثورة الجهل على العلم وذلك برفع الجهلاء من الحزبيين وخفض العلماء سواهم .
٢ – وثورة التحلل وقطع الأواصر الاجتماعية عن المروءات والأخلاق العربية .
٣ – ثم هي فوق ذلك ثورة الالحاد والمروق على الدين ومناخه الروحي .
٤ – وثورة المصالح المادية على المعاني السامية والمصطلحات الإنسانية .
٥ – وثورة الماركسية على القومية وتراثها العربي الثمين .

لذلك فإن الشعب قد ملّ وضجر من الانقلابات العسكرية التي كانت تقع في سورية بين وقت وآخر ». وخلال المحاكمات البعثية التي شهدتها سورية في منتصف الستينيات ، قال اللواء فهد الشاعر وهو درزي الأصل وبعثي « ملتزم » « إن جيشنا يشتغل في السياسة ثماني عشرة ساعة ، ويأكل وينام خمس ساعات ، ويتدرب ساعة واحدة في اليوم ... إن هذا الجيش لن يرجى منه نفع ساعة المحنة » .

بدوي الجبل .. والهزيمة

في ختام هذه الحلقة أسجل في هذا الكتاب ماجادت به عبقرية « شاعر العربية » محمد سليمان الأحمد « بدوي الجبل » بعد الهزيمة الكبرى التي لحقت بالجيوش العربية الثلاثة سورية ومصر والأردن في حرب الخامس من حزيران « يونيو » ١٩٦٧م ، في ظل نظام الرئيس جمال عبدالناصر و النظام « البعثي » السوري في عهد حكم الدكاترة الثلاثة نور الدين الأتاسي ويوسف زعين وإبراهيم ماخوس ، بقيادة اللواء صلاح جديد ورئيس مخابراته العقيد عبد الكريم الجندي .

والقصيدة أعلنها الشاعر الكبير بعنوان « من وحي الهزيمة » وهي مؤلفة من مئة وستين بيتاً فيها براكين وصواريخ ، وفيها معارك وغارات ، وفيها دموع وآهات ، ولكن بواسطة أقواله الصارخة الصادعة وقد اخترت منها الأبيات الآتية :

هُزِم الحاكمــــون - والشــعبُ في الأصـفادِ ، فـالحُكْمُ وحده المكسورُ
هلْ دَرَتْ عَدْنُ أن مَسْجِدَها الأقصى مكــانٌ مـــن أهلـــهِ مهجــورُ
لــم يُرَتَّــلْ قُــرآنُ أحْمَدَ فيـــه ويُــزارُ المَبْكـى ويُتْلـى الزَّبُــورُ
يـالَـذُلِّ الإســلامِ والقُــدْسُ نَهْـبٌ هُتِكَــتْ أرْضُــهُ فـأيْــنَ الغَيــورُ
خَجِــلَ الحاكمــونَ شَرْقـاً وغَرْبـاً ورئيـــسٌ مُسَيْطِـــرٌ ووزيــــرُ
إشْتِــراكيَّةٌ ؟! وكَنْــزٌ مـن الـدُرِّ وزهـــوٌ ومِنْبَـــرٌ وسريـــــرُ
إشتــراكيَّةٌ تعاليمُهــا : الإثـــراءُ والظُّلْـــمُ والخَنــــا والفجــورُ
إشتـراكيَّـــةٌ ! فـإن مَــرَّ طـاغٍ صَفَّ جُنْدٌ له ودَوَّى نَفيـــــــرُ
بــاركَ اللهُ في الحنيفيـةِ السمحاءِ فيهـــا التسهيـــلُ والتيسيـــرُ
محنــةُ الحاكِمينَ جَهْلٌ ودَعْـــوى جُبُـــنٌ فاضحٌ ومَجْـــدٌ عَثُــورُ
هتكــوا حُرْمَــةَ المســاجِدِ لاجِنكيزُ باراهُــــمُ ولا تَيْمـــــورُ

قحموها على المُصَلِّينَ بالنارِ فشِلْوٌ يعلو وشِلْوٌ يغورُ
أمْعَنوا في مصاحِفِ اللهِ تمزيقاً ويبدو على الوجوهِ السرورُ
فُقِئَتْ أعْيُنُ المُصَلِّينَ تعذيباً وديسَتْ مناكِبٌ وصُدورُ
جامِعٌ شادَه على النُورِ فَحْلٌ أمَويٌّ مُعَرِّقٌ منصورُ
لم تُرَعْ فيه قبل حُكْمِ الطواغيت ـ طيورٌ ولا استبيحتْ وكُورُ
وغداً يَذْبحُ الرفيقَ رفيقٌ مِنْهُمُ والعشيرَ فيهم عشيرُ
إرجعوا للشُعوبِ يا حاكميها لَنْ يُفيدَ التهويلُ والتغريرُ
صارحُوها .. فقد تبدَّلَتِ الدنيا وجدَّتْ بعد الأمورِ أُمورُ
لا يقودُ الشعوبَ ظُلْمٌ وفَقْرٌ وسِبابٌ مُكَرَّرٌ مَسْعورُ
لم أُهادِنْ ظُلْماً وتدري الليالي في غدٍ أيُّنا هُوَ المَدْحورُ !

وبعد إعلان هذه الملحمة الشعرية الرائعة التى نالت استحسان وتقدير الشعب السوري والشعوب العربية الأخرى بعد نشرها في بعض الصحف اللبنانية قرر قادة النظام السوري بقيادة اللواء صلاح جديد التخلص من الشاعر العربي وأعَدَّ العقيد عبد الكريم الجندي خطة لقتل « شاعر العربية » .

وكان « بدوي الجبل » يمارس صباح كل يوم عادته الرياضية وهي المشي في شارع « أبي رمانة » في مدينة دمشق ، وفي صباح يوم باكر انهال عليه عميلاً في جهاز مخابرات الجندي « الطاغية » بالضرب والطعن المبرح ثم وضعه في سيارة مجهولة ونقل إلى موقع مجهول من أجهزة المخابرات .

والشاعر « البدوي » من مواليد قرية « ديفة » في جبال العلويين وكان رحمه الله من الشخصيات الوطنية البارزة مدافعاً عن وطنه غيوراً على نظام الحكم البرلماني الديمقراطي كما كان عضواً في « الكتلة الوطنية » ثم في « الحزب الوطني » ، ونائباً يمثل « جبل العلويين » في المجالس النيابية ، كما تسلم منصب وزارة الدعاية والأنباء ووزارة الصحة وقد أقام في مدينة دمشق التي بادلها الحب والوفاء .

* * *

مؤامرة السراج على السلطان محمد الخامس !!!

بمناسبة قيام الوحدة الاندماجية بين سورية ومصر لابد أن أشير إلى أن ولي عهد اليمن محمد البدر قد أرسل يوم إعلان الوحدة برقية إلى الرئيس جمال عبدالناصر يعلن فيها رغبته في الإنضمام إلى مصر وسورية بإتحاد فيدرالي فقط مرجحاً الاحتفاظ بكيان دولته وسيادتها المحلية ، وأعلن عبدالناصر موافقته ودعا ولي العهد اليمني إلى القاهرة لتثبيت النصوص وتوقيع الاتفاق . ولم يبد عبدالناصر رغبته في أن يشترك أحد من السوريين في هذه المباحثات. وكانت أول بادرة من سياسته في ابعاد السوريين عن القضايا الأساسية ، وفي اتباع سياسة التسلط والانفراد بالحكم .

وخلال الزيارة الأولى التي قام بها جمال عبدالناصر لدمشق عقب إعلان وحدة البلدين وصل إلى العاصمة السورية محمد البدر ولي عهد اليمن ووقع الاتفاق مع عبدالناصر على قيام « الدولة العربية المتحدة » التي تشترك فيها الجمهورية العربية المتحدة واليمن ، وسمي إحسان الجابري – « من حلب » وكان رئيساً للجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي السوري– رئيساً للدولة العربية المتحدة . ووافق محمد البدر على الشروط والقيود التي وضعها عبدالناصر والتي جعلت الاتحاد وهمياً أكثر منه أمراً واقعياً وعملياً ، ولم تمض سنة على توقيع الاتفاق ، حتى أعلن الإمام أحمد ملك اليمن سخطه على الأسلوب المصري ، وأصبحت اجتماعات مجلس الاتحاد نادرة. ومن جهه أخرى وصل دمشق أيضاً الملك محمد الخامس ملك المغرب رحمه الله وذلك في مطلع شهر آذار « مارس » ١٩٥٨ م لتهنئة الرئيس عبدالناصر بقيام الوحدة . وخلال إقامة ملك المغرب في مقر الضيافة بدمشق اكتشفت أجهزة الملك محمد الخامس المرافقه له أجهزة تنصّت في مقر إقامة وغرف الضيف وحاشيته للتجسس على المكالمات الهاتفية . وقد تبين أن أجهزة المخابرات السورية برئاسة العقيد عبدالحميد السراج هو الذي أمر بوضع هذه الأجهزة التنصّتية للتجسس على نشاط الملك رحمه الله وكادت تقع أزمه سياسية حادة بين المغرب والجمهورية العربية المتحدة .

ثم انتقل الملك محمد الخامس من دمشق إلى بيروت في زيارة رسمية تلبية لدعوة الرئيس كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية – آنذاك – . وخلال الزيارة وضعت أجهزة المخابرات السورية وبتوجيه من القيادة الناصرية خطة دنيئة لاغتيال ملك المغرب في بيروت ، وفي الحال أشعرت الجهات الوطنية العربية المخلصة وفي مقدمتها الحاج محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين رحمه الله – الملك محمد الخامس بالخطة – ، بعد أن

وضعت هذه الجهات يدها على تفاصيل الخطة ، واقترحت الجهات الوطنية على الملك محمد الخامس اختصار زيارته للبنان ، وهكذا كان ، فقد قطع الملك محمد الخامس زيارته وغادر العاصمة اللبناينة عائداً إلى المغرب .

وأقول في هذا المجال إن القيادة الناصرية فرضت تعتيماً إعلامياً على محاولة اغتيال الملك محمد الخامس في بيروت ، كما فرضت من قبل تعتيماً مماثلاً على ماكتشفته الأجهزة المرافقة للملك محمد الخامس من وجود أجهزة التنصّت السرية في مقر إقامة الملك خلال زيارته الرسمية لدمشق . ولم يسبق أن نوهت أجهزة الإعلام العربية أو العالمية عنهما بشيء ؛ لأن معظم أجهزة الإعلام العربية كانت مسخرة في خدمة النظام الناصري . لذلك أكشف أنا النقاب عن هذين الحدثين الخطيرين لأول مرة بعد أن مضى عليهما ما يزيد على ٣٥ سنه .

كانت مخططات جمال عبدالناصر التآمرية كما شهدها العالم حينذاك تتجاوز كثيراً أبعاد قيام الوحدة التي تنادي بها الشعوب العربية المخلصة ، لتنال هذه الابعاد القادة العرب الوطنيين . وذلك باحداث قلاقل في العالم العربي والعمل على تصفية الأنظمة الملكية في كل من العراق والمغرب والأردن والمملكة العربية السعودية واليمن والكويت والأمارات العربية في دول الخليج العربي وليبيا على مثال ما جرى في مصر عندما أطاح عبدالناصر بالحكم الملكي وأبعد «الملك فاورق الأول » ليتاح له قيام الأمبراطورية الناصرية في العالم العربي وإقامة النظام الاشتراكي الذي يقوم على المبادىء الاشتراكية الالحادية العلمانية في منطقتنا العربية.

لقد تمكنت الدعاية الناصرية بعد شرائها لبعض الضمائر العربية المريضة من تحقيق أهدافها في بعض الدول كالعراق واليمن وليبيا التي يقوم الحكم فيها على الأنظمة الملكية ، كما وقعت انقلابات عسكرية في بعض الدول العربية الأخرى بتحريض من أجهزة المخابرات الناصرية لتسير هذه الدول في ركاب السياسة الناصرية ، بينما وقفت الأنظمة الملكية الأخرى سدّاً منيعاً في وجه هذه التيارات المعادية للعقيدة الإسلامية تساندها في ذلك الشعوب الإسلامية الملتزمة بعقيدتها السماوية السمحة .

ومنذ أن وقع الانفصال السوري عن مصر بدأ جمال عبدالناصر في محاولة للالتفاف نحو اليمن والجنوب العربي محاولاً إلهاء الشعب المصري عن الكارثة السياسية التي حلت به بعد خسارته لسورية ، فحاول الإستيلاء على اليمن يوم ٢٦ أيلول « سبتمبر » ١٩٦٢ م بعد أيام معدودة من وفاة ملك اليمن الإمام أحمد رحمه الله والبيعة للإمام محمد البدر ، حيث وقع في ذاك التاريخ إنقلاب عسكري في صنعاء وأعلن قيام « الجمهورية الاشتراكية اليمنية » في

البلاد وكانت السفن والطائرات المصرية تنقل قواتها والأسلحة والمؤن من مصر إلى اليمن لمساعدة قادة الإنقلاب وذلك ليضعهم جمال عبدالناصر تحت وصاية القيادة الناصرية وأسلحتها ، ودعايتها ، و« دبلوماسيتها » ، وَوَقَّعَ مع قادة الانقلاب ميثاق « دفاع مشترك » للدفاع عن نظام الجمهورية الاشتراكية وهو نظام الحكم الجديد في اليمن ، ولتثبيت النظام الجمهوري الذي قام على الاشتراكية التي ينادي بها عبدالناصر .

* * *

مخطّط صدّام لقيام دولة البعث !!

بعد أن طرد ميشيل عفلق من سورية في عام ١٩٦٦م أخذ يمارس نشاطه السياسي الهدام في العاصمة اللبنانية ليكون على مقربة من مدينة دمشق التي غزا منها الشعب العربي بأفكاره ومبادئه العلمانية . ونشر مقالاً يحرّض فيه على الثورة في العالم العربي وركز فيه على أوضاع الخليج العربي ودعا إلى تطبيق الاشتراكية بالقوة في المنطقة وبالوسائل الثورية وكان عنوان المقال « الجماهير هي الضمانة » قال فيه : « ***الجماهير هي المرجع الأخير ، والجماهير هي اليوم أكثر من أي وقت مضى صانعة الثورة وصانعة التاريخ ... ذلك أن الأحداث المصيرية كشفت الخلل والمرض في الأنظمة والحركات الثورية ، وكشفت كيف أن القيادات متخلفة عن القواعد ، والقواعد متخلفة عن الجماهير ، الجماهير هي المرجع الأخير والقول الفصل في كل شيء في الفكر ، في العقيدة ، في السياسة ، في النضال ، في القتال ، في الشرعية والنظام ، في الجوهر والأشكال*** » .

هذا المقال الذي نشره عفلق عام ١٩٧٠م كان مقاله « نقطة البداية » - يخطط للعودة والظهور في محاولة منه لاستئناف دوره المشبوه في صناعة القرار العربي وكان صدّام حسين قد فرض سيطرته على حكم العراق حيث استبشر مؤسس البعث الخير لحزبه وكله أمل أن يحقق حاكم العراق أهداف الحزب . لذلك عاد عفلق لنشاطه التخريبي ولم يكترث لوصمة العار التي لحقت به بسبب هذا النشاط الهدّام وأصبح شخصاً منبوذاً من العالم العربي.

وقد سبق المقال ما حدث في اليوم الثاني من شهر آب « أغسطس » ١٩٩٠م عندما غزا حاكم العراق دولة «الكويت» العربية الإسلامية ، يتضح لكل ذي لب أن هناك ارتباطاً عضوياً وثيقاً بين ما خطط له ميشيل عفلق منذ أكثر من خمس وخمسين سنة وما قام بتنفيذه حاكم العراق في عام ١٩٩٠م .

وفي مقال آخر بعنوان « معالم الاشتراكية العربية » قال : « ***إن النظريات الاشتراكية***

لا تعترف بالوطن، منفصلة عن كل رابطة تاريخية واجتماعية، متمردة على الدين السائد والأخلاق المعروفة، وبالجملة كانت ثورية إلى أبعد حد، وكانت على حق في اتخاذها هذا الشكل، وفي اتجاهها في هذا السبيل... واليوم المحرك الأساسي للعرب في هذه المرحلة من حياتهم القومية، التي هي كلمة « السر » التي تستطيع وحدها أن تحرك أوتار قلوبهم وتنفذ إلى أعماق نفوسهم وتتجاوب مع حاجاتهم الحقيقية الأصيلة... لا يمكنهم أن يفهموا لغة غير لغة القومية » .

لقد اعترف عفلق لأول مرة في كلمة « السر » التي هي في نظره المحرك الأساسي للعرب! فهل يا ترى هي الماسونية « السرية » التي كان عفلق يعمل من أجلها ؟ .

وقال : « ***القومية العربية ليست وقفاً على العرب فحسب وإنما هي صورة لإنسانية جديدة أي اننا نؤمن بأن لكل أمة في العالم الحق بأن يكون لها شخصيتها الحرة المستقلة وأن يكون هناك انفتاح بين القوميات، وأن يكون هناك تضامن في الكفاح التقدمي، وأن يكون هناك إنسانية جديدة تقوم على قوميات تقدمية حرة متضامنة، لا استعمار فيها، ولا عنصرية، ولا تمييز... إن التيار الشعبي الذي يحرك الجماهير العربية في كل قطر عربي يفهم ويدرك تماماً ما هو المقصود بالقومية العربية ويدرك أنها قومية إنسانية، تتلافى أخطاء الماضي وتصلح كل ما كان في الماضي سبباً للتفرقة داخل أمتنا ومجتمعنا.. إن هدفنا في البعث هو تبديل القيم الاجتماعية عند العرب ولذا فانه هدف بعيد المدى »*** .

ومن التحليل لفلسفة عفلق بشأن القومية العربية والانفتاح على القوميات الأخرى العالمية يتبين لنا أنه يعني في تصوره : ***الانفتاح على القومية اليهودية والصهيونية العالمية*** .

إن فلسفة مؤسس « البعث » في تكوين الطابع الاشتراكي القومي في العالم العربي وتعميق الاشتراكية باعتبارها الهدف الأساسي لتحقيق دولة « البعث » الاشتراكية العربية فقد كان يردد عفلق في هذا المجال : « ***إن العمال والفلاحين لن يفقدوا شيئاً بزوال الحدود بين الدول العربية في حين أن البورجوازية والبيروقراطية هي التي تفقد مواقعها الحقيقية عند زوال الحدود لذلك فإن أفضل أشكال الوحدة وأرسخها هي التي تأتي حصيلة نضال ثوري جماهيري تقوده قوى ثورية منسجمة موحدة*** » . ولهذا يصر عفلق على أن يهتم حزب «البعث» بالطبقة العمالية وطبقة الفلاحين وهي الطبقة « الأممية » التي ستحقق شعار البعث : «الثالوث» الحزبي : الوحدة ، الحرية ، الاشتراكية .

ونقول بكل أسف منذ أن ظهر ميشيل عفلق وعمل مبشراً بالمبادئ البعثية الهدامة في أواخر الثلاثينيات من هذا القرن ، أي منذ ذلك التاريخ كان يحاول بإصرار غرس بذور التفرقة

والصراعات بين الشعوب العربية بل وفي كل منزل في المجتمعات العربية والإسلامية المحافظة على تقاليدها الاجتماعية ليعم الشقاق بين الابن وأبيه وبين الأخ وأخيه ، ولكن – وأسفاه – لم يكن رجال السياسة في تلك المدة يحاولون التعمق لمعرفة طبيعة المهمة التي يقوم بها عفلق في المنطقة العربية وبصورة خاصة في دمشق قلب العروبة النابض ، لم يحاول هؤلاء التمعن بالأفكار الملحدة التي نقلها عفلق إلى المنطقة العربية لتحقيق هدف معين ٠

ليت شعري فقد كانت الحكومات السورية ومن ورائها جميع السياسيين في تلك العهود غير مكترثة بأوضاع عفلق وسبب وجوده ووجود « بعثه » في المنطقة العربية وكانت غير واعية لخطر ما يبشر به من مخططات سرية هدامة ، زوده بها أسياده اليساريون الماسونيون٠

ومن عادة عفلق أنه في كل عام بمناسبة مرور ذكرى قيام حزب البعث يعمل على تكثيف الترويج لأفكاره ومبادئه فأصدر كتاباً أسماه « في سبيل البعث » منذ مطلع الخمسينيات ومن قبل كان اسم الكتاب الذى أصدره « نضال البعث » ويشتمل كل منهما على مجموعة من الخطب والمحاضرات التي يتحدث فيها مؤسس الحزب عن المبادئ العامة للحزب أما المبادئ الخاصة ومنها الملحدة فإنها تكون خاصة « للنخبة » من أعضاء الحزب المعروفين دون سواهم ، وتبقى هذه المبادئ محفوظة لدى أدراج مؤسس الحزب ويطلب من الأعضاء أن يعملوا بها بسرية دون البوح بها أو نشرها على الأعضاء الآخرين ٠

وصدف أنه بعد استلام البعث مقاليد السلطة في كل من العراق وسورية عام ١٩٦٣م كان الدكتور سعدون حمادي وهو بعثي ملتزم قديم يكل إليه مؤسس البعث المهمات والمسؤوليات الصعبة ٠ وكان يدرِّس في الجامعة الأمريكية في بيروت وقد جاء إلى دمشق وطلب من أستاذه عفلق السماح له بإصدار كتاب « في سبيل البعث » للعام ١٩٦٣م بمناسبة انفراد البعث في الحكم في العراق وسورية واقترح أن يضع هو شخصياً مقدمة الكتاب ، فوافق فيلسوف البعث على طلب التلميذ الذي يعتمد عليه عفلق وسلّمه جميع الآراء والأحاديث والمحاضرات العفلقية وفيها مجموعة الآراء الخاصة وصدرت الطبعة للعام المذكور بإشراف سعدون حمادي وهي تتضمن جميع الآراء «الخاصة » والعامة التي يدعو إليها عفلق باعتبار أن سعدون حمادي ذا التربية الأمريكية لم يقدر أهمية ذلك وتأثيره على المجتمعات البعثية الملتزمة وغير البعثية من الشعوب التي تعارض عفلق ومبادئه . لذلك كانت طبعة ١٩٦٣م قد كشفت الكثير من خلفيات مبادئ عفلق التي كانت محجوزة عن الأعضاء غير « النخبة » وفعلاً كان لهذه الطبعة ردة فعل عنيفة بين الحزبيين من مدنيين وعسكريين وغيرهم من أبناء الشعب السورى .

ويقول حمادي في مقدمة طبعة جديدة موسّعة كتاب « في سبيل البعث » :

« هناك اتجاه صريح لتحقيق ثورة داخلية في الأفراد ، وتشدد عنيف بالمثل والاستقامة والمبدأ ، ضد السلوك المنحرف والكذب والزيف والمصالح . وأن الوحدة ليست الوحدة السياسية فقط ولكنها وحدة الشعب ووحدة المجتمع بشكل عضوي تتوفر فيها وحدة الشعور والاتجاه والفكر والعواطف والنظرة للحياة ، وتتحقق فيها وحدة الاقتصاد ووحدة القوى العسكرية والتنظيم الشعبي ... والوحدة تعني توحيد القوى الثورية العربية ... والحرية تعني حرية الإنسان العربي ... والتحرر من الظروف الاجتماعية والجهل والخرافات كقيود داخلية ... والاشتراكية « أخلاقية » يتم تحقيقها بواسطة الدولة الممثلة للإرادة العامة التي هي إرادة الجماهير الشعبية التي تضم كل الفقراء من عمال وفلاحين ومثقفين والعناصر التقدمية ... إن هذه الأهداف الثلاثة : الوحدة ... والحرية ... والاشتراكية ... هي التي تتكون منها النظرية القومية العربية والتي تنبثق منها النظرة الشاملة لتنظيم المجتمع ... لذلك فحلّ مشكلة هذا الواقع لا يكون إلا بالانقلاب ... الانقلاب هو تغيير الواقع العربي جذرياً التي يقوم عليها المجتمع كالتقاليد والعادات وجهاز الحكومة ونظام الحكم ... لذلك لا بد من إحداث رجة عميقة في النفسية العربية لتحولها لقوة تصب في تيار الانقلاب .. لذلك يجب قلب هذا الواقع والحكم عليه بالفناء بالرغم من أنه قد يحوي بعض الجوانب التفصيلية الصالحة ولكن علينا أن نرفض بعنف لكل الواقع العربي وحشد كل ما في الإنسان من عواطف وحماسة واندفاع لخدمة الانقلاب ... العاطفة التي تخلق الحماسة وتؤجج روح الثورة وتعطي الفكرة حساً وعصباً وتمدها بالحرارة والوقود »

أقول : سعدون حمادي بعثي عراقي قديم منذ أيام الدراسة، وتلميذ حزبي مؤتمن من ميشيل عفلق وهو من الطائفة الشيعية وخريج الجامعة الأمريكية في بيروت، وعمل استاذاً في الجامعة نفسها حيث أقام فترة طويلة في العاصمة اللبنانية ، وكان على مقربة من الأحداث والمؤامرات والاتصالات الخارجية التي أوصلت حزب « البعث » العراقي لقيادة السلطة، لذلك كان أحد فلاسفة «البعث» البارزين الملحدين ، وتمكن من جمع أعداد كبيرة وخلايا من الطلاب العرب واللبنانيين للإنضواء في حزب البعث. كما حصل على تفويض مطلق من ميشيل عفلق وصدام حسين لعقد صفقات نفطيه مع شركات بترولية بريطانية وأمريكية لقاء عمولات ضخمة وزعت بين الرجال الثلاثة عفلق ، وصدام ، وحمادي ، وبإشراف السفير العراقي في دمشق وبيروت الدكتور ناصر الحاني، وقد قتل السفير الحاني في ظروف غامضة في بغداد لئلا

يكشف ملابسات الصفقات النفطية وتوزيع العمولات بين السماسرة عفلق، وصدام، وحمادي، إذ بلغت حصة عفلق لوحده من العمولات أكثر من ٥٠ مليون دولار امريكي.

وللنجاح الكبير الذي حققه حمادي في مجال تسويق النفط العراقي ولمكافأته على دوره البارز عين وزيرا للنفط في عقد السبعينيات من هذاالقرن للاستفادة من خبرته في مجال النفط وزيادة العمولات النفطية. ولكن باعتباره كان أحد فلاسفة البعث فقد قررت القيادة الحزبية الحاكمة بتوجيه من عفلق نقله ثانية إلى بيروت في مهمة للإشراف على مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ، لذلك كان المخطط الأول لعقد الندوات الثقافية على مستوي العالم العربي واستطاع إبراز دور العراق في تجديد الحديث عن القومية العربية بشكلها الموسع التفصيلي في محاولة لإقناع الدول العربية الموالية والمؤيدة للتيارات القومية والاشتراكية والشيوعية في تنشيط الفكر القومي العربي ليكون أساس النهضة والتقدم للمجتمع العربي تحقيقا لرغبات القيادة العراقية ، لأن التيار القومي العربي منذ مطلع السبعينيات أخذ ينحسر بسرعة ، وأخذت بعض الدول العربية التي ابتليت بهذه الأنظمة بتصحيح مسارات الحكم فيها للتخلص من التيار القومي الاشتراكي الملحد.

وخلال حرب تحرير الكويت ، وبعد أن تنازل صدام حيسن عن جميع الأراضي لإيران بعد حرب طاحنة بين البلدين استمرت ثمان سنوات، وكان هدف صدام إقامة تحالف مع إيران بعد أن وقف العالم ضد العراق بسبب غزوه لدولة الكويت ، وكلف صدام حسين سعدون حمادي بتشكيل الوزارة العراقية باعتباره من الطائفة الشيعية ، وعلى حد زعمه أنه قد يرضي إيران بهذه الشخصية الشيعية بهدف التقارب بين البلدين ، وقيام تعاون مشترك، ولكن فشل الفيلسوف حمادي في مهمته ، وعزله صدام حسين من منصبه وعينه مستشاراً له.

لذلك ردنا المنطقي على هذا الفيليسوف «الملحد » وهوالولد المدّلل على ميشيل عفلق: ان المقدمة التي وضعها سعدون حمادي للطبعة الجديدة الموسعة لكتاب « في سبيل البعث» ما هي إلا إرهاصات هدفها تهييج النفوس العربية الغوغائية لاشعال حرب الطبقات وغرس بذور التفرقة، وتحقيق الانقسام الداخلي في المجتمعات العربية، وتحطيم النظم الاجتماعية والقضاء العملي علي الجيل العربي القديم ، وتصفية الوجود العربي المناهض للمبادىء الشيوعية البعثية، وتغيير الواقع والوجود العربي من الجذور واقامة الحكم البوليسي المباحثي، الذي يقوم على الشك في كل مواطن ، ويشك المواطن بأخيه المواطن، وبذلك يتيح للحزب السيطرة الفعلية علي إرادة الشعوب ، وبهذا الاسلوب يكون جميع أبناء الشعب تحت سيطرة النظام البعثي، وتشكل هيئات شعبية مرتزقة بدلاً من الحكومات الشرعية ، وتقاطع مؤتمرات القمة العربية

والإسلامية، وبذلك تعم الفوضى ، وعندها تصدر التعليمات لاستعمال القوة والعنف لتحقيق أهداف «الثورة» الدموية في الداخل، وتسخر كل سلطات الدولة بجعلها أدوات في يد الحاكم الطاغية، ويهان المواطن ويذلّ ويجرد من حقوقه الوطنية، علاوة على ضغوط الحياة المثقلة بضنك العيش، وعندها يظهر الإنسان «الثورى » الدموي في النظام بأنه إنسان مادي مجرد من القيم الأخلاقية متخلف في نظرته إلى الحياة، وتقمع السلطات الشعب المعارض بالدبابات والمدافع والمخابرات والسجون والضرب والارهاب والتعذيب ، وعندها يشتد الصراع على السلطة داخل القيادات العسكرية والمدنية لجني الارباح «الثورية » الدموية، وجمع الثروات المالية الضخمة ، وتوزع المغانم على رجال السلطة الأعضاء والنخبة في النظام ، ويصبح الحكم غنمية سهلة لدى رجال الحكم .

إن الأهداف الرئيسية من مقدمة « الملحد » حمادي تتلخص في : إلغاء الملكية الخاصة، والغاء الشعور والالتزام الديني، والغاء فكرة كون الحياة العائلية « الخلية » تمهيدا لإحلال العقيدة الشيطانية ذات الطابع المطلق في الحكم وفرضها على البشرية، وكل هذه الاجراءات المنحرفة التي ترفضها الشريعة السماوية تمهد لتحقيق أحلام مؤسس البعث الخيالية وأفكاره المبعثرة التي نص عليها دستور «البعث » في مادته السابعة لإقامة دولة البعث في الوطن العربي، ونصت المادة على الآتي : « الوطن العربي هو هذه البقعة من الأراضي التي تسكنها الأمة العربية التي تمتد بين جبال طوروس وجبال بشتكويه (=جبال إيران) وخليج البصرة والبحر العربي وجبال الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط»

إن ما طرحه حمادي لا يعدو في مجمله عن أفكار وأهداف جوفاء تقوم على الجهالة والجاهلية ، وبمثابة حرب نفسية ودعائية هدفها إقامة حكم فاشستي متسلط شعاره السجون والقتل والمحاكمة بدون دفاع ، والإعدام ، وشعار الحرية فيه هو أن يحرم الشعب من حريته، وتترك الحرية لحزب الأقلية فقط، ويحرم باقي الشعب من المساواة ، كما يحرم من حقه في العيش، ويحرم من حقه في العمل، وتكون هذه الميزات من حق أعضاء الحزب الحاكم، وتفتت الملكية الاقتصادية والصناعية بسبب تأميم المصانع والمؤسسات الفردية أو الجماعية.

لقد اتضح بشكل قاطع أن الحكم العسكري على المدى الطويل لا يستطيع أن يقدم للشعب وللبلاد بصورة عامة شيئاً أو يحقق الاستقرار والأمن والرفاهية للمواطنين لأن الانقلابات العسكرية نتيجة ائتلاف موقت وتآمر على الوطن، وهي مؤامرات شيطانية تكون وبالا على المجتمع كله لأنها مبنية على النزاع والعنف والتهديد المتواصل بالحرب، وسفك الدماء لازالة كل الطبقات البشرية القديمة ، ومن هنا يبدأ الطغيان العقائدي، والتمييز العقائدي

للنخبة الحزبية ، التي تقيم نفسها طليعة وتفرض نفسها على الشعب ، والتمييز العقائدي هو أشد من التمييز العنصري أو الطبقي ، وهذا التمييز هو جذور البلاء ، وينطبق مع ما تسعى إليه المنظمات الشيوعية العالمية.

- إن الاشتراكية التي اطلقتها الفئات العقائدية الضالة ليس لها هوية في عالمنا العربي، ولم تكن معروفة من قبل ، فهي مبادىء مستوردة ومستمدة في خطوطها العريضة من الأحزاب الشيوعية العالمية، هدفها الأول والأخير الكيد للإسلام والمسلمين .

لذلك إن دعوة حمادي باطلة لا أساس يؤيدها لا من العقل ولا النقل انها دعوة جاهلية إلحادية رجالها أعداء للإسلام ، فالإسلام هو الذي يصنع العدل ويقيم الحرية ويحافظ على الحقوق ، ويمنح المجتمع الإنساني الحياة الرغدة في ظل التعاليم السماوية التي جاء بها سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

فالإسلام لم يكن في يوم ما منحرفاً بل كان وما يزال يزرع الأمن ليحصد الجميع، بعد ذلك الأمان في ربوع الأرض، ويقضي بين الناس بالحق والعدل، ويمنح كل ذي حق حقه، لأن الإسلام حفظ للمجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية الحقوق الشخصية للجميع وأعطته من القوة والصلاحيات ليحافظ على أملاك المجتمع ، وعلى أنفسهم ، وعلى أعراضهم، كما نصت الشريعة الإسلامية.

والإسلام هو الدين الكامل المتكامل الذي يأبى الجريمة والدس والتدليس ، ويأنف من الشر، ويسعى للخير أن يعم ، ويعمل على اجتثاث هذا الشر، لأنه يريد للإنسان أن يعيش آمناً كريماً على أرضه وبين أسرته، محافظاً على ماله وعرضه. لذلك جاءت حدود الشرع لتمنع الناس عن فعل الشرور وتكافح الجريمة، وتحافظ على التقاليد والعادات العربية الأصيلة، كما تحافظ الشريعة على وحدة الأمة الإسلامية ، ولهذا نجد الأمن والأمان والحرية والعدل تشيع على كل أرض تأتمر بما أمر الله سبحانه وتعالى من حدود الشرع، وما القى من تبعات وواجبات.

لقد صاحب النصر الأمة الإسلامية ، ومن اعتنق العقيدة الإسلامية ، عندما كانت النيات صافية، وعندما كان الهدف الرئيسي هو نشر الشريعة الإسلامية بطرق شتى، لأن من أهداف العقيدة الإسلامية الرأفة، والعطف، والحنان، والتبصير، فالشريعة الإسلامية فيها جميع المبادىء والأهداف والمستلزمات التي يريدها الإنسان في حياته.

لذلك ترفض العقيدة الإسلامية أي مبدأ من وضع البشر ، والإسلام والحمدلله شيء مشرف، وليس عملاً منكراً ، انه دين المحبة والسلام والأمان، وليس عقيدة القتل والعنف

والتصفية الجسدية، وليس من أهدافه تمزيق الشعوب ، أو تمزيق الأسرة الواحدة، كما نجد ونشاهد في مبادىء الاحزاب العقائدية الشيوعية الملحدة إن الإسلام يدعو إلى المساواة بين أبناء الأمة، لا فرق بين إنسان وآخر إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، والجهاد في سبيل الله من الفضائل التي يعتز بها المسلمون ، إذ فيه قمع أعداء الله ، وإعلاء كلمة الإسلام. ومهما قال المبطلون ، أو لبس الملبسون على الدعوة الإسلامية، فإن الله تعالى ناصر كتابه وأنبياءه وعباده الصالحين.

إن الشعب العربي من محيطه إلى خليجه قد شاهد واطلع على الأهداف البعيدة التي رسمها عفلق ونفذها صدّام حسين من تحقيق الثورة الداخلية لحرية البعث العراقي في العالم العربي بهدف تغيير الواقع العربي في منطـــقة الخليج العربي الذي يقوم على العقيدة الإسلامية وشريعتها السماوية، وهدف « الثورة » - كما ادعى سعدون حمادى - « تحرير النفس «الثـــورية» من كل القيود الاجتماعية والسياسية والفكرية» لتقوم على الإلحاد والعلمنة، وعرفت الشعوب العربية كيف أن صدّام حسين قد حاول تهييج وإثارة الشارع العربي «الغوغائي » المؤيد لحاكم العراق لتطبيق السلوك المنحرف والكذب والزيف والمصالح « الثورية» لتحل هذه المبادئ مكان الإيمان والاستقامة والصدق التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية . وبذلك تحرر النفس « الثورية » التي حرّرها البعث العراقي من كل القيود الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والفكرية التي يطالب بها ميشيل عفلق وأحد فلاسفته الصغار من تلاميذه وهو سعدون حمادي ، وبصورة خاصة تعميم الانحلال الخلقي في المجتمعات العربية وصولاً إلى تحرير المرأة العربية من تقاليدها الإسلامية ... لأن مفهوم الحرية كما يدعي - سعدون حمادي - هو اخلاقي مرتبط بمبدأ أعلى ، وحرية الفرد لا تعني غير حرية الجانب الإنساني فيه - ٠ وهذا ما حققه بعث العراق في صفوف المجتمعات العراقية وفي الجمعيات النســـائية العراقية لتشارك المرأة والفتاة العراقية الضباط العراقيين « الثوريين » لذاتهم ومتعتهم في أعياد البعث العراقي وتسلمه سلطة الحكم ٠

إن التحليل الواقعي لمبادئ عفلق تقود الباحث إلى أن هذه المبادئ لا تخرج عن حقيقتها عما تطلبه الماسونية « السرية » العالمية وما نصت عليه بروتوكولات حكماء صهيون لذلك فإن أفكار عفلق أفكار يهودية تلمودية بحتة . إذ يؤكد فيلسوف البعث أن الدين الإسلامي باستطاعته أن يقف عائقاً في وجه التبشير بمبادئ البعث ٠

وعندما يتحدث ميشيل عفلق عن تاريخ الأمة العربية وتكوينها يقول: « ***بأنه يرى أن الأمة العربية ما تزال غير متكونة لذلك يرى أن من واجبه كمؤسس لحزب البعث أن يعيد تكوين هذه***

الأمة . الآن تنطوي صفحة من تاريخ نهضتنا العربية وصفحة جديدة تبدأ ، تنطوي صفحة الضعفاء الذين يقابلون مصائب الوطن بالبكاء وبأن يقولوا « لا حول ولا قوة إلا بالله » وتبدأ صفحة جديدة ، صفحة الذين يجابهون المعضلات العامة ببرودة العقل ولهيب الإيمان ، ويجاهرون بأفكارهم ولو وقف ضدهم أهل الأرض جميعاً .

وعندما يتحدث فيلسوف البعث الأول ميشيل عفلق عن أطماعه في العالم العربي لقيام دولة « البعث » التي نص عليها كتابه (في سبيل البعث) فانه يحرض دوماً على ضرورة الانقسام الداخلي بين الشعوب وبذلك يتيح للحزب السيطرة الفعلية على إرادة الشعوب ومما قاله في هذا الصدد : « إننا ننظر إلى أمتنا هذه ونؤمن بأنها أمة واحدة ، وهذا الإيمان ***يدعونا إلى إعلان الانقسام فيها ، لأنها لن تسترد وحدتها ، لن تبلغ هذه الوحدة ... إلا إذا انقسمت على نفسها*** » !!! .

« لا نصل إلى الروح والأعماق إلا عن طريق هذه المشقة ، هذا ***الانقسام الداخلي في نفس الأمة ذاتها ، هذه الحرب العنيفة ، التي لا تداني قسوتها قسوة الحروب الخارجية مع الأعداء الألداء*** » !!! « فلو فرضنا أن الأوضاع السياسية في البلاد تغيرت فجأة بفعل صدفة من الصدف ، ***فنعتقد أن هذا التغيير لن يتناول إلا الظواهر ، لأن الأمة لم تقطع بعد مرحلة الصراع*** » !!! ***في حين أن النضال بالنسبة إلى العربي ليس أسلوبا فحسب ، وإنما هو غاية في حدّ ذاته*** » .« إذن فنحن لا نحارب الأوضاع الراهنة لأنها فاسدة فحسب ، ***بل نحاربها لأننا مضطرون إلى أن نحارب ، لأنه لا بد لنا من أن نحارب*** » . « كيف نحقق من جديد أمة واحدة تتعارف وتتآلف ***إذا لم يكن ذلك في طريق نضال لاهب وعر شاق ، لا تعود الوحدة إلا في جو النضال الحار*** ، تلك الأصالة وذلك السمو لا يمكن أن نفهمه ، أو أن نتصل به بشكل من الأشكال ***إذا لم نصعد إليه صعوداً شاقاً دامياً*** ». لقد اعتمد عفلق في مواقفه المشبوهة أساليب تهدف أول ما تهدف إليه تهييج المواطنين البسطاء للإفادة من تغذية الحقد في صدور المراهقين في المدارس الثانوية ومن أبناء الريف ومن وسط بعيد عن مفاهيم السياسة .

لذلك إن أفكار وتأملات فيلسوف البعث لواقع الأمة العربية إنما تنطوي على التحريض المستمر لتبديل الواقع العربي إنه هدف رئيسي من أهداف « البعث العربي » لبلوغ الحكم والتحكم بمقدرات الوطن العربي.

إن «حزب البعث » قد مهد للتدخل في أوضاع منطقة الخليج العربي وذلك باستعمال

العنف والقوة من خلال اجتماعات المؤتمر القومي الاستثنائي السادس للحزب الذى عقد بعد انقلاب ٢٣ شباط « فبراير » ١٩٦٦م في سورية وكان ذلك التدخل في محاولة من البعث آنذاك للمزايدة علـــى أطماع الرئيس جمال عبد الناصـــر في التسلط على الدول العربية النفطية . ونص البيان هو الآتي :

« إن الحكم الملكي في السعودية والأردن والمغرب وليبيا والحكم العشائري في الكويت وإمارات الخليج والجنوب العربي إن حكومات هذه الدول أنظمة مرتبطة نهائياً بالاستعمار . كما قال البيان : « إنه لايمكن أن تسمح ثورة « البعث » بالتآمر عليها أو بتعطيل سيرها وعلى الثورة أن تدافع عن وجودها بقوة وشراسة » .

ومنذ ذلك التاريخ أخذ ميشيل عفلق ـ رغم طرده من سورية ـ يعمل بالسر والخفاء للتدخل في أوضاع منطقة الخليج العربى لتحقيق أطماع « البعث » ؛ وخلال إقامته في بغداد وإلى ماقبل وفاته في حزيران « يونيو » ١٩٨٩م كان مؤسس البعث يحلم في أن يرى ذلك اليوم الذى يسيطر فيه حزب البعث بقيادة صدّام حسين على ثروات الدول العربية النفطية والاقتصادية . ولهذا الهدف كان عفلق طوال هذه المدة يحرض حاكم العراق ويضع الخطط العدوانية لاحتلال الجزيرة العربية والمنطقة الخليجية. وتحقيق المبدأ الاشتراكي في العالم العربي ، وقد قال عفلق في عام ١٩٥٠م : « ***لا يمكن تحقيق الاشتراكية في سورية وحدها لأنها صغيرة ، ولهذا لا تتحقق اشتراكيتنا تحقيقاً تاماً إلا في نطـــاق الدول العربـــية – وهي دولة البعث التي يحلم بها عفلق – ومن واجبنا أن نجعل تقدمية الوحدة العربية حاسمة كالسيف لا تدع مجالاً للالتباس كي نكسب الشعب كله ... ويجب أن نعرف بأن كسب الشعب العربي له ثمن هو ان نخسر الإقطاعيين والرجعيين والمستثمرين*** » .

كان الهدف من هذه الأفكار إيجاد عنصرية طبقية في العالم العربي وتحريض الفئات الغوغائية لتحقيق الانقسام بين الشعوب والقضاء على طبقة الأغنياء ورجال الأعمال والاقتصاد ... والسؤال هنا : من الذي سيحلّ مكان هذه الفئة الغنية بعقولها بعد تجربة طويلة في الحياة العملية ؟ الجواب عن هذا السؤال في شعار « الثالوث » البعثي هو أن أعضاء حزب البعث الذين لا يفقهون شيئاً في مثل هذه الأوضاع هم الذين سيحلّون مكان هذه الفئة... المتمرسة بالعمل والجهد والإخلاص والتي قضى عليها الحزب ! وبذلك أصبح الشعب العربي مكبلاً بالتخلف أمام المجتمعات المتحضرة .

ومطاع الصفدي وهو دمشقي الأصل وعضو قديم في حزب البعث منذ نشأة الحزب في الأربعينيات يتولى نشر آرائه وفلسفته الخاصة لمبادئ حزب البعث والتبشير بها

على نطاق واسع وله مؤلفات عديدة وضخمة في صفحاتها وكلها تتضمن عبارات ومعان يسرح فيها الخيال بلا حدود ومن أهم مؤلفاته « حزب البعث » و «الثوري والعربي الثوري » .

وعندما يتحدث هذا الفيلسوف في صفحات كتابه « المجلدّ» ـ وهي عبارة عن خمسمائة صفحة بالحجم الكبير ـ يرى الباحث حقيقة هؤلاء الثوريين الذين يرفضون كل شيء في هذه الحياة ؛ فهو يقول : « ***إن الشباب الثوري في الوقت الذي يعتقد أنه قد تخلص من كابوس «الناس» إنما هو يقابلهم بمنحى ذاتي آخر ، على أساس أنه يرفض الناس . وموقف الرفض يفترض وجود ما نرفض ... إن الثوري في الوقت الذي يرفض فيه وجود الناس ، فإنه يرفض كذلك وجوده ... إنه ثائر لأنه ثائر ، وفي كل لحظة يستطيع الثوري أن يضغط ميوعة هذه السديمية ويعطي لها وجهاً واضحاً ... قد يسمي هذه السديمية بأسماء شتى كالتقاليد الرجعية ، والتجزئة السياسية ، والاستعمار والإقطاع الخ ... وهي في الواقع تسميات مباشرة لها رصيد مهاجم دائم ، ملتصق ببيئة الثورة من داخل ، ولكنها لا تعادل الثورية كبنية وجودية ، شاملة مستقلة ... وما ان يصبح الشاب هكذا على عتبة الحياة حتى يكون قد اتخذ دون أن يدري أو يختار ، نموذجه المهيّأ له كنسخة بين نسخ أخرى لا نهاية لها في قلب السديمية . وهذا ما يسميه عقل السديمية الرزين الواضح بالتربية ... ولهذا لا بد أن نربط دائماً بين فعاليتنا الثورية وبين مصدر تاريخنا الحاضر وهو البعث الشامل . وأنه لن يتحقق إلا بنوع من التربية الثورية الموجهة إلى كل جيل ... لخلق طبيعة ثورية دائمة ... نربي ذهناً نضالياً ، يستطيع أن يستلهم كل فترة شعاراتها ... ونحن لا نعدّ لرجل حرب ، ولكننا نعد للرجل المستعد لأية حرب ... لا نريد بطولة وثنية ديونزيوسية ، ولكننا نبدع فكرتنا عن إلهنا الجديد الذي يدرك كرامة تمردنا ... فإذا كان الإله الجديد غير موجود ، فكل شيء ليس بمسموح » ... إن اتحادنا بوجودنا الثوري هو الذي يسمح لنا أن نطلع على مولد القيمة والثورة والاتجاه ، سواء وهو يحصد الفشل أو العزاء بالنجاح ... إنه يتأبط الجحيم ، ولا يعد نفسه أو الآخرين بأية جنة*** » .

لذلك فقد طرح هذا العلماني الملحد « الكافر » تصورات وتخيلات انتقى منها ما يلتئم مع إرادة فيلسوف البعث ميشيل عفلق وكانت طروحاته وآراؤه تدخل في مجال الأفكاروالتخيلات الوهمية ، حيث يحق لأمثاله أن يعرف الشيء أو الحدث كما يريد أو

يتصور شريطة التزامه في بنائه بهذا التصور وهذا التعريف ، وكما قال الدكتور مراد وهبة «وهو مصري » في كتابه « المذهب فلسفة برجسون » : « إن الفكر يتصلب فيعتد ، ومن يعتد ينتهي إلى أن يلوى بالأشياء وفقاً لفكرته بدلاً من تنظيم فكره وفقاً للأشياء » .

* * *

« خفايا إسلام » عفلق !!

أن فكرة إصدار هذا الكتاب قد بدأت عندي منذ صيف عام ١٩٨٩م وبالتحديد يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي القعدة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٤ حزيران « يونيو » ١٩٨٩م عندما لفت نظري ما نشرته الصحف العربية في ذلك اليوم لمضمون بيان مشترك أصدرته القيادتان القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق تنعيان فيه إلى «مناضلي الحزب في كل أنحاء العالم وكل المناضلين القوميين » بمزيد الأسى والحزن فقيد الحزب الرفيق ميشيل عفلق مؤسس الحزب وأمينه العام ، وأضاف البيان الحزبي : « إن القيادتين القومية والقطرية تودّان أن تعلنا لمناسبة وفاة « عفلق » أنه كان قد اعتنق الإسلام ديناً ولم يرغب هو ولا رفاقه في القيادة في إعلان ذلك حرصاً منه ومنهم على أن لا يعطى لهذا الخيار أي تأويل سياسي » .

ثم تتابعت الظروف الطارئة التي شهدتها منطقة الخليج العربي منذ اليوم الثاني لشهر آب « اغسطس » ١٩٩٠م بسبب عدوان صدّام حسين حاكم العراق على حرمة الخليج العربي في اعتدائه على دولة الكويت واحتلال جيشه البعثي لها وتشريد شعبها العربي الأصيل من بلده وتراب وطنه ، فكان هذا الحادث المؤلم المفجع هو الحافز القوي الذي دفعني لإعداد هذا الكتاب لأقول فيه ولأوضح للشعوب العربية ولجيل المستقبل ما أعرفه عن ميشيل عفلق وعن مبادئه الملحدة والعلمانية .

لذلك أردت أن أسجل في هذا الكتاب حقائق تبصّر المعاصرين والأجيال القادمة بما انطوت عليه مبادئ حزب البعث التي بشّر بها مؤسسه الأول في أواخر العقد الثالث من القرن الحالي . لا سيما بعد أن وجدت التقاعس من الآخرين في تسجيل ما يعرفونه عن « عفلق » وعن نشاطه المشبوه الخفي والمعلن والسري في المجتمعات العربية . ولأقول الحقيقة عن مؤامرة التلميذ البعثي صدّام حسين للمنطقة الخليجية وللدول العربية قاطبة.

وقبل البدء بالتعليق على بيان القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العراقي بشأن اعتناق « عفلق » للإسلام دينا أنه لا شماتة في الموت . ولكن نتساءل لماذا لم يرغب

ميشيل عفلق ولا «رفاقه» في القيادة البعثية في إعلان إسلام القائد والمؤسس البعثي الملهم ... هل فعل عفلق شيئاً منكراً عندما اعتنق الدين الإسلامي - إذا كان ذلك صحيحاً - وهل ارتكب خطأ لا تعرفه الجماهير العربية المؤيدة له ولمبادئه عندما أعلن إسلامه بالسر والخفاء ٠

إن الإسلام والحمد لله شيء مشرّف ، وليس عملاً منكراً ، يُستحيا منه «معاذ الله » إنه دين المحبة والسلام ، وليس دين القتل والعنف ، وتفرقة الشعوب ، وتمزيق الأسرة الواحدة ... إنه ليس دين الإلحاد والعلمنة. قال الله تعالى في كتابه الكريم « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » سورة المائدة ، الآية : (٣) قال الله وهو أصدق القائلين : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » سورة آل عمران ، الآية : (٨٥) ٠

إن الإسلام ، هو رسالة للعالم أجمع للثقلين الإنس والجن وليس رسالة لشعب خاص ولا لبلد خاص ولا لأمة خاصة . وقال تعالى : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » سورة الفتح ، الآية :(٢٨) وقال ايضا : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ٠ «ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً» سورة الفتح ، الآيتان :(١ و ٣)٠ إن الدعوة الإسلامية تدعو إلى الحق ، وتدعو إلى العدل ، وتدعو إلى المساواة ، وتدعو إلى السلم ، ومهما قال المبطلون أو لبس المبلسون على الدعوة الإسلامية فان الله تعالى ناصر كتابه وأنبياءه وعباده المؤمنين ٠

إن العالم الإسلامي ـ ومنه الوطن العربي ـ ابتلي بأعداء لا يرحمون مهمتهم تهديم الشريعة الإسلامية ، كما ابتلي بانقلابات عسْكرية وبحركات قومية ومبادئ علمانية ملحدة! - بتوجيه من الماسونية العالمية ، وبروتوكولات حكماء صهيون - لصرف الشعوب الإسلامية عن عقيدتها ودينها وشريعتها ، ولهدم وتقويض دعائم الدين الإسلامي والقضاء عليه . ولكن الإسلام محفوظ بحفظ الله له ليكون مصدر خير وعزة لكل من ينضوي تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ٠

إن الإسلام هو دين المحبة ، دين الأخوة ، دين السلام ، دين القوة ، دين العلم ، دين البناء ، دين التقدم ، دين الفضيلة ، لاتوجد فضيلة ولا مكرمة إلا دعا إليها ، ولا توجد رذيلة إلا حذر منها . ومن فضائل الدين الإسلامي الترغيب في الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وحث المرء على اغتنام فرصة الحياة لعمل ما ينفعه في الآخرة . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »سورة الحشر ، الآية : (١٨) ٠

ومن الفضائل العديدة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية تحريم الاعتداء أو النيل من النفس أو المال أو العرض أو العقل ، وكل جريمة من جرائم الاعتداء عليها عقوبة من قصاص أو حدّ . والجهاد في سبيل الإسلام من الفضائل التي يعتزّ بها المسلمون ، إذ فيه قمع أعداء الله ونصر أوليائه ، وإعلاء كلمة الإسلام ، وحمل الكافر على ترك الكفر الذي هو أسوأ الامور ، قال الله تعالى : «يأأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بَعضُهُم أولياء بعضٍ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين » سورة المائدة ، الآية : (٥١)٠ وقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلاعدوان إلا على الظالمين »سورة البقرة ، الآية : (١٩٣).

فالعبادة لله تقوم بالخضوع والخشوع والإذعان والتسليم له بقلب خاشع وحب صادق وذل له وحده سبحانه وتعالى دون أحد سواه هي العبادة الحقة المرجوة من كل إنسان رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً ، قال الله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاً نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »سورة آل عمران ، الآية : (٦٤)٠

ولو أردنا أن نتحدث عن مجمل مزايا الإسلام لاتسع بنا الحديث ولاحتاج الأمر إلى صفحات عديدة بل إلى مجلدات كثيرة ، لذلك على كل شخص يود اعتناق الإسلام عن صدق وايمان أن يطلع على كتاب الله تعالى ويدرسه ويتمعن بتفسير الآيات الكريمة ٠ فهي الدستور الحقيقي للشعب المسلم وللشعوب المؤمنة ... فالإسلام واضح وضوح الشمس ، ليس فيه لفّ أو دوران ... بل هو الطريق المستقيم نحو الحياة المثلى ٠

وعلى كل من يريد أن يعتنق الدين الإسلامي عن اقتناع أن يشهر إسلامه على الملأ دون خوف من أفراد عشيرته وأصدقائه وإخوانه وأنصاره ومؤيديه أو حتى من أعدائه ٠

وهنا أقول لأعضاء القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العراقي ولصدّام حسين بالذات وهو التلميذ المطواع لميشيل عفلق والموجّه الأول والأخير لسياسة حزب البعث العراقي أقول له : هل تنطلي هذه الأكذوبة الخادعة التي أعلنتها عن اعتناق مؤسس البعث العربي الدين الإسلامي ، على علماء المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي الذين يعرفون أهداف ومبادئ الأب الروحي للحزب ، وهي المبادئ الهدامة وتطبيق العلمنة في العالم الإسلامي ... لا والله لن تمر هذه الأكذوبة على أصحاب الفكر الإسلامي الذين يعرفون مخططات عفلق وزمرته

الضالّة لا سيما إذا صح القول بأن أصل ديانة عفلق هي اليهودية ثم اعتنق والده (يوسف) الدين المسيحي الأرثوذكسي ... كما أن جميع أكاذيب النظام العراقي لن تمر على هذه الفئة الواعية المتمسكة بشريعة الإسلام نصاً وروحاً ... ولكن قد تمر على الشعوب التي لم تعرف عفلق على حقيقته ، ولم تطلع على مبادئه المستوردة وعلى تاريخه المليء بالعداوة للإسلام ...

يا سبحان الله هل صدَّق أحد من علماء المسلمين الخبر ؟ ، لا سيما من ينتمي منهم لجماعة الاخوان المسلمين في كل من العراق والأردن واليمن وتونس والمغرب والجزائر والسودان وأبناء فلسطين وغيرهم هذه الأكذوبة البعثية العراقية ... وكيف صدَّق قادة دول الأردن واليمن والسودان وغيرهم والزعيم الفلسطيني ياسر عرفات هذه الأكذوبة ؟!

وأقول في هذا المجال : أن إعلان إسلام عفلق كان بمثابة تغطية إعلامية من نظام صدام حسين أمام الشعب العراقي المسلم الذي يكره حاكم العراق « البعثي » كما يكره «ميشيل عفلق » النصراني ويعارض مبادئهما التي تقوم على الكفر والالحاد ، لأن نصرانية عفلق كانت تستوقف الكثيرين من المسلمين المناوئين لحزب البعث الحاكم ، في الوقت الذي كان فيه النظام العراقي يقدس « ميشيل عفلق » وكان حزب البعث ينشر هذه الفكرة بين حلقات الطلاب ليعمم هذه القدسية «المزيفة » مضيفاً إلى أقوال عفلق : « نحن حملة رسالة لا سياسة .. إن الاشتراكية .. ثمرة الحياة .. وتطوير المؤسسة العسكرية سلمياً مضيعة للوقت وللجهود .. والانقلاب على الواقع شرط لابد منه ، وبذلك تحقق أهداف ومبادىء حزب البعث في العالم العربي » .

لقد أثار إعلان إسلام عفلق استغراب أعداد كثيرة من البعثيين انفسهم في العالم العربي وبصورة خاصة في سورية والعراق ، واستنكر هؤلاء هذا الاعلان « الكاذب » لأنّهم يعرفون شخصية عفلق العلمانية وحقيقة أفكاره « الملحدة » التي ينشرها في العالم العربي . والتي وضعت على أساسها مبادىء دستور « البعث ».

والجواب على هذا التساؤل أوضح من الشمس ، ولايعترض على ذلك من له أدنى إلمام بحال العرب والإسلام .. ولايمكن المقارنة بين الإسلام وبين مبادىء حزب « البعث » .. إن «عفلق » دخيل على العرب وهو مجهول « الهوية » وقد حمل معه مبادىء مستوردة من الأحزاب الشيوعية والاشتراكية وباركتها الصهيونية العالمية كما باركها البابا بيوس الثاني عشر من حضرة الفاتيكان.

إن مفاهيم « عفلق ما هي إلا خرافات وجد فيها « البعثيون » ضالتهم من أجل هدم الإسلام في عقول وأفهام المسلمين وتلويث أفكارهم .. وليسمع هؤلاء ما قاله عفلق في محاضرته في جامعة دمشق عن « ذكرى الرسول العربي » وخلاصتة :

« الإسلام رسالة جاءت مفصحة عن حقيقة القومية العربية » .

« الإسلام واقعه عربي وفي مراميه المثالية انساني » .

« العبقري « محمد » بطل العرب والإسلام ، والإسلام وليد آلام العروبة ... والآلام عادت من جديد .. فما أحرانا بثورة كالتي حمل الإسلام لواءها » .

« سيأتي يوم يجد القوميون أنفسهم المدافعين الوحيدين عن الإسلام وسيبعثون فيه معنى خاصاً ليبقى للأمة العربية سبب وجيه للبعث » .

« إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية نهض به هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى ، واستطاع في ثورته العارمة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري هو « محمد » .

إن الرد على هذه السفسفطات لـ « ميشيل عفلق » واجب على كل مسلم مؤمن بعقيدته ، فالإسلام لم يكن في يوم من الأيام « فورة عربية » بل كان دعوة منزلة من السماء على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعوة عفلق بأنه «فورة» ما هي إلا أكذوبة كبرى وأضلولة شائنة ، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض ، وتفسير « عفلق » هذا وما يدعيه من افتراءات كاذبة على رسول الإسلام ما هو إلا حرب ضد الإسلام وللرد على هؤلاء فإنني أشير إلى ما قاله فضيلة الشيخ محمد الغزالي الكاتب الإسلامي الكبير في نبذه لرواد القومية العربية من الشيوعيين والبعثيين والاشتراكيين فقال :

« لا مكان للالحاد بيننا .. ما هؤلاء الناس ؟ إنهم ليسوا عرباً ولا عجماً ولا روس ولا أمريكان !! انهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح ، بليت به بلادنا إثر ما صنع الاستعمار بها وترك بزوره في مشاعرها وأفكارها فهم – كما جاء في الحديث – من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، بيد انهم عدو لتاريخنا ، وحضارتنا ، وعبء على كفاحنا ونهضتنا ، وعون للحاقدين على ديننا والضانيين بحق الحياة له ومن اعتنقه . ان هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل ، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور إن هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة ويندسون خلال صفوف المجاهدين ، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها ، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجلَّ ما

عرفت به ، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته . إن هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسيرّها الاستعمار لهم ووقف بعيداً يرقب نتائجها المرة ، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .. فهم ملحدون مجاهرون بالكفر .. وتفسير القومية العربية الكفور الكنود هو حرب أخرى ضد الإسلام ، وانه لجدير أن يتسمى هؤلاء باتباع القومية « العبرية » لا العربية .. » .

ومن هذا التفسير الواضح الراسخ أؤكد بأن الكثرة الكاثرة من أبناء المسلمين على اختلاف طوائفهم ومذاهبم كانت تعارض بكل قواها هذه المبادىء الملحدة المرفوضة أصلاً ، كما وقف هؤلاء المؤمنون سداً منيعاً أمام مروجي هذه المبادىء من البعثيين ، والشيوعيين ، والاشتراكيين لئلا تتسلل هذه المبادىء الهدامة إلى المجتمع الإسلامي المتمسك بعقيدته السمحة والمحافظ على دينه وإيمانه بالله العلي القدير .

إن من يعرف ميشيل عفلق حق المعرفة منذ أن كان طفلاً وناشئا مع زميله ورفيق دربه صلاح البيطار هم أول الذين يستطيعون « تعريتهما » ، لأن عفلق والبيطار كانا يدسّان «السموم» البعثية العفلقية بين الطلاب ويستغلان تساهل الحكومات الديمقراطية في سورية ويلقّنان الطلاب تلك السموم دون رقابة من الدولة ، وكانت الكثرة الكاثرة من الطلاب وهي من الفئات الملتزمة بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف ترفض بقوة وتصميم مبادئ البيطار وعفلق . ونضيف إلى ذلك أن صدّام حسين قد جند أنصاره للدعاية الكاذبة عن شخصه بأن المهيب صدّام حسين التكريتي أصبح رجلاً متديناً يمارس الصوم والصلاة وجميع الشعائر الدينية بكل دقة . وأن هذه الشائعات التي روّجها الإعلام العراقي وعملاء حاكم العراق عن شخصه تعتبر أكذوبة كبيرة لما عرف عن شخصية صدّام حسين من زندقة وانحلال في الخلق والسير على طريق علمنة الدولة العراقية وفقاً لمبادئ حزب البعث التي وضعها مؤسس الحزب ميشيل عفلق ، وسنتحدث عن شخصية صدّام حسين في مكان آخر من هذا الكتاب .

إن الأفكار البعثية فلسفة عفلقية تبدأ بالادعاء بأنها تحرص على تحرير الفرد والمجتمعات العربية من الاستغلال والجور وتنتهي بسلبه أقدس ما في نفسه من قيم وبإذلاله وهو إنسان مكرّم ، وهي ترمي إلى تحويل الطبقة الجاهلة إلى طبقة حاكمة ليسهل قيادها ، كما ترمي إلى تحويل الطبقة الغنية إلى طبقة محرومة لتتساوى مع الطبقات الأخرى . إن منطلق البعث هو الحقد المحموم والكراهية والنقمة والبغضاء للاستثمار والمستثمرين على حد

سواء . لأن النظام البعثي إنما يدور حول التنظيم الاقتصادي بوحي المبدأ الماركسي وإن اختلفت مسميات مبدأ النظام البعثي الذي يرفع الاعتبارات الاقتصادية فوق أى اعتبار آخر ، بل ينظر إلى كل نشاط انساني آخر على أنه امتداد للنشاط الاقتصادي ونتيجة له ، ويسيطر في هذا النظام مبدأ منتهاه الطغيان والعدوان على النشاط الفردي والنشاط الحر في مجال الاقتصاد وعلى ما سواه من حقول الحياة للمجتمع الاسلامي .

والنظام البعثي في اكتمال تعبيره عن ذاته عقيدة كلية شاملة تنصب نفسها مرجعاً لكل اعتقاد وكل إيمان ، وحكماً في كل عمل يقوم به المجتمع في دولة البعث ، وتمتد آفاق هذا النظام مدى الوجود الإنساني فهو مبدأ يراد به التنكر للأديان السماوية . وهو قائم على الكذب والمكر وتصفية الخصوم بالطرق الدموية .

إن الحرية التي ينادي بها حزب البعث إنما هي شعار كاذب ليركب به أهل الحزب موجة العنف والإرهاب ومن المستحيل أن يؤكد أي حر في العالم العربي أن المبدأ البعثي يقوم على اعتراف الإنسان بالإنسان ، والسلوك البعثي يصطنع الحيل والخبث وتزييف الحقائق لذبح الحرية من الوريد إلى الوريد ، وقد ظهرت عورة النظام البعثي في العراق أمام العالم بأنه معتد عنيد ، يلجأ إلى الإرهاب والحيل والخداع ويبعث على الثورات الدامية والاطاحة بالمواطنين العرب الأحرار وهو لا يتردّد لحظة في أن يرغم شعباً بكامله على غير ما يعتقد ، فالمبدأ البعثي لا يستطيع أن يتجنب المصير المحتوم الذي تردّى فيه ، ولا يستطيع أن يرجع عن طريق الموت الذي سلكه .

إن البعثية حركة انقلابية دكتاتورية هدّامة وحركة تآمرية تطمح إلى خلق مجتمع بعثي يقوم على الفساد وعلى انقسام الأمة وشعبها الأصيل .

إن محاربة المبادئ البعثية ، ـ وهى حركة ملحدة هدامة ـ لا يمكن أن تكون إلا بالعقيدة الإسلامية السماوية وهي العقيدة التي تكفل للإنسان العربي المسلم الهناء والرفاهية والعيش بكل أمان وحرية .

إن إعلان صدّام حسين نبأ اعتناق عفلق « للإسلام » ما هو إلا جزء من المسرحية باتجاه تنفيذ مؤامراته وأهدافه البعيدة المدى للسيطرة على منطقة الخليج العربي للتحكم بثرواته النفطية ولتوسيع مناطق نفوذه في العالم العربي والإسلامي ولتحقيق حلم استاذه في تطبيق مبادئ حزب البعث في المنطقة العربية ، وليقال إن عفلق قد اعتنق الإسلام لذلك على الأتباع تنفيذ مخططاته السرية .

وكانت الخطوة الأولى التي نفذها صدّام حسين في مؤامرته البعثية الهدامة حربه

المفتعلة مع إيران في عام ١٩٨١م بهدف استغلال المساندة الكبيرة لدول الخليج العربي للعراق في هذه الحرب ، بينما كانت مساعدة الدول الخليجية للعراق خلال سنوات حربه مع إيران بهدف نبيل لإبقاء العراق قوياً وسداً منيعاً لدول المنطقة وللعالم العربي ، لأن الواجب الوطني يفرض أن يكون جيش العراق قوياً شامخاً ليشارك مستقبلاً في تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي ، ولم يكن هدف الدول الخليجية فرض سيطرة العراق على دولة إيران أو أن يكون جيش العراق بمثابة تهديد للدول الخليجية العربية التي وقفت إلى جانبه في حربه مع إيران ٠

ولكي تتكامل الصورة أستعرض فيما يلي بعض المواقف المعلنة والسرية لمؤسس البعث من العقيدة الإسلامية ومن دعوة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم منذ أن انطلق عفلق في التبشير لمبادئ «البعث» العلمانية الملحدة ٠

كان فيلسوف « البعث » يستغل مناسبة ذكرى تأسيس حزبه في السابع من نيسان « إبريل » من كل عام ليتحدث عن أهداف ومبادئ الحزب وفي الخامس من نيسان « إبريل » عام ١٩٤٣م أراد أن يستغل بعض المناسبات الإسلامية ، فألقى عفلق خطاباً على مدرج الجامعة السورية في دمشق وذلك حول ذكرى ميلاد الرسول الكريم إلا أنه ــ وأسفاه ــ استغل هذه المناسبة ومن خلالها غمز من قنوات مبادئ حزب البعث مع الإشادة السطحية والتجريح المبطن في وقت واحد بالمرتكزات الإسلامية فقال تحت عنوان « ذكرى الرسول العربي » :

« حياة الرسول خلاصة لحياة العرب ٠ ٠ ٠ وهي ممثلة للنفس العربية في حقيقتها المطلقة هذه التجربة ليست حادثاً تاريخياً يذكر للعبرة والفخر ، بل هذا استعداد دائم في الأمة العربية ، فالعرب منذ ضمور الحيوية فيهم ، أي منذ مئات السنين يقرأون السيرة ويترنمون بها ولكنهم لا يفهمونها لأن فهمها يقتضي درجة من غليان النفس قصوى ، وحداً من عمق الشعور وصدقه لم يتوفر لهم بعد ، وموقفاً وجودياً يضع الإنسان أمام قدره وجهاً لوجه وهم أبعد ما يكونون عن ذلك » ٠ ويبدأ عفلق بالغمز المبطن بالعقيدة الإسلامية فيقول : «إن التعظيم الحقيقي للبطولة إنما يصدر عن المشاركة فيها وتقديرها بعد المعاناة والتجربة ، فلا يقدرّ البطل إلاّ الذي يحقق ولو جزءًا يسيراً من البطولة ... ومن الطبيعي أن يستطيع أي رجل مهما ضاقت قدرته أن يكون مصغراً ضئيلاً لمحمد ، ما دام هذا الرجل فرداً من افراد الأمة التي حشد محمد كل قواه فأنجبها ... كان محمد كل العرب ، فليكن كل العرب اليوم محمداً ... مشركو قريش ضروريون لتحقق الإسلام ضرورة المؤمنين له ، والذين حاربوا الرسول ساهموا في ظفر الإسلام كالذين أيدوه ونصروه » ٠

« *فالإسلام إذن كان حركة عربية وتجربة ومحمد الثائر الأول ، فليكن كل العرب اليوم ثائرين ... والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي ، ولكن العربي الجديد ، المتطور ، المتكامل . وكما نطلق اليوم على عدد من أفراد الأمة اسم وطني ، أو قومي ، مع ان المفروض أن يكون مجموع الأمة قومياً . ولكننا نخص بهذا الاسم الفئة التي آمنت بقضية بلادها وتتحمل مسؤولية انتسابها ... وما دام الارتباط وثيقاً بين العروبة والإسلام ، فلا مجال إذن للخوف من أن يشتط العرب في قوميتهم .... نحن الجيل العربي الجديد نحمل رسالة لا نظريات وأقوالاً* » .

ويستمر عفلق في الغمز بالعقيدة الإسلامية فيقول : « *الإسلام عام وخالد ولكن عموميته لا تعني انه يتسع في وقت واحد لشتى المعاني والاتجاهات بل إنه في كل حقبة من مراحل التطور يفصح عن واحد من المعاني اللامتناهية الكامنة فيه منذ البدء ، وخلوده لا يعني إنه جامد لا يطرأ عليه تغيير أو تبدل ، وتمر الحياة دون أن تلامسه ، فهل يدرك أولئك الغيورون أن يجعلوا من الإسلام جراباً يسع كل شيء ومعملاً ينتج كافة المركبات والأدويه ، وفي هذه المرحلة الحاسمة بين مراحل التطور ، هو أن نوجه كل الجهود وإلى تقوية العرب وأن تحصى هذه الجهود في نطاق القومية العربية* » .

وقال : « *إن الجاهلية تمثل جسماً حياً قوياً ولكنه سجين تعوقه العوائق فكان لا بد له من أن يتخطاها ويفلت من القيود ... إن غايتنا من عرض هذه الصور لفترات رئيسية أن نستخلص منها ما يفيدنا في حاضرنا ، فكيف يكون حاضر البعث الجديد الذي هو التجربة القومية التي يجب أن تبقى ... هذا الحاضر الذي يحياه العرب الآن هو بدء الرسالة الخالدة ... رسالة « البعث » العربي لأنهم في هذه التجربة تجربة « البعث » سيعرفون من جديد معنى العمل والتضحية ... وعندما يتم الامتزاج العقلي بين الأفراد وبين مصير امتهم نستطيع ان نثق بأن العرب يسيرون إلى ظفر محقق في آخر هذه التجربة للبعث لبعث الأمة العربية* » .

ولكي تتكامل الصورة لا بد أن نواصل إلقاء المزيد من الضوء على نماذج لجوانب أخرى مما كان يتفوه به فيلسوف البعث عن الإسلام وعن نبي الإسلام وعن مبادئ الإسلام السمحة من خلال خطبه ومحاضراته التي نشرها لا سيما ما قاله في محاضرة ألقاها على بعض الشباب العربي عام ١٩٥٦م .

قال عفلق : « *إن جمهور شعبنا ما زال متأخراً وما زال خاضعاً لمؤثرات رجال الدين من*

شتى المذاهب والطوائف ، فلو أننا ذهبنا إلى جمهور الشعب ، وليس لنا غنى عنه ، إذ بدونه لا نستطيع أن نحقق أي تبديل سياسي في الحياة العربية ، ولو ذهبنا اليه بأفكار فجة ، وبأساليب غير محكمة ... وصارحناه بما لا يستطيع هضمه واستيعابه ، فأخذنا نطعن بالدين ونتبجح بالكفر ونتحدى شعور الشعب فيما يعتبره هو مقدّساً وثميناً ، نكون بدون فائدة وبدون أي مقابل أغلقنا أبواب الشعب في وجه الدعوة وأوجدنا ستاراً كثيفاً بيننا وبينه ، حتى لا يعود قابلاً أو مستعداً لأن يسمع شيئاً وأن يسايرنا في نضالنا ودعوتنا !! .

لقد أوضحت في مستهل الكتاب ملامح عن شخصيات الأحزاب العلمانية ومنها ميشيل عفلق وموقعها السياسي اللاأخلاقي ، وأشرت إلى أن «عفلق» كان يدرس الطلاب في دمشق مادة التاريخ، وكان يهمل الحضارة الإسلامية ودورها في تطوير المجتمع العربي والإسلامي بل الإنساني ، بينما كان يتوسع في موضوع الحضارة الأوروبية ويشيد بما وصلت إليه، ودورها في المجتمعات الغربية، وأشرت أيضا إلى أن عفلق كان يعرض على طلابه صوراً عارية تماماً للرجال والنساء ، حملها معه من فرنسا والعالم الأوروبي ، بحجة التعريف بالحضارة الأوروبية وفنها الجمالي ، وكان الهدف من ذلك ليضل الشباب المسلم في سورية ويجعله يسير في طريق الإنحلال الخلقي المؤدي لإفساد المجتمعات الإسلامية. وهذا مطلب أساسي في المبدأ القومي الاشتراكي.

والملفت للنظر، كما أوضحت أيضا أن عفلق كان يحمل في جيبه كتاب المستشرق الفرنسي «هنري ماسّيه » عن الإسلام ويختار منه المواد التي يدرسها للطلاب ، وهذا الكتاب عبارة عن مغالطات عن الحضارة الإسلامية وافتراءات وادعاءات كاذبة بشأن الإسلام ومعاملته لأهل الذمة مثلا، وفيه تصوير فاسد ، للأسس التشريعية التي قام عليها المجتمع الإسلامي.

إن كتاب « ماسّيه » كتاب ضحل قليل القيمة، كما نوه بذلك الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه « موسوعة المستشرقين ».« في الصفحة ٥٣٦ و ٥٣٧» وفي الجملة أن الكتاب في أبوابه كان خارجاً عن مألوف المسلمين ومغايراً للحقائق الفقهية، أو ضارباً عرض الحائط بالأسس الثابتة والراسخة لشعائر الإسلام والحكم الجليلة التي تنطوي عليها أحكام الدين الإسلامي أو الأعمال التي حققها رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية جمعاء.

إن عفلق انضم للحزب الشيوعي الفرنسي وتلقى المبادىء اليسارية بهدف رسم طريقه السياسي المنحرف، وانجرف مع الافكار العلمانية الملحدة والاتجاهات «الدموية» لذلك كان منذ ظهوره على المسرح السياسي يطالب بالثورة والانقلاب على الحكومات الوطنية في العالم

العربي وبصورة خاصة على الأنظمة الملكية ، ويدعو لاقامة حكومات يسارية اشتراكية غايتها تغيير الأوضاع الاجتماعية العربية بطريق الدم والعنف، وعلى هذه الأسس الدموية قامت مبادىء حزب «البعث » بتوجيه من عفلق .

ومن هذه التربية «العفلقية » الملحدة ، ومن مهمات عفلق الأساسية المخربة وهي مهمات مرسومة كلف بها في عالمنا العربي، فقد كان عفلق يتفوه بعبارات وفلسفات لا أساس لها من الصحة ، ومرفوضة ، كما يغمز من شخصية رسول الله ومن العقيدة الإسلامية ومكانتها الكبيرة، ويطالب بتوجيه كل الجهود في نطاق المبادىء العلمانية الملحدة ، والشيوعية الهدامة، وأن تحصى هذه الجهود في نطاق القومية العربية « الملحدة» . لذلك إن أقوال «عفلق» فتنة كبيرة ، وواجب على من يرى غيره يحاول فتنته عن دينه أو يصد عن سبيل الله أن يقاتل في سيبل الله حتى لا يفتن وحتى ينصر دين الله ، وهذا القتال ينصب في سبيل حرية الدعوة إلى الله وإلى دينه.

ومن حق كل مؤمن أن يرد على هذا الفيلسوف الملحد الذي أساء للعقيدة الإسلامية أو حاول التقليل من أهميتها ، إذ اعتبرها حركة عربية وتجربة للحياة ، مشيراً إلى أن تجربة «البعث» هي التجربة التي يجب أن تبقى ».

ومن ردنا المنطقي على هذه السفسطات الخسيسة نؤكد لزبانية عفلق ولكل علماني ملحد في عالمنا أن ظهور الرسالة السماوية لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، كانت أعظم حادث في تاريخ العرب والمسلمين ، كما أنها أعظم حادث في تاريخ البشرية عامة.

وقد اختتم الله تعالى برسوله الكريم جميع أنبيائه ورسله، وأعده، لأن يحمل الرسالة السماوية للبشرية كلها ، لذلك كان رسول الإسلام شمس الهداية ، لأنه أمر بأن يبلغ عن ربه، وترك له أن يتصرف بعقله وعلمه وفطنته ، ومن هذا التكليف الإلهي كان صلى الله عليه وسلم حامياً أميناً للدعوة الإسلامية ، ومدافعاً عنها .

إن أقوال «عفلق » تدخل في مفهوم الرذيلة ، وفي مضمون الأعمال السيئة الخبيثة المذمومة، وفي العقل المنكر ، وفي السلوك غير الصالح، وفي الخلق الفاسد المتصف بالشر والعدوان ، وفي العمل الذي لا يتفق مع الواجبات الدينية والخلقية ، والذي لا يتفق مع شرع الله أمراً ونهياً ، وهي أيضاً تدور في تلك الاعتقاد الفاسد، والإرادة الفاسدة، والمعصية والخطيئة.

إن النظرة العلمية لهذه الفسلفات العلمانية في مفهوم شيخ الإسلام الإمام، ابن تيمية ، تؤكد « أن الرذائل الخلقية هي أمراض خلقية أساساً ، ذات أبعاد نفسية، وعقلية، ومن ثم فهي مرتبطة بانحرافات نفسية، وسلوكية، تغييب فيها معالم الحقيقة ، أو تبدو في قوالب مهوشة ، أو معكوسة ، ويفقد معها القدرة على التمييز بين الخير ، والشر، أو بين الحق، والباطل ، أو بين النافع والضار » «من كتاب النظرة الخلفية عند ابن تيمية للدكتور محمد عبدالله عفيفي».

ويضيف الإمام ابن تيمية ، ومن أجل ذلك : « كان عنصر « القصد والإرادة » فيها بارزاً، فإذا كانت النفس خبيثة ، فتصفه بالسوء « لم يكن محلها إلا ما يناسبها » ومعنى هذا: أنها تصدر من النفس الخبيثة عن قصد وإرادة ، فعمل الانسان بدون قصد، أو إرادة ممتنع أصلاً، ويدلل لهذه الفكرة : بأن الحيّات والعقارب بما فيها من خبث ، لا يمكن أن تعاشر الناس، ومن ثم فالكاذب ، لا يصلح أن يكون شهيداً على الناس، والجاهل، لا يقبل أن يكون معلماً لهم، أو مرجعاً للرأي والمشورة ، كما أن الجبان العاجز، لا يصلح للجندية والقتال، ولا الاحمق، أن يكون سائساً ، «فمثل هذا يوجب الفساد في العالم » ومعنى هذا الربط أنه لا يغفل الجانب الاجتماعي في نظرته إلى الرذائل الخلقية ».

ان جميع هذه الصفات التي أشار إليها شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية إنما تنطبق فعلا على «فيلسوف» البعث ميشيل عفلق، وهي نظرة خلقية متكاملة ومتناسقة ، تقوم دعائمها على ثلاثة عناصر هي ، العقل ، والفطرة، والدين، والاحكام العقلية الانسانية ، المتفق عليها لا يمكن أن تختلف مع شرع الله . مما جعل الرذيلة جريمة كبرى .

إن الله عز وجل قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للناس كافة، وجمع النبي الكريم بين تقوى الله وحسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

كان رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة ، نذيراً وبشيراً للعالمين ، وأميناً على المبادىء السماوية المنزلة، ويتميز الإسلام ، إنه دين شامل ، يهتم بالشريعة التي تنظم العلاقات الخاصة والعامة، ويهتم بالكيان الأخلاقي للإنسان ، ويجعله المركز لكل معاملاته وسلوكياته، وأساس العقيدة الإسلامية هي : الإيمان : أن نؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر، ونؤمن بالقدر خيره وشره .

وحياة النبي الكريم في سموها البالغ غاية السمو الذي دعت إلى الإيمان، ووضعت حداً فاصلاً للحياة في العهد الجاهلي ، وحطم رسول الإسلام الأصنام ، وأزالها من الوجود في التاريخ الإسلامي ، ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأقام أركان الإسلام الخمسة، وهي: شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج، وأركان الإسلام هي أساسية ثابتة لكل من اعتنق الديانة الاسلامية ، وجعل منها وسائل السمو بما تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرية ، كما حددها شرع الله، ودعا إلى الطريقة العلمية الحديثة ، والتي تمحو من النفس كل رأي وكل عقدة في الحياة، وهي أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر، من حرية الرأي ، وحرمة الحياة، وحرمة المال، وتحريم الجرائم ، وحذر من الشرك ، ومن عبادة الأصنام ، كما دعا إلى الأخاء الإنساني، وهو أساس الحضارة الإسلامية ، فالإسلام يضع العدل إلى جانب الأخاء ، لأن الإسلام دين الفطرة، وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال: « المعرفة رأس مالي » ، « من كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل» ، صفحة (٢٤٦) . لذلك قامت في الإسلام الشورى ، وهي استطلاع رأي أهل العلم والرأي والمعرفة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبياً وحاكماً ، ونحن ملزمون باعتباعه في رسالته النبوية التي أمره الله تعالى بتبليغها إلى الناس، لأنها دين الإسلام القويم ، لقد أوجد رسول الله ، السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية ، وفرض على الناس تلك السلطات إلى أن أوجد السلطة العامة في الإسلام ، وأخضع الناس لها ، فأصبحت رابطة الدين أقوى من رابطة العشيرة، ولم يكن في أي مكان من العالم مثل هذه السلطة المثالية التي أعطت النور والحرية والمساواة والأخوة والسلام للجميع ، ففي أمور الحكم الإسلامي مسائل حددها الشرع، أما محاولة رجال الأحزاب والسياسة والعقائد والمبادىء الهدامة، لفرض آرائهم وأهوائهم باسم الدين فهي أشد الأخطار على الدين نفسه وعلى كل مسلم.

كان سيدنا محمد القوة الصالحة في كل ما أمر الله به، وما ألقي عليه ، والشريعة الإسلامية بلغت من النضج ما يجعلها الدين الثابت للناس كافة، بلغت مراتب الكمال الإنساني، وإلى تحقيق المثل الأعلى في الحياة، وانبسط سلطان الدين الإسلامي على كل العالم، لأن الله تعالى قد أكمل للمسلمين دينهم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وفي آخر حجة قام بها

الرسول الكريم تلا على الناس قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» سورة المائدة ، الآية : (٣) وقال رسول الله في حجة الوداع:

«فاعقلوا أيها الناس قولي فإني بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة رسوله ، أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم . إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .. اللهم هل بلغت ..أجاب الناس من كل صوب نعم .. فقال النبي اللهم اشهد». «من كتاب حياة محمد للدكتور محد حسين هيكل » «الصفحة ٤٩١ و ٤٩٢».

لقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أساس حضارة هي وحدها كفيلة بسعادة العالم ، لأن الحضارة الإسلامية قامت على أساس من قواعد العلم وهدى العقل.. إن الإسلام يربط بين التفكير المنطقي والشعور الذاتي.

إن حضارة الإسلام تختلف كلياً عن الحضارة الغربية ، في تصوير الحياة إلى أسباب تاريخية، إن الحضارة الغربية أوجدت النزاع بين السلطتين الدينية والزمنية ، أي بين الكنيسة والدولة وإلى الفصل بينهما، وإلى إقامة سلطات الدولة على إنكار سلطات الكنيسة، وكان هذا التنازع على السلطان أثره في التفكير الغربي، وترتبت على ذلك ، ما كان من تفريق بين الشعور الإنساني ، والعقل الإنساني.

والحضارة الإسلامية تقوم على أساس روحي يدعو الإنسان إلى حسن إدراك صلته بالوجود ومكانه منه قبل كل شيء . فإذا بلغ من هذا الإدراك حد الإيمان ، دعاه إيمانه إلى إدامة تهذيب نفسه وتطهير فؤاده، وإلى تغذية قلبه بالمبادىء السامية، مبادىء الإباء ، والأنفة ، والأخوة ، والمحبة ، والبر والتقوى ، والمبادىء الخلقية هي أساس النظام الإقتصادي الإسلامي، وتاريخ الإسلام خلا من النزاع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية، فليس لأحد من المسلمين ، ولو كان خليفة ، أن يفرض أمراً على الناس، أو أن يفرض على الناس غير ما فرضه الله تعالى في كتابه المنزل ، والمسلمون أمام الله سواسية ، لا فضل لأحد منهم علي أحد إلا بالتقوى .

وبعد بيان الفلسفة « العفلقية » الملحدة نحو رسول الله ، نبيَّ الإسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأيضانحو مبادئ الإسلام وشريعته السماوية التي

قال عنها عفلق بأنها عبارة عن جراب يتسع لكل شيء ومعملا ينتج كافة المركبات والأدوية !! . أستغفر الله العظيم .. أترك للقارئ الكريم الإمعان في هذه النظريات « العفلقية » والعمل على تحليلها لتبيان الكفر والزندقة التي رسمها ميشيل عفلق في مبادئه « البعثية » وعمل على ترويجها في صفوف الشباب العربي المسلم النقي المتمسك بعقيدته .. وبعد هذا التحليل المجرد أعتقد جازماً بأنه سيظهر لكل امرئ مدى صحة الإعلان الذي أذاعه صدّام حسين التكريتي نيابة عن القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث حول إسلام « فيلسوف البعث » بعد موته .. وقد تخلص الشعب العربي المسلم من طغيان هذا الفيلسوف ومن أطماعه التوسعية في العالم العربي .

فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : « يأأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين» سورة المائدة ، الآيــة :(٥٧) وقال العزيز القدير : « ومن يشاقق الرسول بعدما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلّهِ ماتولّى ونُصلِهِ جهنَّم وســاءت مَصيراً » سورة النساء ، الآية : (١١٥).

إن من أحلام فيلسوف البعث أن يقيم في العالم العربي من محيطه إلى خليجه « دولة البعث » ولكن الله العلي القدير شاء أن يخفق صدّام حسين في تحقيق هذه الأمنية قبل وفاة صاحب الحلم وبعد وفاته أيضاً وصدق الله العظيم حيث قال : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » سورة الأنفال ، الآية :(٤٨) .

وتحدث عفلق عن علاقة القومية العربية بالدين فقال : « ***فالدولة الدينية كانت تجربة في القرون الوسطى ، وتجربة انتهت بالفشل ، وكلفت البشرية كثيراً من الجهود ومن الدماء ومن المشاكل ، وحدثت تقريباً في أوقات متقاربة في البلاد الإسلامية وفي أوروبا المسيحية ... الإسلام كان المحرك للعرب « اما اليوم فالقومية وحدها ولا يمكن أن يفهم العرب لغة غيرها »*** ***وقد استرسل عفلق في فلسفته قائلاً :« إن الإسلام يتساوى مع غيره من الأديان في دولة البعث المقبلة ، والحزب كحركة قومية فإنه يتوجه إلى جميع العرب دون التمييز بين أديانهم ومذاهبهم وهو ينظر إلى جميع الأديان نظرة واحدة من حيث التكريم والاحترام ، وأن حرية الاعتقاد الديني شيئ مقدس ، وعلى كل فان الدولة البعثية المقبلة ستضع جميع الأديان على قدم المساواة وعلمانية الدولة بهذا المعنى ليست إلا إمعاناً في الحرص على اتجاهها الروحي***

والأخلاقي، فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها، تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع، وبأن تبعث فيه روحه العميقة الأصيلة التي وصلتها العضوية في تكوينها».

ويدعي مؤسس البعث بأسلوب ماكر انتهاء الإسلام عندما يسترسل في المقارنة بين العقيدة الإسلامية وبين حركة القومية العربية التي يعمل من اجلها وذلك حيث يقول: «*إن العرب المسلمين في عهد ظهور الدعوة كانوا ينتصرون بعدد قليل لأن الله يمدّهم بجنود لا تُرى ولا يراها أعداؤهم، وهكذا تسمو فكرة القومية العربية إلى درجة الإسلام ... على اعتبار ان الاثنين ليسا شيئاً آخر سوى تجسيد واع للأمة العربية في عصور مختلفة*».

ورداً على هذه الفرضية نقول: إن القومية العربية منذ نشأتها في مطلع القرن العشرين بما تشتمل عليه من تنظيرات إنما تتعارض مع العقيدة الإسلامية قولاً وعملاً.

إن علماء الدين الإسلامي وأئمتهم يوضحون دائماً وأبداً ان قضايا الحكم والسياسة كلها من أمور الدين، وقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً وحاكماً ونحن ملزمون باتباعه وإطاعته وتنفيذ مضمون رسالته النبوية التي أنزلها الله عليه بالوحي من السماء.

قال الله سبحانه وتعالى «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين» سورة الزمر، الآية: (٢٢).

فما دام اننا مسلمون فلماذا يجنح البعض ويحتكم إلى غير كتاب الله فيزيف ويختلق على الاسلام ما ليس فيه؛ إن الله تعالى قد حدد لنا معنى العبادة والقصد هو توحيد الله وتحكيم شريعته.

ولنا وقفة أخرى للرد على «فيلسوف» حزب البعث، لتفنيد أقواله التخريبية التي وردت في الأسطر السابقة وما بعدها، وأساءت في مجملها للشريعة الإسلامية، وترويجه للمبادىء العلمانية الملحدة وبخاصة لمبادىء القومية العربية، التي أشار إليها، حيث ادعى انها وحدها لا يمكن أن يفهم العرب لغة غيرها، مشيراً إلى أن العلمانية التي يطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها، تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر، فنقول لهذا العلماني الملحد، الذي أصبح في عداد المتوفين:

إن تبني المنهج العلماني القائم على القومية العربية، كان مصدره فئات من نصارى العرب - على رأسهم عفلق بالذات - وجمعيهم أعلنوا معارضتهم للشريعة الإسلامية، لأن

مبادىء القومية هي مبادىء يسارية ماركسية مأخوذة من «الماسونية العالمية » ومن «بروتوكولات حكماء صهيون » ومستمدة من النظريات الشيوعية العالمية، وهي بمجملها أفكار هدامة تخريبية ترفضها الأديان السماوية ، وهي أيضا ثورات «دموية» تقضي على جميع الطبقات والحكومات الوطنية لفرض مبادئها التخريبية ، وتحول ملكية وسائل الانتاج الرأسمالية الى ملكية جماعية تعود للدولة ، ولفئة من النظام الحاكم دون سواهم، بهدف تطبيق النظام الاشتراكي القائم على الاستغلال والظلم وعدم الطمأنينة في ظل النظام الملحد، وتكون هذه المرحلة «سيطرة » أو «ديكتاتورية » البروليتاريا لقيام صراع بين الطبقات ، لانشاء دولة ملحدة تقوم على «العمال والفلاحين الموالين للنظام الحاكم .

ومبدأ القومية العربية ، الذي يروج له «عفلق » مع زبانيته من الأحزاب الشيوعية «العلمانية» هو واحد من حيل الشيطان وألاعيبه التي صنعها بيده وقدمها للبشرية في القرون الماضية ، ونشرها ظلماً وجوراً ، وهو ظلم فاحش لم ير التاريخ مثله .

والقومية العربية في مفهومها السياسي هي علمانية كان عدد من مؤسسيها من نصارى العرب ، يعلنون معارضتهم لفكرة التجمع الإسلامي الذي شجعته الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد ، وانطلقت هذه المبادىء بهدف مناهضة الدولة العثمانية التي كانت ملتزمة بالشريعة الإسلامية ، لذلك نصت المبادىء القومية، أن يكون المجتمع السياسي العربي متحرراً من الدين ويقوم على أساس علماني ليحقق الوحدة التي تربط عرب القارة الآسيوية - وهي هدف كبير لميشيل عفلق - لقيام دولته «البعثية » .

وفكرة القومية العربية وضعها عدد كبير من اليهود حتى تغدو اليهودية العالمية سادة - على حد تعبيرهم - وان لا يترك ديناً قائماً غير ديانتهم التلمودية، لذلك كان مخططهم القضاء علي الأديان الأخرى ليتاح لهم التسلط والتحكم بمقدرات العالم كله، وبتحريك من المنظمات اليهودية قامت في المنطقة العربية حركات انفصالية في مصر ولبنان ، وقامت جمعيات عربية هدفها حض العرب على «الثورة » على الدولة العثمانية وانفصال البلدان العربية الآسيوية عن الدولة العثمانية وانشاء مملكة عربية مستقلة ،.وكانت الحكومات الاستعمارية ومنها بريطانيا العظمى، وفرنسا وروسيا تمول الحركات العربية وأصبحت الدولة العثمانية فريسة اضطرابات وقلاقل ، وكانت تلك الحركات تنادي بالمبادىء القومية وبنظرية علمنة الدول العربية، وبضرورة فصل الدين عن سياسة الدولة ، وأمور المجتمع العربي.

ولعبت المزايدات السياسية في المنطقة بين الأحزاب القومية دورها الكبير لقطف ثمار

نشاطاتها والتسابق في نشر مبادئها العلمانية ، وأخذ كل فيلسوف يدلي بآرائه حسب أهوائه وكلها تنصب في أن لا تكون القومية » دينية ، وان العلمانية المطلوبة للدولة هي التي بتحريرها الدين تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الافراد والمجتمع، وان البعث الروحي لا يصبح أداة حوار حضاري إلا إذا أخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية للأمة، واستطاع أن يخلق انساناً فرداً واجيالاً ، يتكافأ غنى عالمهم الداخلي مع قدرتهم على تغيير المجتمع تغييراً حضارياً – هذه خلاصة موجزة لأهداف ومبادىء القومية العلمانية الملحدة –.

إن جميع المبادىء القومية ، نظريات هدامة خطيرة هدفها تفتيت المجتمعات ، لأنها تقوم على العنف ، والحروب الأهلية ، بهدف قيام عنصرية طبقية ، وتولي الفئات الغوغائية مقاليد السلطة ، بعد تدمير طبقة رجال الاقتصاد والاعمال من الاغنياء ، ويحل مكانهم ، أعضاء من الحزب أو النظام الحاكم ، وهم لا يفقهون شيئا في مهماتهم وفي تولي إدارة شؤون البلاد ، وبذلك يصبح الشعب مكبلاً بالتخلف ، أمام المجتمعات المتحضرة الأخرى. والعلمانية قامت في أجزاء من العالم بعد « ثورات وانقلابات » و «حروب دموية » طغت على عالمنا العربي لتحقيق مصالح زعامات وأفراد كانت مجهولة في المنطقة العربية.

وعمل الاستعمار الغربي والشيوعي على بث الفرقة وأسباب الخلاف بين المسلمين عن طريق اذكاء وإحياء النعرات العنصرية الجاهلية المتمثلة بالقوميات الاقليمية ، ودفعهم عن طريق التعليم والحكم والإعلام ، فعمهم بالمذاهب الفاسدة، كما شجعت الدول الاستعمارية على نشر الديانة النصرانية في البلاد العربية والإسلامية وبث السموم بقصد تشكيك التلاميذ والطلاب الصغار بدينهم ، وبقصد آخر هو محو اللغة العربية في المدارس لاخراج النشء الجديد – جيل المستقبل – عن عقيدته الإسلامية.

إن الشريعة الإسلامية المتمثلة في كتاب الله العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، نظام وهدى كافٍ وقادرٍ على أن يوضح للمسلمين كل ما هو مطلوب للحياة، وأمورهم الدنيوية ، لأن العدالة الاجتماعية لا توجد إلا في الشريعة الإسلامية وحدها، فهي دين الحق والعدل، والتعاون والاخاء ، المنزل من خالق الكائنات وربها لهداية الناس، فالعدل هو هدف الإسلام ، والإسلام نزل لإقامة العدل بين الناس، وقال الله تعالى في كتابه العزيز : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز» سورة الحديد، الآية: (٢٥).

إن الشريعة الإسلامية تجعل العقل حكماً في جميع الأمور الدنيوية، فهذا هو الإيمان الذي دعا إليه الإسلام، إنه الإيمان المستنير المستيقن بالله جلت قدرته، وليس إيمان الذين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً . وهؤلاء هم أنفسهم العلمانيون والملحدون في هذا الزمان.

فالمسلم المؤمن ، إذا فكر بقلبه وجال بفكره، دله قلبه وعقله على صحة القرآن الكريم وأنه الحق ، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن ، فقد قال رب العزة والجلالة : « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد ». سورة سبأ، الآية(٦).

وعندما يتحدث عفلق عن علمنة حزب البعث في سلسة كتاب « في سبيل البعث» يقول : ***« لا يحتاج العرب إلى تعلم شيء جديد ليصبحوا قوميين ، بل إلى اهمال كثير مما تعلموه حتى تعود إليهم صلتهم المباشرة بطبعهم الصافي الأصيل ... القومية ليست علماً بل هي تذكّر حي ... الحب أولاً والتعريف يأتي بعده ، إذا كان الحب هو التربة التي تتغذى قوميتكم منها فلا يبقى مجال للاختلاف على تعريفها وتحديدها ، فتكون روحية سمحة بمعنى أنها تفتح صدرها وتظلل بجناحيها كل الذين شاركوا العرب في تاريخهم وعاشوا في جو لغتهم وثقافتهم أجيالاً فأصبحوا عرباً في الفكرة والعاطفة .ولا خوف أن تصطدم القومية بالدين*** » .

لذلك إن ما يطلبه فيلسوف البعث من الأمة العربية إهمال كثير مما تعلموه من مبادئ وعقيدة الإسلام وبذلك تعود إليهم صلتهم المباشرة ببعضهم التي كانت في عهد الجاهلية في عهد القرون الحالكة بالظلام وكان عفلق يشيد بالحكم الجاهلي قبل هبوط الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين وظهور الإسلام الذي جاء ليضع حداً للحكم الجاهلي ولشريعة الغاب ، فقال عفلق في تحديده للجيل العربي الجديد :« ***ليس من ضرر في أن يكون حكمنا على الجاهلية حكماً تفسيرياً فنستكشف فيها فضائل ونجد لعيوبها أعذاراً ..ولكن كل ذلك بشرط أن يكون قمة جيل عربي جديد يؤمن بنفسه ويؤمن بأمته الخالدة ...جيلاً لم يتحقق بعد وأن تكن له في واقعنا مكانة ، وأن عمله إشعاع لفكرته ، فاذا لم تكن لم يكن ... ليس العمل إشعاعاً لها بل هي تقطير لظلمته ، ولن يكون الجيل الجديد إلا بانفصاله عن الجيل القديم .. في أصل الفكرة ونظامها وتكوينها*** » .

إن دعوة حزب البعث لمبادئ القومية العربية وفق النسيج الذي يحيكونه إنما تتعارض

في كل جوانبها وأهدافها جملة وتفصيلاً مع الشريعة الإسلامية السمحة . قال الله تعالى في كتابه العزيز : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولمّا يدخُلِ الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لايَلتكُم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم » سورة الحجرات ، الآية :(١٤) .

وبإعمال التعمق في أقوال عفلق عن الرسول الكريم نبي الإسلام وتحليل أهداف « الرسالة العربية الخالدة » التي كانت الشعار الأول لعفلق منذ نشأة حزب البعث يرى الباحث أن عفلق يعتبر نفسه ملهماً وأن باستطاعته من وجهة نظره المنحرفة أن يقوم بالدور الكبير الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن مهمته يحصرها في التبشير بمبادئ القومية العربية الملحدة ، لذلك فان كل ما يهم عفلق بالدرجة الأولى عدم قيام الدولة الإسلامية ، فالإسلام بالنسبة لمؤسِّس حزب البعث أو بالنسبة لجميع من يروج لمبادئ القومية العربية إنما هو لا يعدو ظاهرة ثقافية روحية عربية صرفة بل هو ثورة مرحلية من ثورات الأمة العربية وحلقة من حلقاتها سبقه وتبعه العديد من الثورات والحلقات التي عاشتها الأمة ، وإن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم هي بحد ذاتها تجربة أخلاقية وإنسانية وأن تجربة البعث بالنسبة لعفلق هي التجربة التي يجب أن تخلد في التاريخ كما ينبغي لظاهرة القوميات في هذا العصر أن تتجدد وتشع في حركة سياسية جديدة هي حركة « البعث » وأن تقام دولة البعث على اساس هذه الحركة في الوحدة والحرية والاشتراكية.

ولهذا لم ينظر مؤسس البعث إلى الإسلام من زاوية كونه رسالة سماوية وبل اعتبره مجسِّداً لعبقرية العرب محمد صلى الله عليه وسلم ليس إلاّ . فقد كان يردّد عفلق أمام الطلاب والشباب القول : « ***نحن حملة الرسالة العربية الخالدة ، واجبنا أن نقول الحق ونعمل به ، إن الجو الصادق الذي نخلقه حولنا ، هو وحده كاف لكي يهدي الناس ويطلعهم على الحياة الحرة السامية التي يحنّون إليها منذ القديم ، إن القدر الذي حملنا هذه الرسالة خوَّلنا أيضاً حق الأمر والكلام بقوة والعمل بقسوة*** » .

لذلك كان يحرص عفلق في هذه الآراء على الصعيدين السياسي والنظري – العقائدي (= الإيديولوجي) أن يكون حزب البعث هو الصيغة القومية التي تنتفي منها الحركة الدينية لذلك كان يلاقي معارضة شديدة من أصحاب الفضيلة العلماء وهو يحمل بدوره بشدة لموقفهم المعارض من وجود حزب البعث ، وكان يصف أصحاب الفضيلة العلماء بالرجعية وبالفساد .

وأخيراً نسوق للقارئ الكريم في نهاية هذه الحلقة القصة الآتية :

خلال عهد الوحدة السورية / المصرية أسند منصب وزارة الاقتصاد الوطني لخليل

الكلاس عضو حزب البعث العربي الاشتراكي إلا أنه من جماعة أكرم الحوراني والكلاس « نصراني » من مدينة حماة وكان يقيم في مسكن بحي أبو رمانة في دمشق ، وكان مسكن الكلاس ملاصقاً للمسكن الذي أقيم فيه مع أسرتي في منقطة شورى – حي المهاجرين – ويوجد مقابل سكني مسجد اسمه مسجد الأفرم حيث كان سكان الحي يسمعون إعلان الأذان في كل أوقات الصلاة ولا سيما صلاة الفجر ويقصدون المسجد لأداء الصلاة . وفي يوم من الأيام توقف صوت المؤذن لصلاة الصبح واستغرب السكان هذا التوقف الفجائي لصوت الحقّ وبطبيعة عملي الصحفي استوضحت عن السبب فجاء ني الجواب إن تعليمات صدرت من وزير الأوقاف في الإقليم السوري آنذاك بطلب ملّح من قيادة حزب « البعث » . تقضي بمنع الأذان في هذا الوقت المبكّر على اعتبار أن الوزراء الثوريين العلمانيين ـ ومنهم خليل الكلاس ـ يأتون إلى منازلهم للنوم في الوقت الذي يذهب فيه المسلمون للمسجد لتأدية صلاة الفجر لذلك فان اعلان الأذان في هذا الوقت إنما يزعج الوزير الكلاس «النصراني» ويحرمه من النوم ؛ وقد كان الوزراء الثوريون يقضون لياليهم حتى الصباح إما في الاجتماعات لوضع قراراتهم « الثورية » وفي معظم الأيام يقضون الليالي بالسهرات والتمتع بالملذات وتناول المسكرات مع النساء الساقطات .. الخ .

هذا قليل من كثير من السلوكيات البعثية العابثة ، لقد كان هدف المؤامرة البعثية العفلقية منذ نشأتها في هذا القرن التي اعقبت ظهور دعاة القومية العربية تدمير الأصول الحضارية والينابيع الروحية للمواطن العربي المسلم حتى إذا تعرى في فراغه الفكري والروحي يصبح كريشة في مهب الريح سهل احتواؤه لتبنيٍّ الشعارات التي قامت عليها الماسونية العالمية المنبثقة عن بروتوكولات حكماء صهيون . فذلك يتطلب منا ايماناً صادقاً وعزيمة مخلصة للوقوف سداً منيعاً للحيلولة دون تسرب الأفكار الهدامة إلى صفوفنا ، وإن أي تهاون في هذا الخصوص سيعرض الشعوب الإسلامية لمزيد من العثرات التي تفضي إلى الكثير من الشروخ في بنيانها .

* * *

وجود عفلق في العراق !!

إن العراق هي الأرض الخصبة التي تنشر جذور « البعث » في العالم العربي ، هذا ما توصل اليه مؤسس البعث ميشيل عفلق إثر تعاونه مع تلميذه الهمام الذي جمع في شخصه روح الشر المتأصلة بما يمكنه من تحقيق شعار الحزب الوحدة ، الحرية ، الاشتراكية، ولذلك قرر الإقامة الدائمة في بلاد مابين النهرين وقد استهل نشاطاته بكيل المديح والتمجيد بقوة صدّام حسين ليمثل قيادة «البعث » في العالم العربي ، وبالتركيز للتعاون معه على وضع المخطّطات لتحقيق إقامة دولة « البعث ؛ ففي ذكرى تأسيس حزب « البعث » ألقى ميشيل عفلق خطاباً في هذه المناسبة تحدث فيه عن مراحل نشاط حزب البعث مشيراً إلى المواهب البعثية في شخص حاكم العراق صدّام حسين فقال له :

« لقد نقلت ثورة الحزب في العراق هذا القطر المناضل من الحالة التقليدية التي كانت سائدة فيه إلى الحالة النهضوية الجديدة المتميزة التي جعلت منه قوة مستقبلية رائدة في العمل القومي ، فالعوامل التي تجسد حالة النهوض قد تحققت فيه ، وبترابط وتكامل نادرين وبقيادة حزب متميز بمستوى نضاليته وجِدّيته ، وقيادة متفردة في كفائتها الفكرية وقدراتها التنظيمية وحكمتها العملية وصلتها الحميمة بالشعب ، ونظرتها الحضارية وممارستها البطولية هي قيادة الرفيق صدّام حسين» .

« إن المزايا التي ميزك الله بها والتي جعلت منك القائد الشجاع ، والمناضل الملهم ومكنتك من إخصاب فكر الحزب ، ومبادئه من حيث جعلها حقائق ملموسة في الحياة هي نفسها المزايا التي تحتاج إليها ثورة الأمة في ظرفها العصيب الحالي ظرف الولادة الجديدة ، وإثبات الهوية ، والعطاء الحضاري الذي فعلتموه من أجل رسالتكم القومية سواء في مجال النضال السلبي ، أو في مجال تثبيت قواعد الثورة ، أو في مجال تحويل مبادئ الحزب إلى حقيقة واقعة في المجتمع ، أو في مجال إغناء فكر الحزب ، وما بنيتموه من تقاليد حزبية في مستوى الحزب والدولة والجماهير كل ذلك ينبئ عن قدرة قيادية فذة لا تتاح إلاّ للقليل القليل من الرجال » .

إن هذه الشهادة لم تأت من فراغ بل جاءت بعد جهود مضنية ومتواصلة لصدّام حسين باتجاه فرض وتثبيت مبادئ البعث على عموم الشعب العراقي وبكل الوسائل وبسياسة العنف والإرهاب وتصفية الخصوم على درب إيجاد جيل جديد يكون متشبعاً بمفهوم البعث

قادراً على العطاء المستند على النظرية البعثية التي تهدف إحداث تغيير في بناء الإنسان وفي تفكيره وسلوكه وعلاقاته وهذا يعني قلب الحياة في المجتمع رأساً على عقب ٠

ولكي تتكامل الصورة لا بدّ أن نعود بالطرف لنرى ماهية الحياة التي يعيشها « مؤسس البعث » في العراق ، وما مدى نفوذه وصلاحياته في نظام صدّام حسين لا سيما في السنوات الأخيرة قبل وفاته ٠

إن المتتبع للوقائع يلحظ أن العلاقات بين عفلق وصدّام حسين خلال وجود « مؤسس البعث » في العراق قد أخذت المسار المعاكس باتجاه التأزم، حيث أصبح ينظر إلى « فيلسوف البعث » على أنه يعمل لمصالحه الشخصية ويستغل وجوده في العراق للحصول على مكاسب مالية ، ولما أن من عادة صدّام حسين التكريتي أن لا يسمح لأي شخص كان أن يكون أعلى منه مرتبة في الحزب أو في النظام الحاكم حتى ولو كان المؤسس الأول للحزب ذاته ، ولذلك لم يكن غريباً ان تنحصر مكانته في إطار ضيق « كأب روحي » مهمته التنظير للبعث العربي الاشتراكي دون أن يحظى بأي صلاحيات ذات قيمة تذكر وهكذا انتهى به المطاف بالجلوس الساعات الطويلة مداوماً على مكتبه « الفخم » في القيادة « البعثية » دون عمل ما ، وفي نهاية كل شهر يقبض راتبه ومخصصاته المالية دون تكليفه للقيام بأية مهام ، واستمر على هذا المنوال إلى أن أصابه المرض الذي يصيب عادة الذين كانوا يتمتعون بأعلى المسؤوليات ، وبصورة مفاجئة تسحب منهم هذه المسؤوليات والصلاحيات بإيعاز من «الديكتاتور » الذي حلّ مكانه لذلك لازمه المرض وما لبث أن توفي في ظروف لم يعرف كنهها بعد ٠

وكان ميشيل عفلق قبل وفاته يعترف لزوّاره في مكتبه وهم قلائل عن استيائه لهذا الوضع المفروض عليه من قبل صدّام حسين فقد استبقاه في بغداد كورقة يلعب بها ولذلك فرض عليه الاقامة الجبرية لئلا يغادر العراق ليوهم الشعوب العربية بأن « مؤسس البعث » ما يزال الموجه الرئيسي الأول للقيادة الحزبية الحاكمة ٠ وإن أعمال وأفعال حاكم العراق في مثل هذا التضليل عديدة وبخاصة للقياديين البعثيين القدامى الذين غادروا أوطانهم العربية إلى العراق وعاشوا في ظل حكم صدّام حسين وأصبحوا لا يتحركون إلا بأمر من « الطاغية » ومنهم من زُجَّ به في السجن وما لبث أن مات كما جرى للدكتور منيف الرزاز الأمين العام المساعد لقيادة البعث ٠

* * *

إشعال حرب الطبقات في العالم العربي !!

عَبْر الانقلابات العسكرية في بعض الأقطار العربية جرى تقسيم المجتمع إلى طبقات تتصارع فيما بينها وانهالت التهم على المواطنين ووصف هؤلاء بأنهم طبقة إقطاعية رأسمالية رجعية متحالفة مع الاستعمار ، يجب أن تصفى تصفية جسدية وتزال من المجتمعات، وأن طبقة الشعب العاملة التقدمية ، الاشتراكية التي يتحدث الحكم الثوري باسمها هي صاحبة المصلحة وهي التي يجب أن تحكم وتتصرف ، وهكذا أشعل فتيل حرب الطبقات كأشد ما يكون العداء بما يفوق كثيراً حرب الأعداء الحقيقيين وبناء على هذا التوجه الظالم قامت أمة «الانقلاب » باسم الطليعة « المقدسة » تغتصب الحكم الشرعي وتمزق الدساتير البرلمانية ، وتفرض حكم القلة على الكثرة بالقوة والقهر .

لقد أحدث هذا كله صراعاً في النفس العربية ، وأصبح الإنسان ممزقاً بين قيم وتقاليد أصيلة نشأ عليها ، وقيم « ثورية » فرضت عليه .

لقد أعلن رئيس وزراء العراق الفريق طاهر يحيى بعد أن تسلم البعث العراقي مقاليد السلطة عام ١٩٦٨م بقيادة أحمد حسن البكر ونائبه صدّام حسين : « لقد جئت إلى الحكم على دبابة ولن تطردني سوى دبابة » وبالفعل لم يطرد العاق إلا عاق مثله بواسطة دبابة على يد صديقه صدّام حسين الذي كان له البا ع الطويل في إيصال الأخير إلى الحكم المطلق في العراق .

إن الإيديولوجية « الثورية » لم تستطع أن تحرك الجندي والطيار وتدفعه إلى التضحية والفداء كما كان يمكن ان تحركه غيرته الوطنية وقبل ذلك عاطفة الدين . لماذا ؟ لأن النظم الثورية جردت الجندي من كل شيء حتى أصبح إنساناً بلا هوية ، إنساناً أقل ، ومواطناً أقل ، ومحارباً أقل ، مما يكون عليه الإنسان والمواطن والمحارب في الدولة الحرة التي تقدّر قيمة الإنسان فتصون كرامته .

إن الإنسان الذي يهان ويذَل ويجرّد من حقوقه الوطنية علاوة على ضغوط الحياة المثقلة بضنك العيش كيف يتأتى له أن يعطي أي درجة من الاهتمام بالوضع العام في وطنه ، أو أن يسهم بأي دور ذي قيمة ، وهذه نتيجة طبيعية لأن المواطن مشغول بتحصيل قوت يومه وباستنباط الوسائل والحيل للنجاة من أذى حكامه الذين يسومونه العذاب حتى غدا المواطن مشرّداً فقد أخرج من دياره ليبدأ رحلة جديدة من المتاعب بحثاً عن ملجأ يؤويه وعن عمل

شريف يلم به شتاته في ديار الاغتراب بعيداً عن الأهل والوطن .

وإذا عدنا إلى العرف السياسي الواعي المتفهم لحقيقة الأشياء نجده ينظر إلى الإنسان « الثوري » على أنه إنسان مادّي مجرد من القيم الأخلاقية متخلف في نظرته إلى الحياة ، محتقر لأبناء وطنه ، هابط في تطلعاته وأهدافه ، مغرق في العجب بذاته لا يرى أبعد من أرنبة أنفه كل همه في الحياة أن يحافظ على مصالحه الخاصة وذلك على حساب إغراق المصالح الوطنية ، ولذلك يعمد إلى تسخير كل سلطات الدولة بجعلها أدوات في يده ويد حزبه، وغير مقيد بالخلق والصفات العربية التقليدية ، فهو إنسان سلبي ، يرفض التاريخ وتراثه وقيمه ويعمل على هدم كل شيء في هذه الحياة ؛ لأن الثورة « الغوغائية » غايته الأولى وطريقه في الحياة يدفعه الحقد والسخط والانتقام من المجتمعات ، فهو إنسان يهدم ولا يبني ومن طبيعة الحقد أن يكون معول هدم ، أما المحبة فهي القوة التي تستطيع البناء بناء الأخوة القائمة على الحق والعدل في المجتمع المتحضر . فالإنسان الوطني المخلص يقوم على الجوهر الأصيل يمتنع عن الفساد وروحه تتمرد على الشر ، يحافظ على نور الحياة حتى لا تنطفئ هذه الحياة .

لقد أساءت الإيديولوجية « الثورية » إلى لغتنا العربية الأصيلة فقتلت كل كلمة شريفة في معانيها ، وشوهت كلمات ، وأفرغت كلمات من معانيها ، وأرهقت بعض الكلمات بالاستعمال « الثوري » ، وأفسدت القاموس العربي السياسي الأصيل .

لقد حلت الإيديولوجية « الثورية » مكانَ القيم الروحية وقطعت الاشتراكية كل الروابط بين المجتمع الواحد وقامت دعوة الولاء للطبقة مقام الولاء للأمة ، ومزقت الأهواء والإرادات الشرائع والقوانين وسقط الفكر ورفع الشعار فارغاً من محتواه وسادت الثورة وألغي النظام .

فاذا استطاعت فئة غوغائية قاهرة آسرة أن تقود الجماهير بالحديد والنار وتسوقها إلى حتفها ، فهذا معناه أن قادة وزعماء ومربين ، وكتاباً ومفكرين قد تخلّوا عن رسالتهم ، سكتوا عن أفضل ما علموا ، أبوا أن يحملوا الأمانة ولاذوا بصمت القبور . اذا سكت عن الخطأ ولم ينه عن منكر سنة بعد سنة ، ومضى عقد بعد عقد من السنين ، ولم تعلن الحقيقة ، أفلا يضل العقل ضلالاً بعيداً ويفسد التفكير فساداً قد يستعصي على الإصلاح بمر الزمن الطويل ؟!

أي قلب لا ينفطر وهو يرى أجيالاً كاملة تضلل تضليلاً كاملاً ، وتتعرض عقولها ونفوسها لتخريب منظم مخيف ، ومع تخريب الأجيال الناشئة يخرب مستقبل الأمة قبل أن تولد . أمام هذا الخطر المتفاقم لا يستطيع المفكر المخلص الغيور على وطنه الغيور على أجيال

المستقبل أن يبتعد ويعتزل ويتوارى ، في قائمة عيوب الناس ، ونقائص البشر . وينضم إلى أولئك الذين يعتصمون بالاعتزال والحياد في ساعات أزمة اخلاقية كبرى .

وهنا يسأله ضميره النقي ... وهذا السؤال سيوجه يوماً ما إلى كل واحد من أهل هذا الزمان ، وهو سؤال رهيب : ماذا صنعت من أجل أمتك في ساعة محنتها ، وأين كنت عندما قهرت بلادك ، واضطهد شعبك ، وتعرض كل شيء غال للضياع : الوطن ، والتراث ، والإنسان ؟!

إن الحكم الوحيد اللائق بالانسان هو حكم الإسلام القائم على الشورى ... الشورى الإسلامية ... الشورى التي قال عنها الله تعالى في كتابه الكريم الذي أنزله على سيد المرسلين وخاتم النبيين (وأمرهم شورى بينهم). إن الحكومات المتخلفة حقيقة هي التي يحكمها « المستبدون إخوان الجهالة ».

لقد استغنت فئة الحكام من «البعثيين » عن إحياء أصول الحضارة الإسلامية بالإنتماء إلى مبادئ وعقائد علمانية مستوردة تغذيها الصهيونية العالمية والماسونية السرية ، وتسللت من خلالها إلى إفساد المجتمعات العربية التي تسللت إليها ، فمزقت وحدة الصف العربي، لقد أصبحت الوطنية في نظر تلك الفئة الظالمة التطرف واللامبالاة ، واضحت الخيانة صفة ملازمة للتعقل والصدق والإخلاص في نظر «الثوريين» ... إن «الاشتراكية » تنجح حين يكون التفكير المشوش والضعف في روح الإنسان ، والوهن في ارتباطه بالعقيدة الدينية ، فتطمس جوهر العقيدة الإسلامية حتى أصبحت غريبة في وطنها وأهلها ، إن فقدان الأمن في منطقتنا العربية إنما هو ناتج عن الأنظمة «الثورية» التي تقوم على التسلط وسفك الدماء العربية الزكية.

لقد نفذ نظام صدّام حسين التكريتي « البعثي » المبادئ ـ ذاتها ـ التي وضعها الكاتب الروسي « سيرجي نيكاييف» «للأنظمة العدمية » محاولاً تطبيقها في المجتمعات العربية والإسلامية ، وهي المبادئ التي نصّ عليها « الدستور الثوري للعدمية » الذي لم يطبق بحذق ومهارة كما يطبق اليوم في المجتمع العراقي ، وهذه المبادئ تقوم على ما يأتي :

١ - « يجب أن يؤمن الثوري بالفناء الكامل في الثورة ، ولا يستطيع ذلك إلا من استهتر بالمشاعر والعواطف والعلاقات البشرية » .

٢ - « يجب أن يؤمن الثوري في أعماقه ايماناً بأنه قد قطع كافة علاقاته بالمجتمع قولاً وعملاً ، وألغى ارتباطه بالحضارة الإنسانية وقوانينها وأخلاقياتها ، ووقف منها جميعاً

موقف العداء الحاسم ، وأن العلاقة الوحيدة التي تقوم بينه وبين المجتمع هي تدمير ذلك المجتمع ».

٣ – « الثوري يحتقر منجزات العلم لكنه ينهل منها ليستعملها في الهدم والتدمير ، وهو يكره كل شيء ، لكنه يدرس نفسية المجتمع ، وطبائع الناس » .

٤ – « الثوري يحتقر الرأي العام ، ويدوس المبادئ الأخلاقية » .

٥ – « الثوري لا يعرف الرحمة . بينه وبين المجتمع صراع دائم مستعر الأوار، خفي وظاهر » .

٦ – « الثوري يحتقر العواطف البشرية ، والمثل العليا كالشرف والحب والإخلاص ، ويستعيض عن ذلك بفكرة واحدة ثابتة هي توقه العظيم للتحطيم » .

٧ – «الثوري يحتقر أواصر القربى ووشائج الدم ، لا يعترف بأية عاطفة إلا نحو أولئك الذين أثبتوا أنهم مثله روّاد ثوريون ذوو أخلاق ثورية بهدف تقويض المجتمع من أساسه » .

٨ – « يجب أن يقوم تعاون مطلق بين الرفاق الثوريين ، ذلك هو ميثاق الثوري الأزلي ، وتنمو قوة الدفع التخريبي ، وتنفذ الأوامر بطاعة عمياء لتنفيذ النشاطات الثورية الهدامة » .

٩ – « عند انتساب الثوري للتنظيم ، يكرّس طاقاته كافة في التخريب الكلي ، ولا يكون ثورياً حقيقياً إذا آمن بأية قيمة في الحياة خلا قانون الثورة ، فلا يتردّد في تدمير كل مؤسسة واغتيال كل خلق ، وتحطيم كل فرد أو جماعة ، ولا يكون ثورياً صادقاً ، ما لم يضحٍّ بقرابته لوالديه وأهله ، ويتخلى عن مشاعر المودّة لأصدقائه وأحبابه وجيرانه » .

١٠ – « بما أن هدف الثوري الأول والأخير ، هو التدمير ، فيتوجب عليه أن يتسلل إلى الأجهزة والهيئات والمؤسسات الوطنية كافة ، حتى دور العبادة ويغزو مجتمعات الأرستقراطية ، وطبقات المثقفين والكتاب والفنيين ، كما يتوجب عليه ، إذا اقتضى الأمر الثوري ، الانتماء إلى « الطابور الخامس » والتجسس للعدو ، للوصول إلى اغراضه الثورية » !

١١ – « في هذا العالم المجنون ينبغي تقسيم الناس إلى طبقات وأصناف ، الصنف الأول : هم أولئك الذين تقضي مصلحة الثورة بالقضاء عليهم في الحال دون أي اعتبار لأهميتهم في المجتمع ، عندما تقرر الثورة قتل أي شخص ، تزيل عن ذهنها كل فكرة سابقة من كره ، وحقد ، ومحبة ، وتزن أهمية المحكوم عليه بقدر أهميته في اعتراض سيرة الثورة ، ومنفعة الثورة في زواله » !

١٢ – أما الصنف الثاني : « فهم الأشخاص الذين يسبب بقاؤهم تأريث نار الثورة ، ودفع المجتمع إلى أسباب النقمة والهياج ، بحيث يغدو وجودهم مَعيناً للثورة لا ينضب ، وتغدو الثورة بهم قدراً محتماً لا مفر منه » .

١٣ – أما الصنف الثالث : « فهم الجهلة الذين يحتلون المراكز العالية في المجتمع ، لا بفضل ذكائهم أو تفكيرهم أو مقدرتهم ، بل لأنهم يمتلكون الثروة ويحسنون تملق الرؤساء ، فعلينا أن نستغلّ هذا النوع الساقط إلى أقصى الحدود ، بتعريتهم وتسقُّط مخازيهم وكشف حقاراتهم ، بحيث يصبحون عبيداً لنا بكل ما يملكون من أسباب الجاه والغنى والنفوذ » .

١٤ – القسم الرابع : « هم الانتهازيون الوصوليون من ذوي الطموح في خدمة الدولة ، الذين يتظاهرون باعتناق بعض الآراء والشعارات التحررية المترهلة الغامضة » .

١٥ – القسم الخامس : « هم حثالة المتآمرين من مدّعي الثورة المتحذلقين الذين يملأون المجالس صخباً وضجيجاً ، ويملأون أعمدة الصحف دعوى مزخرفة لا يؤمنون بها » .

١٦ – القسم السادس : « هم صنف بالغ الأهمية والتأثير ، ويتألف من النسوة اللواتي ينقسمن إلى ثلاث فئات ، الأولى هن النسوة الساقطات ، والثانية هن النسوة المخلصات للثورة ، والثالثة هن النسوة اللواتي اثبتن ولاءهن وايمانهن بمبادئ الثورة وأهدافها وأصبحن بذلك جزءاً من التنظيم ، وهذه الفئة هي الذخيرة الأولى ، وبدونهن لا تستطيع الثورة القيام بأي عمل هام » .

١٧ – « ان هدف التنظيم الثوري هو تحرير الشعب ، ونعني بالشعب طبقة العمال ، ولن تتم حركة التحرير إلا بتدمير قيم المجتمع ومثله العليا ومفاهيمه السامية ، ولبلوغ أهدافنا يجب أن نعمل بدأب لا يكلّ على تكثيف الشرّ والبؤس والتعاسة ، حتى يتململ المجتمع، ويفرغ صبره ، ولا يجد متنفساً إلا في الثورة الجَماعية . تحت ستار الحكومات الثورية ، هي الثورة التي تمحو من القمة إلى الحضيض كل فكرة سابقة ، وكل مفهوم سابق ، وكل قيمة سابقة، وتهدم كل تقليد ونظام ، وكل ترتيب طبقي سابق ... إن مهمتنا هي هدم وتحطيم كامل لكل حضارة قائمة ! وهذا ما يزيدنا تلاحماً مع القطاعات الحاقدة الناقمة الموتورة على كل مفهوم خلقي، فتقف معنا بعناد وشراسة في وجه النبلاء والبيروقراطيين ، ورجال الدين ، مجسّدة في المغامرين والمجرمين ، واللصوص والسفاحين الذين يمثلون في الحقيقة طبقة الثوريين الحقيقيين .

هذه هي حقيقة الثورة .« الاشتراكية الدموية » في العالم العربي التي نفذها صدّام حسين التكريتي عندما اجتاح الكويت وخطّط لها الفيلسوف الأول ميشيل عفلق وهي مستمدة من مؤسس الفلسفة العدمية « سيرجي بيكاييف » ؛ والتي تقوم على بروتوكولات حكماء صهيون بالاشتراك مع الماسونية العالمية وهي المبادئ العلمانية الإلحادية التي تحدثنا عنها في مستهل هذا الكتاب .

وهكذا يبدو بوضوح كيف تستشري المؤامرة الهدامة ، وتتفكك عرى المجتمع بأفراده وأنظمته ، فلا مكان لمودة وتراحم ، وسهل من ثَم الانقضاض على الفريسة ، لا تجد من يحميها من المحن ويدفع عنها غائلة البلاء.

إن نظام صدّام مجتمع عفن مهتوك قد امتطى غارب الأحداث ، فيه السفهاء والجهلة ، وغثاث المعرفة والسلوك ... يلوكون شعارات مجلوبة ... ويجترّون عقائد منخوبة ... يتراشقون تهماً ... ويتقاذفون شتائم ... والحق غريب في وطنه ... والقضية المقدسة في أيد نجسة في زمن قذر ... أين حضارتنا من عمالات مأجورة ... وصراخات مبهورة ... وأبواق مسعورة ... وأين تراثنا من صراعات يخبو معها كل ضياء ... وشعارات يضيع معها كل رجاء ... إنها ثورة ضد الإنسان وضد التاريخ الأصيل .

لقد تربع صدّام حسين التكريتي على قمة نظام تتحكم فيه نزعة الشر وجنون العظمة ، يذبح خصومه في نشوة مخيفة ، لقد دمّر العراق وأضاعه بسبب هوسه وافتتانه بالسلطة فاصبحت عنده أغلى من الوطن والشعب ، فهو لا يستقر على حال لأنه يحمل شخصية معقدة مزدوجة لها القدرة على أكثر ردود الفعل شذوذاً ، فأمسى سجيناً ، لكذبه على العالم ، وهذا الانطباع يعكس واقع تربيته في أزقة تكريت مع السوقة فنشأ نشأة ضلال وكراهية وحقد دفين، ولديه الكثير من العلل النفسية إنه « بلطجي » و « رجل المسدس » كما قال عنه أهالي « تكريت » وفي اجتماع حزبي كبير قال صدّام حسين بأعلى صوته : « ***إن من يأتي بعدي سوف لن يجد في العراق إلاّ أرضاً بدون شعب*** » .

* * *

مبادىء الإعلام «الثوري» العراقي!!

أوْلى صدام حسين التكريتي اهتماماً خاصاً للفكر الإعلامي الثوري وخصوصيته المكانية والزمانية وفي اعداد الإعلام في داخل العراق وخارجه ، وهو يتولى شخصياً مهمة الموجه الأول للسياسة الإعلامية لحزب البعث العراقي بهدف « تطوير » مفهوم الإعلام في

مراحل النضال السرّي كما يرغب هو شخصياً . حيث يرى من حركة الإعلام ومرمياته كونها تدرس الظروف التي نشأت فيها وقيمة التفاعل من أجل تكييفها وفق متطلبات الحاجة وللتأثير على الجماهير في العالم العربي ٠

ومنذ بدء عقد الثمانينيات بذل حاكم العراق كل جهد للسيطرة على الإعلام في خارج العراق ولا سيما الإعلام العربي المهاجر في أوروبا من مجلات أسبوعية وصحف يومية ، كما ساهم إلى حد بعيد في تمويل بعض الإذاعات التي تتحدث باللغة العربية ، وعلى بعض الأجهزة التلفزيونية الغربية لتتحدث هذه الأجهزة عن قدرات النظام العراقي ولتعميق وتطوير الأساليب التعبوية في نشر مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي وفكر صدّام حسين شخصياً ، ولا شك أنه كان لهذه الأجهزة دور مهم في إظهار العراق البعثي والتمجيد بقوته والدور الذي يمكن ان يلعبه في المنطقة العربية . لذلك كان صدّام التكريتي قائد المعركة النفسية والإعلامية والعسكرية في الداخل والخارج.

وفي لقاء لصدّام حسين مع أعضاء مجلس وزراء الإعلام العرب الذي عقد في بغداد خلال شهر أيلول« سبتمبر »١٩٨٨م قال : «***إن العربي لا يستخدم سلاحه ضد العربي ... يا أخي إذا أردت أن تجرب سلاحك فأعداء الأمة كثيرون ... وضد من تستعمل السلاح ... هل ضد العربي ... فدع العربي يحسّ بأن سلاح أخيه أينما كان هو سلاح له معلق في المشجب ، أما أن يستخدمه أخوه عندما يكون في ضائقة أو هو يستخدم السلاح عندما يكون في ضائقة ، لا أن يقوم كل واحد منا يحسب دبابات الآخر وكم طائرة وكم دبابة وكم مدفعاً ... وكم يجب أن يكون عدد طائراتنا ودباباتنا ومدافعنا حتى نكون في حالة المنازلة في وضع القادر*** » ٠وأضاف : « ***كلنا نحن العرب أنظمة شتى وألوان شتى ولكن المطلوب منا كلنا أن لا نبحث عن إلغاء أبنية قائمة ، وأن لا نفتت نسيجاً قائماً وإنما نبحث عن خيمة كبيرة مشتركة تغطي كل الخيم الأخرى فتصبح فوقها بدون أن تنتقص من أية خيمة من خيمنا الوطنية سواء في العراق أو في الكويت أو في قطر أو في دولة الامارات أو في أكبر دولة فينا وأصغر دولة فينا ، بينما التجربة الحقيقية والرؤية الواقعية والمبدئية أيضاً تقتضي أن نفتش نحن عن خيمة مزركشة جميلة تكون سياجاً آخر فوق خيمنا دون أن تؤثر على خصوصياتها فتقي خيمنا كعامل إضافي من كل الأنواء الجوية .***

والتناقض في أقوال صدّام التكريتي ظاهر ويعبر عن الخبث وما يضمره للعالم العربي ... فقوله بالعلن شيء وفي الاجتماعات السرية شيء آخر وفي حديث له في اجتماع مشترك

للقيادتين القومية والقطرية عقد بتاريخ ٢٦ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٧٧م شرح مواقف الحزب ومواقف الدولة فقال : « ***عندما تقودنا بعض الظروف والحسابات التي نجريها ، لإعتبارات ما ، إلى نوع من الصيغ التكتيكية التي تحتم مرحلياً ، عدم مهاجمة نظام رجعي معين ، بواسطة اجهزتنا الإعلامية الرسمية ، فان ذلك لا يعني في حساباتنا المبدئية ، الكفّ عن النضال والتصدي لهذا النظام المناوئ بصيغ أخرى ، عندما تكون سياستنا الإعلامية الرسمية للدولة لا تهاجمه ... إن للإذاعة العراقية دوراً ، ولمنظماتنا الحزبية دوراً مختلفاً ، وكلا الدورين ينطلق من الأرضية المبدئية لحزب البعث العربي الاشتراكي ويخدم ذات الأهداف الاستراتيجية*** » .

وهنا لا بد للمحلل لأفكار صدّام حسين من أن يتوقف عند الكثير من العبارات التي أشار إليها في كلمته باعتبارها تناقض البعد الأخلاقي العربي الذي أشار إليه . فمن الذي استخدم السلاح العربي ضد أخيه العربي عندما اعتدى الجيش العراقي على حرمة وسيادة دولة الكويت ؟ وما هي الخيمة المزركشة الجميلة التي اقترحها حاكم العراق لتكون سياجاً آخر فوق الخيم العربية لتغطيها دون أن تنتقص من أية خيمة من خيمنا الوطنية ؟ لا شك انه يشير بذلك إلى أن تكون هذه الخيمة المزركشة خيمة « العراق » التي تقوم على مبادئ حزب البعث « الثوري العلماني » .

لقد أبدى صدّام حسين استياءه لما حققته المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي من قدرات دفاعية متطورة ومشاريع صناعية عملاقة ، ومن مشاريع زراعية ضخمة ، ومشاريع اقتصادية تنموية ، على أراضيها وحاول أن يغمز من قنوات المملكة ويسيء إليها بشكل مبطن فقد قال في اجتماعه مع وزراء الإعلام العرب : « ***من المؤكّد بما في ذلك المتكلم وهو مواطن عربي أيضاً أن لديه ما يؤمله ولديه ما يتمنّاه بتصوراتها حالة أفضل من خطوة هذا أو ذاك من العرب ، ولكن المطلوب أن نبحث عن حالة تجعلنا كلنا بصيغة أفضل فلا يكفي إخواني أن تكون السعودية أفضل من عدد من الأقطار العربية بقياسات المستوى العلمي أو بالقياسات الأخرى لأن هذا إن حصل فسيركز التآمر على السعودية وستصبح السعودية غير قادرة على تحمل التآمر لأنه بقياسات أعداء الأمة ، أيُّ عملية نهوض وإشعاع واقتدار ينمو في أي قطر لا بد أن ينعكس إيجابياً على الأقطار الأخرى ... فالثروة في السعودية تستثير أطماع كثيرين ، وجيش قوي في العراق يستثير مخاوف كثيرين*** » .

ولعل خير ردّ على حاكم العراق في هذا الموضوع بالذات أن قيادة المملكة العربية السعودية واعية لظروف المستقبل وهي شديدة الحرص على أن تحقق لشعبها الأصيل كل وسائل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية ضمن أحدث ما أنتجه العلم من وسائل تقنية « = تكنولوجية » متقدمة . وهذا التطور بكل تأكيد يعود بالفائدة المتوخاة على جميع الشعوب العربية لأنها منهج إشعاع لا منهج تسلط ومنهج تفاعل وتكامل لا منهج عدوان. والمملكة العربية السعودية عندما تنفذ هذه الطموحات التنموية إنما تضع نصب عينيها مبادئ الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً ، وهي تحمل في طياتها أسس ومبادئ العدالة الاجتماعية للشعب وتحقيق مبدأ الحرية الاقتصادية التي تخول الفرد في المجتمعات الإسلامية أن يبذل كل نشاط من شأنه أن يرفع مستواه المعاشي ويحقق الانتقال إلى حياة أفضل ، وهذا الفضل يعود إلى طبيعة الأمن والاستقرار الذي تعيشه المملكة وإلى حرصها على تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء .

إن المملكة الغربية السعودية لم يسبق لها أن أشارت حتى مجرد إشارة إلى ما هو موجود عند الدول العربية الشقيقة من مشاريع نفطية وزراعية أو ما هو موجود في العراق قبل تسلط « حزب البعث » على قيادة الحكم العراقي في هذا البلد الشقيق لأن هذا من وجهة نظرها ومن أسس سياستها الثابتة إنما هو تدخل ممقوت في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، وهذه السياسة الثابتة التي وضعها ورسخها مؤسس المملكة الملك عبد العزيز رحمة الله عليه وقد أصبحت ضمن منهج السياسة السعودية منذ كان شعب المملكة يعيش تحت الخيام قبل ظهور النفط في الأراضي السعودية بينما كانت الدول العربية الأخرى يعيش شعبها في المباني الحديثة كما أقيم في هذه الدول الكثير من المشاريع الزراعية والصناعية وكل ما يعبر عن أشكال التقدم ومظاهر الغنى والعيش الرغيد ، إذا ما قورنت مع المملكة في الماضي القريب ... ولكن هذه الثروات النفطية والزراعية في معظم تلك الدول « الثورية » قد أهدرت إما بشكل كلي أو جزئي لسبب أساسي يعرفه كل « الثوريين » وتعرفه كل الشعوب التي ابتليت بحمى الانقلابيين بالاستيلاء على السلطة عن طريق القهر وبدون أن يكون المتسلطون أهلاً للسيادة والقيادة ، فنتيجة للفراغ الروحي الذي يعيشونه يعمدون إلى استيراد المبادئ التي تمكنهم من الهيمنة ، ومن لهم غير الاشتراكية والشيوعية الملحدة العلمانية التي تفتح الباب واسعاً للاستيلاء على كل الثروات لتكون وقفاً على الجماعة المتنفذة يتقاسمونها فيما بينهم ويحال جزء منها إلى «الأزلام» والأنصار الموالين بينما تحرم الشعوب من هذه

الخيرات حتى أضحت هذه الدول تحتاج للعون من الآخرين وتمدّ يدها للدول الغنية عربية كانت أو أجنبية لتحصل منها على مساعدات مالية وكانت الدول الخليجية تدفع مساعداتها دون منة للعراق وعن حسن نية بينما كان العراق يشتري بهذه المساعدات الأسلحة المتطورة التي وجهها فيما بعد ضد إخوانه بدلاً من أن يوجهها إلى الأعداء الحقيقيين.

ومن المؤسف أن صدّام حسين قد كرر أمام أعضاء مجلس وزراء الإعلام العرب ما يطمئن القيادات العربية في موضوع قوة العراق عسكرياً بينما كان يخفي تآمره على حكومات المنطقة إذ يقول : « ***إن التدخل في الشؤون الداخلية في هذه الحالة يجب أن تسقط من علاقات العربي ويظل السلاح الموجود في ليبيا أو في العراق أو في السعودية أو في سورية هو سلاح للعرب ككل وليس سلاحاً ضد العرب بأية صورة من الصور وإن العراق ليس حالة خارج الحالة العربية وإنما هو جزء منها والعراق يتضامن مع العرب عندما يتضامن مع نفسه*** » .

واعترف حاكم العراق بأهمية المساعدات العربية التي كان يتلقاها من الأشقاء العرب فقال : « ***بهذه الروح والتضامن طبعاً استطاع قسم من الأشقاء بوقت مبكر أن يرى الأمور كما هي وقسم من الأشقاء رآها بعد حين ، وبعض أشقائنا العرب كان يرسل لنا مساعدات مالية قبل أن نطلبها أو بدون أن نطلبها ، ويأتي اليوم الذي نذكر فيه هؤلاء الأشقاء إذا لم يعترضوا وبعضهم يعمل في السياسة وكأنه في بغداد وهو الذي يقود في بغداد بنفس الروحية ليعاون لأنه يحس بأن القضية قضيته*** » .

وأمام هذا الاعتراف العلني لحاكم العراق أمام مجلس وزراء الإعلام العرب وقد نشرته صحيفة « قادسية صدّام » يوم السابع من أيلول «سبتمبر» ١٩٨٨م ، نجد عكسه ذلك أنه في يوم ١٤ يناير « كانون الثاني » ١٩٩١م وفي رسالة ما أسماها مفتوحة وجهها عبر اذاعة بغداد إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أنكر صدّام أن تكون المملكة العربية السعودية قدمت للعراق خلال حربه مع إيران مساعدات مالية كبيرة ، وقال : إن ما قدمته المملكة يساوي مبلغ أحد عشر مليون وخمسمائة وثلاثين ألف دينار إسهاماً في تعمير البصرة ، ولم تقدم سوى بعض المعدّات التي لا تزيد قيمتها على مليون دينار لتعمير الفاو .

وفي اليوم التالي لرسالة صدّام المفتوحة رد الملك فهد بن عبد العزيز على رسالة صدّام حسين برسالة جوابية استهلها بقول الله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة

الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام . وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد» سورة البقرة ، الآيتان : (٢٠٤ و ٢٠٥)٠ وحدد العاهل السعودي بالأرقام مجموع المساعدات التي قدمتها المملكة للعراق خلال حربه مع إيران فبلغ مجموعها حوالي ٢٦ بليون دولار أمريكي ٠ولكشف الحقيقة أمام القارئ الكريم بخاصة وأمام الرأي العام بعامة لا بد من القول دون أدنى ريب إن نظام صدّام حسين التكريتي «الثوري » قد استعمل مساعدات الدول العربية الخليجية النفطية في الطرق الملتوية ليضمن لنظامه الصمود في وجه الشعب العراقي وإزاحة كل قوى المعارضة التي تشكل الأكثرية والتي تطالب بالتحرر من الاستبداد والديكتاتورية الفردية ... وهكذا في غياب الأخلاق وفي غياب الرقابة المالية على أوجه الإنفاق ذهبت مجمل المساعدات إلى أجهزة المخابرات والمباحث للقضاء على كل مطالبة بالحرية إلى جانب انفاقها على شراء الأسلحة المتطورة التي وجهت لدولة الكويت ٠

ولكن شاء الله تعالى أن يستمر صدّام التكريتي في غيه وفي تنفيذ مخططه إلى أن وقع في شر عمله بفضل من الله ثم بفضل القيادة الواعية لخادم الحرمين الشريفين الذي كشف أبعاد المؤامرة الخطرة لحاكم العراق وكل أطماعه التوسعية فكان للموقف السعودي الشجاع الأثر الكبير في دحر القوات العراقية وتحرير دولة الكويت المظلومة وعودة حكومتها الشرعية الأصيلة وعودة شعبها العربي المسلم إلى تراب وطنه مسترداً حقوقه الوطنية المشروعة وحماية المنطقة الخليجية٠ وهذا هو الفرق بين زعماء يبنون من أجل مجتمعاتهم وزعماء طغاة يهدمون مجتمعاتهم من أجل حصر الثراء في أنفسهم.

وهكذا يعمد الاعلام العراقي إلى تضليل الرأي العام بعبارات خادعة ويلعب دورين في ساحة السلم وفي ساحة الحرب .وقد وضعت الكلمة منذ أقدم العصور على مستوى السيف .والذين يشغلون الوسط الإعلامي هم دون شك أكثر العاملين في المجتمع إدراكاً لأهمية الكلمة كسلاح في المعركة القومية ، فمن المعلوم أن سلاح الإعلام هو أخطر الأسلحة التي تواجهنا ، وبالمقابل يلعب الإعلام الثوري دوراً بارزاً في كشف الحقيقة للجماهير ونضالها « الثوري » لذلك حرص حزب البعث منذ نشأته في العراق في أواخر عام ١٩٤٩م على ان يكون اعلامه معبراً عن مبادئه ومواقفه تجاه قضايا الشعب وليجسد سياسته على كافة الأصعدة القطرية والقومية والدولية .وهكذا أخذ المكتب الثقافي للحزب الذي تشكل عام ١٩٥١م

على عاتقه الإشراف وتوجيه نشاطات الحزب الثقافية والإعلامية » .

ويقول صدّام حسين التكريتي : « ***المطلوب من رجل الإعلام أن يكون ملمّاً بأساليب الدعاية المضادة والتي تنطلق من الخصم وإن نجاحه يتم أيضا عن طريق التعمق في دراسة علم النفس وعلم الاجتماع .***

إن مهمة الإعلام العراقي البعثي – كما حددها صدّام التكريتي في المرحلة الجديدة – تنحصر في تعميق وترسيخ الإيمان المطلق بمسيرة ثورة البعث ومستقبلها وارتباط مستقبل العراقيين فيها في حركة دائمة ، ومحاربة كل الأفكار الدينية والدعوات المغرية والإشاعات الموجهة ضد الثورة والحزب وبأساليب مباشرة وغير مباشرة ، وغلق المنافذ أمام أية حالة من حالات التشويه الثقافي والإعلامي ومهما كانت مصادرها واتجاهاتها ، والعمل على تفجر إبداعي في شتى مجالات الفن ، ***فبين الفن والثورة – كما يقول حاكم العراق – علاقة قربى ووحدة منبع .***

وهذا المنهج الإعلامي ، الثوري الجديد كما يفهمه الديكتاتور صدّام حسين التكريتي يتطلب من المراقب والمحلل الإعلامي المحايد الوقوف عند هذه العبارات المطاطية الجوفاء التي حددها حزب البعث العراقي لتكون هدفاً استراتيجياً للدعاية الناجحة !! وبعد دراسة هذه الأفكار الخيالية يتكشف لكل محلل لماذا كل حملات الكذب والافتراءات التي كان يطلقها حاكم العراق وزمرته الضالة ، وأيضاً الدجل الإعلامي والاتهامات الباطلة التي كان يوجهها ويروّجها الإعلام العراقي خلال أزمة منطقة الخليج واحتلال دولة الكويت بهدف تحريض العالم الإسلامي ضد وجود القوات العربية والإسلامية والصديقة في مناطق الحدود المتاخمة مع العراق ، وما ردّده الإعلام العراقي من ترهات مؤداها أن القوات الغربية قد احتلت مكة المكرمة والمدينة المنورة،وبيت الله الحرام ومسجد نبيّه ، وأن البنات الغربيات في هذه القوات هن اللائي يشرفن على تنظيم السعي والطواف أو زيارة المسجد النبوي والمدينة المنورة بعد أن استلمت القوات الغربية إدارة واشراف المدينتين المقدستين . إن ذلك الكلام السخيف لم يصدّقه أحد باستثناء قلة من البسطاء والمنتفعين والغوغائيين الذين يسيطر عليهم الملحدون من أتباع صدّام حسين . أما الطواف والسعي في الكعبة والمسجد الحرام وأيضاً زيارة المدينة المنورة ومسجد الرسول الكريم كل ذلك لم ينقطع ولم يتوقف منذ ظهور الإسلام وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك كانت أفواج المسلمين في المنطقتين المقدستين تعج في الحرمين الشريفين وتمارس العبادة والصلاة ، بكل أمان وراحة ولم يشاهد أي منهم جندياً

غريباً يصل إليهما ، باعتبارهما من المناطق الآمنة تحميها أولاً إرادة الله تعالى ثم رعاية القيادة السعودية لها لأنها هي المسؤولة وحدها عن تأمين الراحة والأمان لجميع المسلمين والوافدين ليؤدوا مناسكهم بكل يسر وسهولة .

وفي هذا الخصوص أصدرت رابطة العالم الإسلامي بياناً أشارت فيه إلى أكاذيب حاكم العراق حول هذا الموضوع الخطير قالت فيه :

« لقد استمعنا ، كما استمع غيرنا ، إلى البيان الذي أصدره الرئيس العراقي صدّام حسين بعنوان – نداء إلى العرب والمسلمين – والذي تضمن أشياء رأت رابطة العالم الإسلامي إيضاحها للإخوة المسلمين ، أعضاء الجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي نتعاون معها ، وإلى المسلمين في جميع أنحاء العالم ، حتى لا يلتبس الباطل بالحق ، وتشوّه حقائق الأمور . لذا ، فان رابطة العالم الإسلامي ، من جوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، مهوى قلوب المسلمين ، وقبلتهم في عباداتهم ، ومن واقع مسؤولياتها أمام الله تعالى وأمام المسلمين ، تعلن أن الحرمين الشريفين الطاهرين ، وكل مدن المملكة العربية السعودية ، ليست تحت الاحتلال الأمريكي ولا غيره ، وأن الحرمين الشريفين مطهران من ذلك ، ولم تمسّهما إلاَّ جباه المصلين الركّع السجود . كما تؤكد الرابطة ، أن الحرمين الشريفين ، تشرف عليهما الأيدي الأمينة ، الحريصة على دينها ، وقبلتها ومقدساتها – مقدسات المسلمين جميعاً – كما كانت تشرف عليهما وتخدمهما منذ عشرات السنين » .

ولم يكتف الإعلام البعثي العراقي بترويج أكاذيبه بل عمد إلى تزييف الحقائق بكل تباه وغطرسة ؛ فقد ركز صدّام التكريتي جهوده باطلاق حرب شائعات في العالم حين زعم أن قوته العسكرية تفوق دول المنطقة وأن ترتيب العراق هو الرابع عالمياً وحاول أن يصور نفسه من خلال الحرب النفسية والدعائية على أنه بطل أسطوري وفارس المنطقة العربية في هذا العصر ، ولم تكن هذه الحرب النفسية إرهاباً لإسرائيل أو للدول العظمى ولكن هدفها الأساسي إرهاب الدول العربية وإضعافها نفسياً في محاولة يائسة للاستعداد لخوض حرب مدمرة ضد العالم العربي وتهيئة المناخ الإعلامي وتعبئة الجماهير العربية لاحتلال العالم العربي وفرض سيطرته على دول المنطقة .

ومن كذب وتضليل الإعلام العراقي يتبين ما روّجته أجهزة الإعلام العراقية ـ بعد سنة ونيف من توقف الحرب العراقية / الإيرانية وقبل أشهر قليلة سبقت احتلال العراق لدولة الكويت ـ عن الإنجازات والاختراعات العسكرية العراقية ، وكانت صيغة المبالغة والتهويل

واضحة في تلك الأخبار ، ثم بدأ صدّام حسين نفسه يعلن تصريحات هدفها إضفاء هالة من القوة العسكرية غير العادية ، كتصريحه بأنه سيحرق نصف اسرائيل بسلاحه المسمى « الكيماوي المزدوج » وتهديده باستخدام الأسلحة الكيماوية التي تغنيه - كما قال - عن امتلاك القنبلة الذرية ، في الوقت الذي يعرف الجميع أن الجيش العراقي وبخاصة إبان العهد « البعثي » لم يكن على الإطلاق في يوم من الأيام مصدر خطر على أمن إسرائيل وذلك منذ حرب ١٩٤٨م ، إذ أن الجيش العراقي وفق سياسات حكومته لم يشتبك مع إسرائيل خلال ما يزيد على نصف قرن ، وأعتقد أن الكل يذكر المأساة التي تحمّلها الجيش العراقي عام ١٩٤٨م بسبب ما قيل « ماكو أوامر » خلال وجود قواته في الحرب إلى جانب الدول العربية ... يضاف إلى ذلك أن تلك الحملات الإعلامية المضلّلة للإعلام العراقي وما رافقها من تهويلات قد أدت بالنتيجة إلى الإضرار بالدول العربية والإسلامية في الوقت الذي استفادت فيه إسرائيل فائدة كبرى بحصولها على المزيد من العطف العالمي فتحقق للعدو الإسرائيلي المغتصب لأراضي فلسطين والمحتل لأجزاء كبيرة من الأراضي العربية امتلاك أنواع من الأسلحة الحديثة المتطورة كصواريخ الباتريوت ، ومساعدات مالية غربية ضخمة .

ونسأل صدّام حسين : من الذي منعك من شنّ هجوم مباغت على إسرائيل بدلاً من احتلال الكويت طالما أن هدفك الأول تحرير فلسطين وإعادتها إلى شعبها - كما تدعي - لكونك تمتلك مخزوناً كبيراً من السلاح الهائل ؟ أليس ادعاؤك في هذا المجال لا يعدو أن يكون مسرحية درامية قصد بها إلهاء الناس من الغوغاء ... إن المتتبع لأزمة الخليج العربي بسبب احتلال الكويت يدرك تماماً أن صدّام التكريتي لم يأت على ذكر الفلسطينيين إلا بعد عشرة أيام من احتلال الكويت عندما وجد أن جميع دول العالم قد تحالفت ضده وقد سخر كل عقلاء العالم من المسوغات التافهة لاحتلال الكويت .

إن الزعامة الديكتاتورية هي الآفة التي نخرت عظام الأمة ، ودفعت رجال السياسة إلى التناحر والاختلاف والجور والظلم والاستبداد لقد استطاعت هذه الزعامات المزيفة أن تنجح في خداع الجماهير واخرجتها إلى الشوارع ترفع صورها وتهتف لها بالولاء والفداء بالروح والدماء .

* * *

صدّام ...والعقيدة العسكرية!!

منذ أن سيطر صدام حسين على قيادة النظام البعثي العراقي أخذ يضع أسساً خاصة لمفهوم العقيدة العسكرية العراقية وفق منطلقات مبادئ «الثورة الدموية» وهي المبادئ التي لم تكن من قبل معروفة لدى القيادات العراقية العسكرية فتناولت العقيدة العسكرية شؤون القوات المسلحة وتطور نشاط حركة البعث من خلال المرحلة التي تلت الانقلاب البعثي في ٨ شباط ١٩٦٣م الذي أوصل البعث لقيادة الحكم . وقد حدد المؤتمر القطري الثاني للبعث العراقي العقيدة العسكرية للمرحلة الجديدة على أساس تعزيز قيادة الحزب للجيش ، ونشر مبادئ الحزب والثقافة القومية الاشتراكية العامة بين منتسبيه ، وضمان التحامه مع «كوادر» الشعب الموالية التي يقودها الحزب ، وإسهامه الفعال في البناء « الثوري »٠.

ولكن بسبب التقلبات السياسية التي شهدها العراق والانقلابات العسكرية التي تناولها حكم الرئيس عبد السلام عارف الجناح الناصري ومن ثم التي قام بها حزب البعث في نهاية عام ١٩٧٧م وفرض إرادته على الحكم بصورة مطلقة بعد قتل(= تصفية) الكثير من العناصر القيادية العسكرية والفئات المدنية المناوئة للبعث فعندها أتيح للقيادة البعثية ظروف ملائمة لبناء الجيش وفق الأسس العقائدية وإعادة ترتيب أوضاع القيادات في القوات المسلحة وأعطيت الفرص الواسعة للقيادات التي تأكد إخلاصها للحزب وللمبادئ الاشتراكية ، كما أعطيت الفرص للعديد من الشباب الذين تربوا في أحضان الحزب وثورته ، واصبح بما لا يدع مجالاً للشك جيش « البعث » وجيش « الثورة » ، وجيش الشعب ! وجيش صدّام حسين .

ولا ريب بعد مراجعة الكثير من الكتب والمطبوعات التي صدرت عن دور النشر البعثية الحاكمة في العراق والتي تتحدث عن مجمل خطط سياسة الحكم في الداخل والخارج يمكن أن يستشف من جميع هذه الكتب أن صدّام حسين وقيادته كانوا يعدّون العدة للعملية العسكرية المباغتة التي وقعت على دولة الكويت وذلك منذ سنوات الحرب العراقية الإيرانية ... وفي يوم ٣٠ حزيران « يونيو » ١٩٨٥م عقد صدّام حسين ندوة عسكرية تعتبر الأولى في حياة الجيش « البعثي » العراقي تحدث فيها عن العقيدة العسكرية فقال : « ***إن العقيدة العسكرية لا تقيدها قواعد ثابتة في الاستيعاب ، وهي تستوعب بحكم الضرورة كل تغيير ، وتكون كل خطوة محسوبة بدقة وبضوء منهج ثوري ذا علاقة بالسياسة ... وفي نظر « البعث » ان السياسة هي الرأس للعقيدة العسكرية ، وتكون في خدمة سياسة الدولة ، وأن الأمة العربية لا يمكن أن تجد عقيدتها فجأة وتطبقها فجأة ، وإنما يجب أن تستند إلى الحقائق الموضوعية التي تنبع من***

العقيدة السياسية » . ويعني ذلك في فكر القائد صدّام حسين« إعداد الشعب عسكرياً » وحاجات الشعب العربي بشكل عام والعراقي بشكل خاص لأن الحدود المصرح له حمايتها يتجاوز الحدود العراقية وتشمل الأمة العربية . لأن العقيدة العسكرية العراقية تضع الأمن القومي العربي في المقام الأول في سلم الضمانات المسؤولة عن حمايتها ... إن هذه العقيدة ملتصقة بفكر حزب البعث العربي الاشتراكي » .

وقال مخاطباً القيادات في الندوة : « *نحن لا نريد قوتكم تنمو لكي تحافظوا على ثورتكم ضمن حدود العراق فحسب نريد قوتكم تنمو لكي تقاتلوا دفاعاً عن شرف الأمة العربية ومبادئها في كل مكان في الأراضي العربية ... إذا صار عدوان على الكويت سيجدون الجيش العراقي يقاتل دفاعاً عن الكويت بحماس لا يقل عن الكويتي وكذلك دولة الإمارات بل دولة الإمارات نحن نقاتل عنها* .. وقال : « *إن جيشنا هو جيش الأمة العربية بأجمعه . إننا لا نريد للجيش العراقي فقط للدفاع عن حدود العراق وإنما نريد أن يكون درع الأمة العربية وسيفها المشهور ضد الأعداء*

وتابع يقول : « *عندما تبدأ الحرب من الحكمة أن تدور رحاها على أرضهم وليس على أرضنا ... وفي هذا أساس واضح لعقيدة عسكرية واضحة تقتضي بنقل المعركة إلى أرض العدو ... وأن نجعل العدو يتفاجأ بما هو جديد مما لا تستطيع أساليب الاستخبارات أن تكتشفه* ..

وبعد تحليل فلسفة العقيدة العسكرية العراقية في مفهوم صدّام حسين التكريتي أعتقد بأن القارئ الكريم يشاطرني الرأى في أن حاكم العراق قد أخفق إخفاقاً ذريعاً في مفهومه لأنه مفهوم خاطئ لا يعتمد على أسس ثابتة ولا على إيمان بالعقيدة الدينية ، والجميع يعرف أن صدّام حسين لم يدرس دراسة عسكرية ولا تخرج من كلية عسكرية ما سواء في العراق أو في أي بلد من البلدان العربية أو العالمية ، وكل ما هناك أنه يدعي أنه قد تخرج من كلية الحقوق ليس إلاّ ، ولكنه لم يكمل لأنه أخفق أيضاً في علومه القانونية .

إن مفهوم صدّام حسين للعقيدة العسكرية قد كشفه العالم العربي والعالم أجمع ومن قبل كشفه الشعب العراقي المغلوب على أمره الذي يحكمه صدّام حسين وقيادته « البعثية » العلمانية بالحديد والنار وقد شاهد العالم بكل فئاته وحتى من المؤيدين لحاكم العراق كيف أن الجنود العراقيين الذين اشتركوا في « أم المعارك » ليحافظوا على بقاء الكويت باعتبارها المحافظة التاسعة عشرة في العراق كما يريدها صدّام حسين ، كيف ان آلافاً مؤلفة من

هؤلاء الجنود قد استسلموا خلال « عاصفة الصحراء » التي حرّرت الكويت من طغيان حاكم العراق وكان استسلامهم للجيوش العربية والإسلامية ولجيوش الحلفاء وحتى كان الاستسلام للمصورين الأجانب الذين كانوا في مهمة تناول حرب «عاصفة الصحراء » وكانت الروايات كثيرة ومخزية للجيش العراقي ولقيادته «البعثية » التكريتية وقد أعلن هؤلاء الجنود بأن المعركة قد فرضت عليهم كما فرضت على قطعات الجيش العراقي وعلى الشعب العراقي العربي فرضاً قاسياً من طاغية ديكتاتور ملحد علماني لا يؤمن بعقيدة الإسلام ، وأكد الجنود العراقيون انهم حرموا خلال وجودهم في المعركة من الطعام والشراب أياماً عديدة كما حرموا من الماء للإغتسال وتبديل الثياب ... الخ .

لذلك كانت هزيمة العراق سواء في حربه مع إيران أو في عاصفة الصحراء هزيمة يتحمل وزرها صدّام حسين وحدَه لأنه يفرض رأيه على كل كبيرة وصغيرة في الوقت الذي يفتقر فيه إلى أدنى درجات التخصص فكل محصلته « فلسفة » جوفاء في شؤون العقيدة العسكرية التي وضعها للجيش العراقي والتي تقوم على مبادئ الإلحاد الذي يسعى حزب البعث العراقي لتعميمها على العالمين العربي والإسلامي وتلك المبادئ لم يتمكن حاكم العراق من تعميمها على العراق إلا بعد أن قام بالتصفيات الجسدية للقيادات العسكرية والفئات المدنية التي تؤمن بعقيدتها القائمة على الشريعة الإسلامية وهذا ما دعاه لبناء جيش غاشم لا يرتبط بأي ارتباط يقوم على الدين والعقيدة الصحيحة .

ومن هذه اللمحة السريعة لموقف صدّام حسين بشأن إعادة تنظيم الجيش العراقي وفق الأسس والمبادئ التي وضعها يستطيع القارئ الكريم أن يتلمس التناقض الواضح بين أقوال حاكم العراق وأفعاله فهو يقول : إن الجيش العراقي هو جيش الأمة العربية بأجمعها ... إذا صار عدوان على الكويت سيجدون الجيش العراقي يقاتل دفاعاً عن الكويت بحماس لا يقل عن الكويتي وكذلك عن دولة الإمارات ... إذاً لماذا قام بغزو دولة الكويت في الثاني من آب « أغسطس » ١٩٩٠م ؟ .

وأمام هذا العمل الإجرامي الذي قام به صدّام حسين كيف تستطيع دولة الكويت « المسالمة » أن تدافع عن أراضيها في مواجهة هجوم جيش لطاغية لا يلتزم بالتعهدات والمواثيق؟ أليس من حق الكويت أن تطلب النجدة والمساعدة من الدول المجاورة من المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي ؟ أوليس من حقها أيضاً أن تطلب النجدة والمساعدة من الدول العربية والإسلامية ومن الدول الصديقة في الشرق والغرب للدفاع عن

سيادتها واستقلالها باعتبارها دولة مستقلة وعضواً في جامعة الدول العربية وفي منظمة المؤتمر الإسلامي وفي الأمم المتحدة ؟. ، وهل يتوقع حاكم العراق أن يبقى العالم بعيداً عن مطلب الكويت الشرعي ويتفرج على مصيرها ومصير شعبها المشرّد الذي انتهكت حرماته وسلبت أمواله واعتدي على نسائه من قبل جيشٍ حاكم مستبد ؟ فهل يلام المعتدى عليه إن استغاث بعدو بعيد لمنع عدوان عدو قريب وقع عليه من دولة عربية مجاورة ؟! ٠

إن عبادة الفرد ، وجعلها مذهباً في الفكر والسياسية والتنظيم هي السبب العميق في ارتكاب الأخطاء الكبرى والمواقف السياسية والفكرية التى يحمل وزرها ويُسأل عنها الديكتاتور الذي يفرض هيمنته على الدولة ٠إن عبادة الفرد هي أخطر الأمراض التي تعرض لها الحكم في سورية في أواخر الأربعينيات وفي عقدي الخمسينيات والستينيات في ظل المبادئ التي أطلقها ميشيل عفلق ، كما شملت هذه الأخطار بلداناً عربية أخرى ومنها العراق في العقود الأربعة الماضية وترسخت المبادئ « البعثية » في العراق منذ أن تقلد صدّام حسين مقاليد الحكم في عام ١٩٦٨م ٠ولا بد من التوضيح لما تعنيه كلمة « الثورية » التي ينادي بها حزب البعث العراقي إنما تعنى « الدم والإرهاب والقتل الجماعي لكل معارض للبعث » ٠

ان صدّام حسين لا يكترث بأهمية المواطن العراقي بصورة خاصة ولا بالمواطن العربي بصورة عامة ، إذ ليس أسهل على نفسه من إبادة السواد الأعظم من الناس بهدف إيجاد جيل عربي جديد يؤمن بمبادئ « البعث العفلقي الصدّامي » وبأسلوبه العلماني الملحد ٠

وفي المقابل نجد أن القادة العقلاء الذين تسنموا قيادة معركة « عاصفة الصحراء » قد تجنبوا بل وحرصوا كل الحرص للحيولة دون إيقاع خسائر كبيرة في الجيوش المتحالفة لأن الإنسان في نظر هؤلاء الذين يمثلون الدول المتمدنة له قيمة حقيقية لا يمكن بأي حال من الأحوال جعلها ألعوبة في يد الجهلاء ومرضى النفوس ، لذلك شتان بين نظرة صدّام حسين التكريتي لشعب العراق وبين نظرة العالم المتحضر الذي يحترم الإنسان ٠

وإنه لما يحز في النفس أيضاً تلك المقارنة غير السارّة بين الإنسان العربي من جهة والانسان الغربي أو اليهودي من جهة اخرى فإننا نرى أن الحكومات الغربية تبذل قصارى جهدها للحصول على جثة مواطنها المدني أو العسكري الذي فقدته في معركة ما ٠ كما أن الحكومة الإسرائيلية تبذل كل جهد للحصول على جثة مواطنها مقابل الإفراج عن عشرات أو مئات من المواطنين العرب المعتقلين في سجونها لأن جثة المواطن اليهودي أو حتى رفاته لها قيمة كبرى لدى المجتمعات اليهودية بينما الإنسان الآخر في المجتمعات

«الثورية » لا قيمة له على الإطلاق إذ أن النظام « الثوري » العربي مهمته تصفية المواطن العربي المعارض تصفية جسدية دون حساب ٠

إن الهزيمة التي ألحقتها عاصفة الصحراء بصدّام حسين والتي تُوجت بتحرير الكويت لا تعطينا الحق أن نقول بأن الهزيمة كانت للعراق بل قد كانت لحاكم العراق صدّام حسين التكريتي ولحزبه « البعثي » فقط ، إن هذه الهزيمة الفادحة لا بد أن تكون درساً لكل متهور ولكل طاغية، لكل طاغية يلعب على الحبال مستغلاً حلّم القادة الكبار الذين يسهرون من أجل الحفاظ على السلم العالمي ٠

* * *

القوة العسكرية لفرض الوحدة!!

منذ أن تسلم صدّام حسين مقاليد الحكم في العراق صدر سيل من الكتب في سلسلة الفكر « الريادي » كما تدّعي أجهزة الفكر « الثقافي البعثي» كتاب بعنوان « تغيير الواقع » وهو عبارة عن دراسات في فكر صدّام حسين فقال الكتاب في مضمونه :

إذ لا يوجد تناقض بين ممارسة الديمقراطية وبين القوة المشروعة للسيطرة الإدارية المركزية وفق التوازن المعروف بين المركزية والديمقراطية ... وفي المدى التطبيقي نرى أن «الحوار الحّر» في الجامعات كان محطة أساسية في محيط الطلبة والأساتذة للتعبير عن التوجّه نحو تربية الجيل الجديد على ممارسة الديمقراطية بإدراك ومسؤولية وشجاعة ، بل إن ممارسة الديمقراطية والتربية عليها أن تبدأ من النبع الغض من هذا الجيل ، من طلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية عبر ممارسة اختيار (قدوة الصف) .لأن هذه الممارسة ، ستعطي نتائجها على صعيد المستقبل لقيادة المجتمع والتأثير فيها إيجابياً ...لذلك علينا أن نتوجه إلى الشباب منذ المراحل العمرية الأولى لأنها الطريق السليم لبناء شخصية الإنسان العراقي حتى لا نترك شيئاً مؤثراً للآخرين » ٠

من هنا يجد المرء أن صدّام حسين إنما يخطط للمستقبل البعيد لحكم «البعث» ومن هذا المنطلق تجب السيطرة على عقول طلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية وتغذيتهم بمبادئ النظام الاشتراكي الثوري ، وبذلك تتعود هذه المجموعات الكبيرة من جيل المستقبل على ممارسة التمرّد على الأبوين وعدم الانصياع لإرداة العائلة بل بإمكان الأولاد أن يفرضوا آراءهم وأفكارهم التي تعلموها على جميع أفراد العائلة في سبيل خدمة النظام العلماني الملحد

وبذلك ينقسم البيت ويفقد الأبوان السيطرة على تربية الأولاد هذا بالإضافة إلى ما يجرّ ذلك من انحلال خلقي في المجتمعات وبخاصة أن مبادئ «البعث» تفرض الاختلاط بين الجنسين بدءاً من مراحل الدراسة الأولى وحتى الجامعة وهذا مطلب رئيسي من مبادئ الدولة العلمانية الملحدة وهي من مبادىء حزب البعث.

وعندما يتحدث صدّام حسين عن الإنسان العراقي الجديد يقول في مقال تحت عنوان : « إنجاز الثورة الأعظم » :

« ***إننا لا نعتبر الرقعة التي نقف عليها ، هنا في العراق ، هي نهاية المطاف ، في نضالنا ، بل إنها جزء من أرض وأهداف أوسع منها ، هي الوطن العربي وأهداف النضال العربي ، والعمل الوحدوي ، هذه المرة يجب أن لا يسقط من الحساب عاملين اساسيين هما العامل الاقتصادي بحركته ودوره المؤثرين في هدف الوحدة ، والعامل الثاني هو التأثير المتبادل بين نضالنا القومي واتجاه وحركة السياسة الدولية .. إن العرب ٢٢ دولة و ٢٢ جزء و ٢٢ سياسة و ٢٢ نظام ، إذن يجب أن نكون صبورين ونتصرف اخوياً بالحرص ، وعلى نسق هذا التصور ، فإننا عندما نريد تعبئة الموقف العربي علينا وأن لا نشغل الجهة المطلوب تعبئتها والقوة المراد تعبئتها ، بخلافات تؤثر على التوجه العام الذي يعبر عن الحدّ المقبول للعمل القومي المشترك ، وتارة نلقي الدروس ، فنحن كعرب قادرون على المشاركة في صنع اتجاهات السياسة الدولية السوفيتية ، وقادرون على المشاركة في صنع اتجاهات السياسة الدولية الأمريكية .***

يقول التقرير السياسي للمؤتمر القومي الحادي عشر لحزب البعث العراقي :

« لئن كان حزب البعث العربي الاشتراكي هو « حزب الوحدة » ... فان الرفيق القائد صدّام حسين يعتبر بحق « رجل الوحدة » والفكر والعمل الوحدوي ونقدم لمحة عن نظرته إلى الوحدة العربية والعمل الوحدوي من خلال النقاط التالية :

١ - « ***إن الوحدة لكي تتحقق فإنها تحتاج إلى عمل « ثوري » رفيع المستوى ، ليس عملاً فنياً رفيع المستوى فحسب ، وإنما عمل « ثوري » نضالي وفي التضحية رفيع المستوي كذلك ، بل هو عملية سموّ في الفكر وفي التصرف إلى مستوى الارتقاء ، والوحدة يجب أن تقترن بالنضال وهي « إن تحققت بسهولة فهذا***

يعني انها غير مهمة كثيراً في حياة العرب ،وغير مهمة في حساب الاستراتيجيات الدولية ،وانطلاقا من هذا الفهم نسمي العمل لتحقيق الوحدة ، نضالاً وجهاداً لتحقيق الوحدة » .

٢ - « ***ان الوحدة أو الاقتراب منها لا يتحقق فقط من ميدان العقل السياسي والدستوري الوحدوي ،وإنما أصبحنا نبحث عن مسهلات العمل الوحدوي في ميادين أخرى كذلك ،ومنها التفتيش عن التلاقي والتفاعل على أي مساحة مشتركة للعمل العربي الذي لا يفقدنا التطلع إلى أمام ،وأن ننطلق في أن العرب أمة واحدة ونحن نؤمن بالوحدة ونتمناها ولكن اي لقاء قبلها لا نعتبره بديلاً ، لأن الوحدة عندنا غير المحاور*** » .

٣ - « ***ما دامت المنطقة العربية قد أصبحت أكثر (دولية) فإن الوحدة العربية قد أصبحت هي الأخرى أكثر (دولية) من أي وقت مضى*** » .

٤ - « ***إذا ما نظرنا إلى الإمكانات الاقتصادية العربية القوية ، نظرة مبدئية قومية وإلى دورها الإنساني ودورها القومي فإنها ستكون وسائل فعالة للبناء النموذج وفي تقوية العلاقات الوحدوية سلاحاً فعالاً في خدمتها في تقوية الاستقلال والتوحيد ...فعندما تكون الإمكانات الاقتصادية للسعودية عالية ،والإمكانات العراقية عالية ،وإذا ما نظر إلى الأمور من نظرة محلية إقليمية ، فإن الوحدة تبتعد في مثل هذه الحالة ،ولكن إذا ما نظرنا إليها من زاوية مبدئية قومية ... فان اتساع الإمكانات الاقتصادية والإمكانات الأخرى في قطر عربي أو أكثر يؤمنان بالوحدة سيجعل تلك الامكانات وسائل فعالة للبناء النموذج وفي تقوية العلاقات الوحدوية*** » .

وعندما يتحدث حاكم العراق عن موضوع تحقيق الوحدة العربية فإنه يقول : « ***إن الوحدة يجب أن تقام بالقوة وبالنضال الثوري حتى تكون مهمة ، لأنه في حال تحقيقها بسهولة فهذا يعني أنها غير مهمة كثيراً ،وذلك - على حدّ قوله - إن العراق هي جزء من أرض واهداف أوسع منها ، هي الوطن العربي وأهداف النضال العربي*** » .ومن هذا المنطلق شرع صدّام حسين بتنفيذ مخططه « الثوري » بدءاً من احتلال دولة الكويت في اليوم الثاني من آب

« أغسطس » ١٩٩٠م .

ويرى صدّام حسين في مجال التضامن العربي أن يعاد النظر في بناء أسس هذا التضامن حتى ولو خرج عن ذلك بعض الأنظمة العربية ويقول لا بد من الاتفاق حول الحدّ الأدنى المشترك في التعامل بين الأنظمة العربية وفي العمل العربي المشترك .

ومن هذا المنظور الاقليمي سعى العراق لإقامة مجلس التعاون العربي الذي أعلن يوم ١٦ شباط « فبراير » ١٩٨٩م ويضم إضافة إلى العراق الأردن ومصر واليمن . وتبين أن الهدف من وراء هذا المجلس الذي وصفه الرئيس المصري محمد حسني مبارك – بمجلس التآمر العربي – محاولة من حاكم العراق لتطويق المملكة العربية السعودية من الشرق بواسطة العراق « البعثي »ومن الشمال بواسطة النظام الهاشمي في الأردن ومن الجنوب بواسطة اليمن الموالي نظامه للحكم البعثي في العراق ومن الحدود المائية في البحر الأحمر جمهورية مصر العربية حيث كان يهدف أساساً تنفيذ مخططه التآمري للسيطرة على منطقة الخليج العربي باعتبارها أغنى منطقة بالنظر لثروتها النفطية وفي حال استيلاء النظام العراقي على المنطقة – لا سمح الله – فقد وعد صدّام حسين التكريتي قادة دول مجلس التعاون العربي بتوزيع الغنائم عليهم بالإضافة إلى الأراضي المغتصبة ، إلا أن حسن تقدير الملك فهد بن عبدالعزيز أمكن ولله الحمد إبطال المخطط الصدامي. إن هدف حاكم العراق البعيد من هذا المخطط هو المشاركة في صنع اتجاهات السياسة الدولية الأمريكية والسوفياتية – على حدّ قوله – .

فقد قال صدّام حسين في مفهومه لتغيير الواقع : « ***لا بد أن نعتمد الحقائق في تطبيق مبادئنا ، وأن يكون طريق الخلاص هو طريق القوة وكيف يستزيد من هذا الطريق ... إننا مصممون على أن نرسي القاعدة المادية للتحول الاشتراكي في الوطن العربي ... إن إقامة الاشتراكية في الوطن العربي ليست بديلاً عن الطموح الذي نسعى إليه في تحقيق الوحدة العربية ... أو في تحقيق الاشتراكية على كل ساحة الوطن العربي الكبير ... ولدينا الدراية والخبرة المتكاملة التي نتمناها لكي نخوض ميدان الحياة هكذا نموذج غير موجود في الإنسانية*** » .

وتابع حاكم العراق التكريتي يقول : « ***حزب البعث ولد من رحم الأمة ليعيد***

تكوين وبناء الأمة في نسيجها الاجتماعي، وفي قدراتها الاقتصادية وطريقة توزيع وتنمية الثروة فيها . فنجد مثلاً أن العراقي يرى أن العراق يضيق به . وعليه أن يتحرك خارجه ... وكذلك بالنسبة لباقي الأقطار العربية »٠

والسؤال الذي يجب أن نطرحه على حاكم العراق ... ماذا فعل صدّام حسين بما كان ولا يزال تحت يديه من ثروات حتى يُحسَن الظن به من قبل بعض الدعاة الإسلاميين الذين يساندون زعيماً اشتراكياً علمانياً ملحداً ٠ والجواب عن ذلك يقود العقلاء إلى إدراك زيف هذه المقولة : مقولة حسن توزيع الثروات عن طريق احتلال دولة عربية إسلامية !!

لقد عمد بعد يوم ٢٢ ايلول « سبتمبر » ١٩٨٠م بإشعال حرب مفتعلة لم تكن تتوقعها الدول الخليجية هذه الدول التي سبق لها أن أيدت ، ووقفت إلى جانب العراق ، رغم عدم قناعتها بهذه الحرب المدمرة للشعبين المسلمين ، وكانت خسارة الدول الخليجية خسارة فادحة لاقتصادها ومن ضمنها دولة الكويت التي غزاها حاكم العراق بعد عشر سنوات من إعلان منطلقات الاستراتيجية الشاملة للأمة العربية ، فقد قدرت خسارة الدول الخليجية بمئات ألوف من مليارات الدولارات الأمر الذي أدى إلى توقف جميع المشاريع التنموية والصناعية في المنطقة حرصاً من قادة دول الخليج على مساندة العراق في هذه الحرب المدمرة التي لم تعد على العراق بأي قدر من الفائدة بل جاءت نتائجها على العكس من ذلك فقد مني العراق بخسارة أكثر من نصف مليون جندي عراقي إلى جانب خسارة إيران.

ولعل من المفيد ـ تمهيداً لما تطرقت إليه تحت عنوان هذا البحث ـ أن أشير إلى بعض المعلومات عن وقائع الحرب العراقية / الإيرانية التي افتعلها حاكم العراق وما سببته من بلاء بين دول المنطقة التي أقحمت فيها الدول الخليجية وبخاصة المملكة العربية السعودية بالذات بسبب حماقات صدّام حسين ورعونته وغطرسته التي ما تزال تلازمه منذ أن انتسب لحزب البعث العربي الاشتراكي العفلقي الذي يعيش حلماً واهياً لإقامة إمبراطورية « البعث » التي نادى بها ميشيل عفلق . وعندما أشعل حاكم العراق هذه الحرب عام ١٩٨٠م كان « فيلسوف » البعث « عفلق » في قمة مجده في العراق وكان الموجه الأول لسياسة العراق داخلياً وخارجياً ، ونظراً لما يكنه عفلق من بغض وكراهية للعقيدة الإسلامية واستناداً على ما تتضمنه مبادئ حزبه الالحادية.

لذلك كان يتوقع عفلق وتلميذه صدّام حسين أن يستطيع النظام الاشتراكي العراقي من السيطرة التامة على إيران مع الإفادة من تضامن الدول الخليجية مع العراق في حربه مع إيران ليس من أجل سواد عيني صدّام حسين بل من أجل أن لا تقع الهزيمة بالشعب العراقي الشقيق ومع ذلك كانت حسابات النظام العراقي «البعثي» الخاطئة دائماً تبطن شيئاً آخر وهكذا قدر لإيران أن تصمد أمام الطغيان العراقي وتكبده خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات .

نعم إن مساعدة الدول الخليجية للعراق خلال سنوات حربه مع إيران كان بهدف نبيل لإبقاء العراق قوياً وسدّاً منيعاً لدول المنطقة وللعالم العربي ، لأن الواجب الوطني يفرض على أن يكون جيش العراق قوياً شامخاً ليشارك مستقبلاً في تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي ، لا أن يكون جيش العراق بمثابة تهديد للدول الخليجية التي وقفت إلى جانبه في حربه مع إيران .

ونقول إن هذا الموقف العراقي ليس له سوى تفسير واحد وهو أن قرار صدّام حسين في إعلان الحرب على إيران يهدف لأمرين لا ثالث لهما :

الأول : القضاء المبرم على الشباب العراقي الواعي الذي قد يعرقل مسيرة صدّام حسين وإيجاد جيل جديد يقوم على مبادئ حزب البعث لتولي المسؤولية في المستقبل حسب مخططات حاكم العراق المستبد وأستاذه ميشيل عفلق .

الثاني : القضاء على اقتصاد الدول الخليجية وتفتيت ثرواتها النفطية ليتاح لصدّام حسين فرض سيطرته على شعوب المنطقة لا قدر الله .

وفي كلتا الحالتين يعد ذلك خدمة كبيرة يقدمها صدّام حسين لإسرائيل المغتصبة للحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني .

أما بالنسبة لموقف المملكة العربية السعودية وسياستها الخارجية التي وضعها المؤسس الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود منذ قيام المملكة فانه لم يعرف عن المملكة في يوم من الأيام أن حاولت أن تخلق مشكلة لأحد ، بل ظلت المملكة دائما وأبداً حريصة كل الحرص على توثيق عرى المودة مع البلدان الإسلامية كلها ومن ضمنها إيران، وأمام هذه الثوابت السياسية للمملكة ، لم يكن للمملكة أية علاقة في الحرب العراقية مع إيران بل كان الملك فهد

بن عبد العزيز منذ اللحظة الأولى لوقوع الحرب يحاول إصلاح الأمور بين البلدين انسجاما مع سياسة الوفاق التي تنتهجها القيادة السعودية باتجاه الأشقاء العرب والمسلمين وإن ما قامت به المملكة في هذا المجال خلال العقود الماضية لأكبر دليل على هذه السياسية الراسخة الثابتة.

وفي هذا الخصوص أوضح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في حديثه مع أعضاء المجلس التنفيذي الإسلامي الشعبي الذي عقد في مكة المكرمة يومي ٢٣ و ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ الموافقين ٩ و١٠ يناير « كانون الثاني » ١٩٩١م والذي عقد قبل أيام قليلة من تنفيذ مهمة « عاصفة الصحراء » لتحرير دولة الكويت ،فقد أعلن المؤتمر أن عواقب العدوان العراقي على الكويت ومضاعفاته وآثاره تتعدى هذا النطاق لتمتد إلى الوطن العربي كله ، والعالم الإسلامي جميعاً ، والإنسانية كافة .

والتقى الملك فهد بأعضاء المؤتمر في مدينة الرياض يوم ٢٦ جمادى الآخرة ١٤١٢ الموافق ١٩٩١/١/١٢م الذين يمثلون علماء المسلمين في مختلف انحاء الأرض ، وفيهم رؤساء هيئات إسلامية عالمية وكبار الدعاة في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا وتحدث إليهم حفظه الله بالتفصيل عن ملابسات غزو دولة الكويت الذى كان مفاجأة كبرى لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأكد الملك فهد « أن المملكة لا تريد بالعراق إلا الخير ، ويستطيع اليوم ، وفي هذه اللحظة ، صدّام حسين أن يقول للجيش العراقي إنسحب وينسحب الجيش العراقي ، وليس الأمر في يد حكومة ، ولا في يد مجلس شورى ، ولا في يد برلمان ، ولا في يد أحد أبداً بل هو في يد شخص واحد يستطيع أن يقول للجيش العراقي : انسحب ... مثلما أعطى خلال بضع دقائق إيران ما تريد ، ونحن لا نتدخل بين إيران والعراق ، إن تنازل العراق لإيران عن شيء فهو حر ... إن الرئيس العراقي ، أنا عايشته منذ سنة ١٩٧٥م ، وأنا كنت موجوداً في الجزائر ، عندما نوقشت الأمور بين العراق وبين إيران ، وكان الشاه في ذلك الوقت موجوداً ، وأنا موجود نيابة عن الملك فيصل، رحمه الله ، وأسمع وأرى ما يجري من نقاش بين العراق وإيران ، إلى أن أخذت هذه الأمور مجراها الطبيعي ، حتى وصل البلدان إلى اتفاق وقع بينهما بشكل رسمي، واستقرت الأمور بينهما إلى أن حدث ما حدث بين العراق وإيران ، من سوء تفاهم ، حتى سوء التفاهم هذا ، لم يرغب الرئيس العراقي أن يتدخل فيه أحد ... أنا من ضمن الناس الذين كانت علاقتهم مع الرئيس العراقي على أرقى المستويات ...

أقول هذا ، وهذه هي الحقيقة منذ سنة ١٩٧٥م ٠

وتابع الملك فهد يقول : « كنت عنده يوماً في بغداد ، وكان يتحدث عن الإيرانيين بأنهم أساؤوا للعراق وأنهم يتحرشون بسلاح الحدود العراقي ، وألقوا قنابل متفجرة في بغداد وهكذا . أنا سألت وقلت له : هل الآن تتحدث معي تريد أن أنصحك بشيء ؟ ... أم أتكلم أم أسكت ؟ أنا ضيفك٠ قال : والله إذا بتتكلم فيسرني ذلك ... قلت : تسمع نصيحتي ؟ .. قال : نعم ... قلت : لا تتحرش بإيران ، وإن كنت ترى ، أنت ، إيران الآن في وضع طرأ جديداً ، وتغير الحكم في إيران ، وفيه مشكلات في إيران ، وأنت تعتقد أن هذه ظروف مواتية ، ورغبات في نفسك ، فإنني أقول لك هذا الكلام ولا أتردد فيه ، لأن بيني وبينك الصداقة ، وطلبت مني أتكلم ، ولذلك أقول ليس من مصلحة العراق أن تتدخل في إيران ٠

قال : إيران الآن في فوضى ، قلت له : هل معنى إذا صارت فوضى في أي بلد أن يجيز لك المنطق المعقول ، أن تتدخل في شؤونها هي بلدك تتصرف في شؤونها ، لكن الذي حصل أنه تدخل ، وحدث ما حدث ٠

وتابع الملك فهد يقول : « ما هي الفائدة التي حصلت بعد ثماني سنوات قتال ؟٠ هدمت مدن وقرى في إيران والعراق، وقتل ملايين البشر، وعطل عن الحياة الاجتماعية ملايين البشر ، وأنفقت آلاف الملايين وفي النهاية ، انتهت إلى صلح بين البلدين ... ليس هناك شيء في العالم إلاّ وله نهاية ... واذا كان الرئيس العراقي حارب ثماني سنوات ، وحمّل نفسه، وحمّل من أراد أن يساعده مئات المليارات ، وراح قتلى ملايين البشر ، فلماذا يعود إلى اتفاقية سنة ١٩٧٥م التي وقعت في الجزائر، التي مزّقها هو وألغاها تماماً ؟ لماذا يعود إلى هذه الاتفاقية في وقت ليس هو في حاجة لها ؟ ... وجميع الأراضي التي تريد إيران أن تبقى فيها ، أو تستولي عليها ، أو حتى التي كان الجيش العراقي فيها ، تنازل عنها الرئيس العراقي لإيران ، ولكن هل انسحابه من الكويت ، يكون فيه صعوبة أكثر من العودة لإتفاقية سنة ١٩٧٥م ... ما هو العائق الآن أن يتخذ المنطق والمعقول ، ويعود إلى الصواب ، ويعلن انسحابه من الكويت ، بدون أي شرط ويخرج من الكويت وتنتهي المشكلة ، وينتهي شيء اسمه قتال ؟٠

ولذلك سيظل اسم صدّام حسين مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بكل ما يسود المنطقة من توترات مختلفة ، ولهذا فإن من المتوجب على كل من يهمه الأمر في عالمنا العربي والإسلامي أن يعي

أبعاد المخطط الرهيب الذي نذرصدّام حسين التكريتي نفسه من أجل تحقيقه ولو كان ذلك على أشلاء الآخرين فبقدر ما نكون عليه من تماسك وتفهم لحقيقة الأشياء ستغدو احابيل الشيطان ذاهبة أدراج الرياح ٠

ويشهد العالم اليوم بأن صدام حسين بعنجهيته وطغيانه ما يزال يلعب بمقدرات الشعب العراقي متحديا جميع الدول ليبقى على رأس النظام بعد تمثيلية جديدة في انتخابات رئاسية هزلية معلنا أن نسبة انتخابه بلغت ١٠٠٪ فهو رجل مستبد ومغرور بشخصيته وما يضمره هو الخداع ليس إلا بعد أن أقام علاقات مليئة بالحقد والكراهية والارهاب مع دول الخليج العربي ولا سيما المملكة العربية السعودية لانها تتمسك بكامل العقيدةالاسلامية وهذا ما لا يتفق مع مرتكزات وتوجهات النظام العلماني في العراق.

ولا يمكن ان يتجاهل المرء ما فعله الجيش العراقي من أعمال شنيعة بأبناء الكويت وعمليات الاغتصاب والتصفيات الجسدية والاستيلاء على أموال وممتلكات الدولة والمواطنين وكان ينوي القاء القبض على جميع أسرة آل الصباح وتصفيتهم جسديا حتى لا تعود اليهم السلطة ولكن كان وعي الأسرة الحاكمة وبعد نظرها ولجوئها الى الأراضي السعودية حال دون تحقيق المخطط الصدامي الرهيب وقد سبق لعبد السلام عارف عندما قام بالتعاون مع عبدالكريم قاسم في انقلاب ١٤ يوليو ١٩٥٨م في العراق أن توجه عارف الى القصر الملكي وانهال برشاشه الخاص على جميع أفراد الأسرة الملكية وقتل الجميع من الشيوخ والرجال والنساء حتى الأطفال.

لذلك هذا العنف الدموي قد استشرى في جسم صدام حسين ومن قبله في جسم عبدالسلام عارف وفق المبادىء الدموية الثورية المأخوذة من مبادىء «الثورة البلشفية الدموية» التي وقعت في روسيا عام ١٩١٧م واطاحات بالامبراطورية القيصرية لان هذه الثورة الحمراء كانت تساند الحركات اليسارية في العالم العربي بهدف بعيد المنال وهو نشر المبادىء «الشيوعية في المنطقة العربية ».

وفي العدوان العراقي على الكويت كان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله ومن بعد نظره الثاقب قائد معركة التحرير الشجاعة التي تداخلت فيها الأمور واختلطت المفاهيم واكتنفتها عوامل ومعطيات شتى ونهض رعاه اله بمسؤولياته الثقيلة بكل

عزم وقوة متخذا القرار المناسب في الوقت المناسب وبذل جهدا تاريخيا في ادارة الأحداث المتلاحقة السريعة واسفرت هذه المواقف الشجاعة حتى خروج المعتدي الظالم.

وقد اسهمت قوات التحالف الدولي في ارساء قواعد مفاهيم «العالم الجديد» بصورة عملية وهي أن زمن الاجتياح والغدر والاحتلال قد ولى وانه لا يسمح لاي لص غادر يعبث في الظلام بعد الآن يفوز بغنيمته بل لا بد ان يعيدها الى أهلها مع الانصياع للادارة الدولية.

ان نظام صدام حسين تقلص الى حدود كبيرة بعد لجوء أعداد من الشخصيات العراقية الى الدول المجاورة كل ذلك بسبب الوضع المؤسف للجيش والنظام الديكتاتوري وممارسات التصفية الجسدية في العراق.

والملاحظ أن صدام حسين بحقده وغروره الشخصي لن يتمثل لأي قوانين وقواعد أخلاقية بل سيبقى ملتزما بالمبادىء والشعارات البالية التي طواها الزمن بعد أن تحررت روسيا من نظامها الشيوعي واصبحت تشارك في وضع نظام عالمي جديد.

* * *

صدّام حسين .. والصحوة الإسلامية !

إن الاشتراكية التي أطلقتها الأحزاب العقائدية ومنها « البعث» لتنفيذها في المنطقة الخليجية والعربية من المحيط الى الخليج هي تهدف القضاء على العقيدة الإسلامية ، بأساليب وضيعة وذلك بالتركيز في عملية نشر المبادئ الثقافية والفكرية الفاسدة فقد صدر عن قادة هذه الأحزاب وفلاسفتها العلمانيين العديد من الكتب والمؤلفات وكلها تطعن وتسخر من مبادئ الإسلام حتى يشك النشء الإسلامي في دينه وفي عقيدته السماوية تمهيداً لتحويل المجتمع العربي المسلم إلى مجتمع اشتراكي وقومي عربي ملحد بعيداً عن العقيدة الإسلامية وعن جميع القيم السامية المتوازنة ، فالاشتراكية والديمقراطية ما هي إلا حرب على جميع الديانات السماوية وحرب على الإنسان وحرية وتفكير الإنسان .

ويمكن التأكيد أن التجمع الكبير لقادة البعث في العاصمة العراقية وأيضاً الحشود الغوغائية التي شهدتها بغداد والأعداد الكبيرة لاعضاء وفلاسفة البعث منذ مطلع الثمانينيات من هذا القرن كان مؤامرة خطيرة على المنطقة العربية لنشر أهداف البعث في ثالوثها العفلقي: « الوحدة والحرية والاشتراكية » .

وعندما استقر مؤسس « البعث » ميشيل عفلق مقيماً في بغداد أخذ يجمع شتات حزبه لمرحلة المستقبل . وبتوجيه قيادي عقد المؤتمر القطري التاسع للحزب في عام ١٩٨٢م ناقش فيه المؤتمر تطلعات المؤسس الأول بهدف أن تكون بغداد مركز انطلاق الحزب وتصدير شعاراته ومبادئه للبلدان العربية ، ونتيجة للنقاشات أصدرت القيادة بياناً يتألف من ٣٠٤ صفحات تضمنت القضايا التي عالجها الحزب وقد اتخذت الطابع السري ووزع على الأعضاء النخبة فقط في الحزب ليتولى كل عضو تنفيذ مضامينه.

وكانت القضية الأساسية الأولى التي عالجها الحزب نشاط الحركات الدينية في العالم العربي والإسلامي وخطرها على النظام العراقي البعثي الملحد واتهمت القيادة هذه الحركات بأنها المشاركة الفعلية في اللعبة السياسية لإثارة الانقسامات والصراعات السياسية والاجتماعية والدينية والطائفية والعرقية في المنطقة العربية ، بالنظر لأن وجود هذه التيارات يشكل مناخاً معادياً لمبادئ «البعث» ومانعاً من انتشارها وتعميم كل اتجاهات «التقدم » الجذرية بوجه عام وضد حركة القومية العربية بوجه خاص .

وزعم البيان : «*أن الظاهرة الدينية / السياسية ظاهرة انقسامية وليس توحيدية*

للشعب العربي ، في حين أن حركة القومية العربية أثبتت قدرتها في الخمسينيات وفي جزء من الستينيات وما تزال على حشد كل الشعب العربي بكل أديانه وطوائفه في النضال ضد القوى المعادية ،كذلك إن الظاهرة الدينية/السياسية في العصر الراهن فانها ظاهرة سلفية ومتخلفة.

وأضاف البيان : « *بعد سيادة الظاهرة الدينية / السياسية على الوطن العربي والتي لا يمكن أن تكون بالنتيجة إلا طائفية تعصبية ... أو على المشرق العربي ... على أقل تقدير ، ومن النواحي العلمية والتقنية والعسكرية بين هذه المجموعة من الدويلات المتناحرة والمتخلفة التي تسيطر عليها قوى سلفية ... إن النضال ضد انحرافات الظاهرة الدينية / السياسية هو اليوم في مقدمة المهمات التي يتعين على حركة الثورة العربية خوضها ... لذلك وقياساً على هذه الحالة وحالات أخرى قد يصلح التيار الديني / السياسي في حالة أو حالات خاصة لاسقاط الأنظمة المعادية للشعوب ، ولكنه لا يمكن أن يصلح في قيادة الشعب من خلال ناصية السلطة السياسية وفي إدارة شؤون البلاد ... وبخاصة عندما ينفرد بالسلطة ويفرض سيطرته بالقوة والإرهاب* » –على حد قول بيان القيادة القُطرية –.

وأردف البيان : « *إن الظاهرة الدينية / السياسية ليست جديدة في الأقطار العربية ...* وان الخصم الأساسي الذي استهدفته هذه الأحزاب والحركات والتيارات كان دائماً الحركة القومية العربية وطليعتها الثورية الباسلة ، حزب البعث العربي الاشتراكي ...! *وإن النضال ضد هذه الظاهرة يجب أن يستهدفها حيثما وجدت في هذه الطائفة أو تلك وبين أتباع هذا الدين أو ذاك ، لأنها كلها تعبر عن موقف معاد للشعب والحزب والثورة والقضية القومية* » .

وعن انتشار التيار الديني داخل صفوف حزب البعث قال البيان :

« *إن بعض الحزبيين صاروا يمارسون الطقوس الدينية بصورة مظهرية ، وشيئا فشيئاً صارت المفاهيم الدينية تغلب على المفاهيم الحزبية عند معالجتهم للقضايا السياسية في الفكر والتطبيق في شتى النواحي التي يواجهها الحزب في عملية التغيير الثوري الشاملة ، وصارت ظاهرة التدين ، تنتشر شيئاً فشيئاً وبصورة مفتعلة في ممارساتها وفي صيرورتها في بعض الأوساط الحزبية بدافع تقليد الحزبيين الأعلى في المرتبة الحزبية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صار بعض الرفاق يضعون مسألة الطقوس الدينية كمعايير للتقييم الحزبي ... إن انتشار هذه الممارسات بنسبة معينة خلق حالة من البلبلة في صفوف الحزب ونشأ جدل بين الحزبيين حولها ، ،كما أوجدت هذه الممارسات نوعاً من التصرفات الانتهازية .. وهذه ظاهرة خطيرة جداً تمس جوهر العلاقة الحزبية وتؤدي إلى زرع الانقسامات اللاموضوعية في*

الحزب » .

« وإننا في هذا المؤتمر مطالبون باتخاذ موقف مبدئي متكامل ونهائي من هذه المسألة ... وقبل ذلك علينا أن نتساءل ، إذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلاً أخلاقياً أو عقائدياً عن حزب البعث العربي الاشتراكي ، وسبيلاً لحل المسائل الجوهرية في الحياة ، فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي ؟! ولماذا ، بعد أن قطعوا شوطاً طويلاً في الحزب يريدون فرضها عليه أو إشاعتها فيه من دون أن يكون لذلك أساس في عقيدة الحزب ، وفي تقاليده ، ومن دون أن تقرّ هذه المفاهيم والممارسات من قيادة حزبية مسؤولة أو من مؤتمر حزبي مسؤول ؟! »

وأضاف البيان : « . إن المنهج الصحيح في التعامل مع المسألة الدينية ، ومع الظاهرة الدينية / السياسية هو ذلك الذي رسم خطوطه المركزية الأساسية الرفيق صدّام حسين في كراس « نظرة في الدين والتراث » فهو يقول : « عندما نتحدث عن الدين والتراث يجب أن نفهم أن فلسفتنا ليست التراث ولا الدين بحد ذاتهما ، إن فلسفتنا ، ما تعبر عنها منطلقاتنا الفكرية وسياستنا المتصلة بها ، إن حزبنا ليس حزباً دينياً ، ولا ينبغي أن يكون كذلك ... وإن المطلوب منا هو أن نكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة ، وفي المجتمع ، وضد اقحام الثورة في المسألة الدينية وأن نعود إلى أصل عقيدتنا ، وشرطنا الأساسي في ذلك هو أن يبتعد الجميع عن التناقض أو التصادم مع سياستنا في تغيير وبناء المجتمع وفق اختيارات حزب البعث العربي الاشتراكي ، محذرين إياهم من أن استخدامهم الدين غطاء للسياسة أو غطاء للوصول إلى حالة من التناقض والتصادم بين الثورة في منهجها وأهدافها وبين الممارسات الدينية » .

هذه خلاصة موجزة لبيان المؤتمر القُطري التاسع لحزب البعث العراقي الذي يؤكد أن حزب البعث ليس حزباً دينياً ولا ينبغي أن يكون كذلك كما يقول حاكم العراق إنما هو حزب علماني يكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة . وأترك للقارئ الكريم أن يحكم على بيان القيادتين القومية والقطرية لحزب بعث العراق الذي أعلن أن ميشيل عفلق كان قد اعتنق الإسلام ديناً قبل وفاته ... ويأتي هذا التوقيت متزامناً مع ما خطط ويخطط له صدّام حسين لتنفيذ أخطر مؤامرة على الدين والعقيدة الإسلامية .

قال الله تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » . سورة البقرة ، الآية : (٢٥٦) .

والطاغوت في اللغة العربية يطلق على كل من يخرج عن حدّه الشرعي ، ويشمل الطاغوت في اصطلاح القرآن الكريم العبد الذي يتجاوز حد عبوديته ويدعي سيادة نفسه وألوهيتها، ويجعل عباد الله عباداً له... وتمرد العبد وعصيانه لله عزَّ وجل له مراتب ثلاث وهي :

١ – أن يعترف العبد بحق الله في الحكم ولكنه يمارس في الواقع أحكاماً تخالفه وهذا فسق عظيم ٠

٢ – أنه ألقى بحكم الله أصلاً ثم صار مطلق العنان في شؤونه ، أو راح يطيع ويعبد أحداً سواه وهذا كفر ٠

٣ – أنه بغى على الله وطفق ينفذ قانون نفسه وحكمه الشخصي في ملك الله ورعيته ٠

وهذه المرتبة الأخيرة إذا وصل اليها العبد سمي « طاغوتا » ومن المستحيل أن يؤمن الإنسان إيماناً صحيحاً دون أن يرفض هذا الطاغوت وينكره ٠ هذا هو تصور القرآن الكريم عن الحاكمية وفيه ان الإنسان لاحَظٌ له من الحاكمية إطلاقاً ، وعلى هذا الاساس يذكّر القرآن بالإنسان بأنه مستخلف من قبل الله في الأرض ونائباً ، ويبين لنا أن مهمة النائب الرئيسية هي العمل في الدنيا طبقاً لحكم مالكه قانونه . وهذا ما نجد إشارة إليه في الآية ٣٠ من سورة البقرة : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة »٠ وقد قال الله تعالى : « الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » سورة الحج ، الآية : (٤١) ٠

إن هذه الآية تعني أن صفات من يستحقون تأييد الله وعونه ونصرته أنهم إذا ما أُعطوا السلطة والحكم نهجوا على إقامة الصلاة بدلاً من الفسق والفجور والكبر والغرور ، وأنفقوا أموالهم في إيتاء الزكاة بدلاً من صرفها في الملذات والمتع ، وطوّعوا حكمهم وحكومتهم لخدمة واعلاء شأن الإسلام لا تقويضه وذبحه والحطّ من قدره ، واستخدموا سلطتهم في كف الشر وبتره والقضاء عليه لا في نشره وإذكائه ٠

* * *

الاشتراكية ..والأنظمة « الثورية » !

منذ قيام المجتمعات الإنسانية على وجه الأرض والعالم مبتلى بدعوات هدّامة ومنها الدعوة للاشتراكية والإلحاد والعلمنة وهي دعوات باطنية . والباطنية هي أم الخبائث التي

بسبب مكرها تصدّعت الأمم والشعوب فقد ولدت الباطنية في نفس مخلوق قذر امتلأ قلبه بالحقد على الإنسانية والنقمة على الفضائل والأخلاق ، وبنى مذهبه على نكران الغيب والإيمان بالمادة ، وهدم الفضائل الإنسانية كلها ، وإباحة الحرمات جميعها ، فانكرت الباطنية وجود الله، وزعمت أن الرسل ادّعوا النبوة طمعاً في حكم العامة ورغبة في السلطان ، وأن الأديان ما هي إلاَّ صدى الحاجة ووليد الضرورة وأنكرت كل قيد من قيود العقيدة والخلق، وسمت الفوضى حرية ، وجعلت الخلاعة والمجون والفسق والفجور والإباحية شريعة متبعة ، وجعلت كل ممنوع مباحاً ، وكل حرام حلالاً ، وكل حريز مشاعاً ، وفصمت عرى الزوجية ، وقضت على عاطفة الأمومة والأبوة .

إن الاشتراكية المتفرعة عن العلمانية غريبة عن الأديان السماوية ، غريبة عن شريعة الإسلام ومبادئه السمحة وعن أحكامه وتعاليمه ، والتاريخ الإسلامي على مر العصور والأزمان لم يعرف العقيدة « الاشتراكية » التي ظهرت في بادئ الأمر في القارة الأوروبية على أيدي زعماء الاشتراكية والأحزاب الشيوعية وعلى أيدي « كارل ماركس » وقد سماها « الاشتراكية العلمية » وعلى يدي «إنكلز» ثم لينين وستالين حيث ولدتها ظروف أوروبية خاصة في القرن الماضي .

إن « كارل ماركس » الألماني الجنسية ذو أصل يهودي من مواليد ١٨١٨م قد اعتنقت أسرته النصرانية وأقام في باريس باعتباره كسولاً ، والتقى في العاصمة الفرنسية بعدد من أصحاب المبادئ اليسارية واتصل بالجمعيات السرية التي ألفها الشيوعيون والاشتراكيون وألّف مع زميله « إنكلز » عصبة الشيوعيين هناك وأصدر « البيان الشيوعي » أو الميثاق المشهور وهو يعتبر من أخطر المواثيق في تاريخ الاشتراكية ومن أهم بنود هذا الميثاق :

١ - « الدعوة إلى الإلحاد ، باعتبار أنه ليس في الكون إله - أستغفر الله العظيم - وإنما هي المادة وحدها » .

٢ - « يحقّ للفلاسفة في العالم تفسير هذه الدعوة بطرق مختلفة ، إلا أن المهم هو تغيير هذا العالم على أن يكون هذا التغيير بالثورة والصراع الطبقي » .

٣ - « صراع الطبقات هو حتمي وطبيعي ، يجب نقله إلى الميادين كافة في السياسة والفلسفة والقضاء والقوات المسلحة والدين » .

٤ - الاشتراكية حل حتمي لمشكلات المجتمع الاقتصادية ولا بدّ منه ، وعلينا أن نلغي الملكية

الفردية لوسائل الإنتاج لتصبح جماعية ونقضي على البورجوازية وهي الطبقة الوسطى

٥ - « تعتبر الماركسية « الأسرة » دعامة المجتمع البورجوازي ، وترى أن الحب الحر أو الاتصال الجنسي الطليق ينبغي أن يحل محلّ الزواج الشرعي » .

ويعتقد المؤرخون أن النزعة الشيوعية التي سماها كارل ماركس «الاشتراكية العلمية » تعود في أصولها إلى أغوار الماضي البعيد ، إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكان لها مجال البحث على عهد افلاطون الذي نجد في جمهوريته لمحة عن الاشتراكية الخيالية كما أن السير توماس مور قد عالجها في أوائل القرن السادس عشر وكذلك كان لها مثل هذه الجذور قبل الإسلام في بلاد فارس حيث ظهر « مزدك » عام ٤٨٧م في مدينة نيسابور فنشر تعاليمه الاشتراكية .

وحين ظهرت الفرق الباطنية في القرن الهجري الثالث ظهرت هذه النزعة الاشتراكية عند معظم هذه الفرق ولا سيما القرامطة وهم فرع من فروع الإسماعيلية اقتصرت حركتهم على العرب والأنباط من سكان العراق والشام والجزيرة العربية ، وحركة القرامطة قادها « حمدان قرمط » في ضواحي «واسط» بين الكوفة والبصرة وهي منطقة خصبة للحركات الثورية لأن سكانها خليط من العرب والأنباط والزنج المستضعفين وشملت اشتراكية القرامطة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والأمور الإلحادية .

إن الإلحاد جزء من المبادئ التي تقوم عليها الاشتراكية ، فالاشتراكيون يرفضون وجود الدين كما يحاربون العاطفة الدينية وكانت مجلة « إكومونيست » السوفياتية قد كتبت في عددها الصادر أول كانون الثاني «يناير» ١٩٦٤م «*ستظل العقيدة الاشتراكية في نزاع مع العقيدة الدينية .ولن يستقر التحويل الاشتراكي الصحيح إلاّ بسيادة الاشتراكية على الدين* »

وقالت المجلة ايضاً : « *وإذا اقتضت مراحل التحويل الاشتراكي تعايشاً مع العقيدة الدينية ، أو إظهار الاهتمام بها في بعض الحالات ، كما هي الحال في المناطق « الإسلامية » فإن هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت فقط* » .

وأضافت المجلة : « *أن بين الاشتراكية العلمية ، والأديان السماوية صراعاً مستمراً . لقد وصّانا لينين بأن على الحزب الاشتراكي أن يجعل الكفاح ضد النظرة الدينية للحياة والممات مسؤولية مستمرة يجب على الطليعة القيادية الاشتراكية أن تقوم بها ويجب أن نستعيض عما وعد به أرباب الأديان من فردوس في العالم الآخر* » .

ومع مقارنة هذا الموقف الذي أعلن في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٦٤م ، وما قبل هذا التاريخ مع التطور الإيجابي الذي أعلنه ميخائيل غورباتشوف عام ١٩٨٥م نرى الفارق الكبير في تبديل الاتجاه الشيوعي في الاتحاد السوفياتي وتحويله نحو العدالة الاجتماعية التي حُرِم منها المجتمع السوفياتي ردحاً من الزمن في الوقت الذي كانت تتحدث فيه وسائل الإعلام المشبوهة عن الجنة الوهمية التي تعيش في كنفها الأمم التعيسة بسبب ضنك العيش من جهة وسوء العذاب الذي تسومهم إياه السلطة الحاكمة من جهة أخرى .

لقد جاء في كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) العبارة الآتيه : « لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، لاحظوا أن نجاح داروين ، وماركس ، ونيتشة ، قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم ، « التي كتب بها هؤلاء الثلاثة » في الفكر الأممي « أي غير اليهودي » سيكون واضحاً لنا على التأكيد » .

فهؤلاء الثلاثة أطلقوا للبشرية نظريات هدّامة قلبوا فيها المفاهيم وحطّموا التقاليد ، وكان اليهود الصهيونيون وراء انتشار آرائهم ووراء النجاح الذي لقيته آراء ماركس ، مؤسس الشيوعية وحفيد الحاخام مردخاي ماركس . فهم الذين هيأوا للشيوعية الانتشار وفرضوا الشيوعية على الاتحاد السوفياتي بالقوة . فلينين وزوجته كانا يهوديين، وكانت زوجة ستالين يهودية ، وكذلك زوجة مولوتوف ووزير خارجيته .

إن الذي أسس الحزب الشيوعي في لبنان هو اليهودي جوزف برغر والذي أسس الحزب الشيوعي في فلسطين خلال عهد الانتداب البريطاني هو اليهودي «إلياهو تيبر » . وكان ضابط الارتباط بين الحزب الشيوعي الفلسطيني واللبناني ، والذي أسس الحزب الشيوعي في مصر يهودي ، ومعظم هؤلاء اليهود هم من الأشكناز ، أي اليهود الروس ، الخزر الذين يقابلهم السفارديم يهود الشرق والبلاد العربية .

وبعد دراسة الباحث المدرك لمخاطر مبادئ الاشتراكية إنما يجد فيها طريقة التدجيل والانحراف السياسي كما تكشف له أبعاد الانحطاط بهذا الواقع الراهن بسبب الغزو الفكري الذي مارسه ويمارسه أقطاب دعاة القومية العربية في عالمنا العربي وقيام نظام علماني إلحادي في المنطقة العربية .

ومنذ عقد الستينيات من هذا القرن وبالتحديد في شهر آذار مارس ١٩٦٣م بدأت المزايدات الحزبية بين الحكم الناصري في مصر وحزب البعث السوري بشأن الاشتراكية

والعلمانية وكانت حملة مركزة شعواء قادها الإعلام الناصري في القاهرة على الدين الإسلامي والاستهزاء بالشعور الاسلامي والعقيدة الإسلامية ، فقد أعطى الرئيس عبد الناصر توجيهاته للصحف المصرية لنشر المبادئ الاشتراكية اليسارية المتطرفة ، وقد نشرت صحيفة أخبار اليوم صورة لاعب كرة يضرب بقدمه كرة قدم ، ولكن الكرة كانت عمامة شيخ من شيوخ الأزهر ، وقد أثار هذا المشهد آنئذ شعور علماء الأزهر ومنهم الشيخ محمد الغزالي . فألقى خطبة شديدة ينعي فيها الإسلام وحرمته وكرامته، فخرج طلاب الأزهر في مظاهرة حماسية رُدّت وفُرِّقت من قبل السلطات المصرية . وقدم للشيخ الغزالي اعتذار عن نشر تلك الصورة ٠

وفي الوقت نفسه ظهرت في صحيفة « المساء » القاهرية « اليسارية » صورة كاريكاتورية تمثل ديكاً ناشراً جناحيه وتحته تسع دجاجات وتحت الصورة التعليق الآتي : «محمد أفندي والزوجات التسع » ، وقد أثارت هذه الصورة استياء العالم الإسلامي حتى انها قدمت إلى مجلس جامعة الدول العربية الذي كان منعقداً في مدينة الرياض ٠

وكانت حركة ٢٣ تموز «يوليو» ١٩٥٢م التي قام بها جمال عبد الناصر قد أدخلت تعديلات في نظام الجامع الأزهر . فلم تقصره على العلوم الدينية والشرعية ، بل أدخلت فيه العلوم المادية والعصرية ، وانتهى الأمر إلى إدخال الدراسات الماركسية والاشتراكية في صلب دروس كلية أصول الدين . وتبع ذلك خضوع شيخ الأزهر – حينذاك – للمؤثرات السياسية التي يفرضها نظام عبد الناصر ٠ وهكذا نجد أن شيخ الأزهر يتكلم على حرب الفيتنام ويستنكرها، لكنه لا يستنكر أن تهرق الدماء العربية في اليمن آنذاك ، والدماء الإسلامية في قبرص وكشمير التي يلقى فيها المسلمون أشد البلاء وتهدر فيها كثير من الشعوب الإسلامية ٠

وفي العدد ٣٤ من الملحق الديني لصحيفة « الجمهورية » المصرية الصادر في ١٢ آب «أغسطس » ١٩٦٦م نشر نص قرار تشكيل مجالس إدارة المساجد التابعة لوزارة الاوقاف المصرية الذي يقضي أن تقوم هذه المجالس بمراقبة العمل في المساجد ونشر الرسالة الكاملة للمسجد وهي تخريج المواطن الاشتراكي العربي – على حد تعبير وزارة الأوقاف المصرية آنذاك – وبذلك أصبح المسجد ألعوبة في يد الاشتراكيين ، وإن بيوت الله في مصر وفي العالم العربي الموالي للناصرية أضحت مراكز للدعاية لمبادئ ماركس والأنظمة الاشتراكية

وأضحت وزارة الاوقاف المصرية في ذلك العهد تنشر المبادئ الاشتراكية على الطلاب والتلاميذ الذين يرتادون المساجد وبصورة خاصة الأزهر . وقد قال مصدر مسؤول كبير

لصحيفة الجمهورية حديثاً نشر في ملحقها الديني رقم (٣٠) الصادر بتاريخ ١٥ تموز «يوليو» ١٩٦٦م أوضح فيه أن رسالة وزارة الاوقاف ومهمتها " اشتراكية بحتة " ، وأن كل ما تعمله الوزارة منصرف آليا إلى تعميق جذور الاشتراكية في مجتمعنا العربي . وبذلك تحولت وزارة الاوقاف آليا إلى جامعة مهمتها وهدفها التطـبيق الاشـــتراكي في المجتمع العربي كله»· ورصدت الملايين من الجنيهات في ميزانية الدولة لإنفاقها على طرق صرف أموال الوقف في سبيل التطبيق الاشتراكي ؛ فقد صدر مرسوم عن جمال عبد الناصر يجيز التصرف بأموال الأوقاف الخيرية على ما تقتضيه المصلحة في النظام الاشتراكي المصري ·

وتجاه هذا القرار الذي يناقض الشريعة الإسلامية استنكر فقهاء المسلمين ذلك الاجراء الذي بّدل شرط الواقف الإسلامي ، كما ان نظار الأوقاف أنفسهم أخذوا ينهون كتاب الوقف بعد أن أصروا على تحديد شروط الواقفين نحو وجهات الخير التي يجب أن تصرف عليها أموال الوقف · يقول الله تعالى في كتابه العزيز : « فمن بَدَّله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم » سورة البقرة، الآية : (٢٨١) ·

إن الدين الإسلامي قد حدّد دور المسجد التوجيهي في الإسلام وهو تفقيه المسلمين بأمور دينهم ودنياهم ، ونشر المحبة بين الناس ، ونشر الأمن والعدل والرخاء والبعد عن الخوف والرعب والقلق عن قلوب المسلمين . ولم يرد في أقوال الأئمة الفقهاء أن دور المسجد هو تقديم الفرد الذي يشارك في بناء النهضة « الثورية التقدمية » ، كما أعلن في عهد عبد الناصر بأن مهمة المسجد اخراج المؤمن «بالثورة الاشتراكية وتفقيهه بالتعاليم الاشتراكية والدعوة إلى صراع الطبقات وتقديم الفرد الصالح الذي يشارك في بناء النهضة الانقلابية الثورية على الإسلام وعلى الدين الإسلامي » ·

إن القيم الروحية هي أساس الحضارات التي عرفتها الإنسانية منذ تاريخها البعيد ، ومن واجبنا المحافظة عليها لتبقى حضارتنا منيرة في طريق الإسلام ومبادئه ، وبذلك تدوم الإنسانية وتتعايش الأمم والمخلوقات لأن الإسلام إنما جاء لخير البشرية ؛ فالمادة وحدها لا تصنع حضارة البشر بشكلها المطلوب كما أنها لا تضمن الطمأنينة والسلام ·

وبعد وفاة عبد الناصر في ٢٨ أيلول « سبتمبر » ١٩٧٠م وقد صادف تاريخ يوم انفصال سورية عن الوحدة مع مصر الذي كان يوم ٢٨ أيلول « سبتمبر» ١٩٦١م إذ تسلم الرئيس أنور السادات الحكم في مصر جرى تبديل جذري في سياسة القاهرة وإلغاء

الأنظمة الاشتراكية الملحدة التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية ، وبذلك أخذ العلماء في مصر ، والعالم العربي الذين سبق أن تورطوا بسبب سياسة عبد الناصر أخذوا يصحّحون مسارهم ويعودون للاتجاه الصحيح في الخط الإسلامي كما نصت عليه الشريعة الإسلامية . وألغى الجامع الأزهر جميع التعديلات التي أدخلت في العلوم المادية والعصرية التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية التي بشر بها سيد المرسلين ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

العلمانية.. والدولة الدينية

كان في مقدمة فلاسفة « البعث » الذين أكثروا من إصدار الكتب والمنشورات حول مبادئ « البعث » المدعو " شبلي العيسمي " وهو درزي العقيدة من مواليد عام ١٩٢٥م في محافظة السويداء في «جبل الدروز » .

ومن أخطر الكتب التي أصدرها « العيسمي » في العراق كتاب « العلمانية والدولة الدينية » في عام ١٩٨٦م .

وذكر « فيلسوف العلمانية » في كتابه : « *إن العلمانية هي مذهب من المذاهب السياسية الاجتماعية المعاصرة وهي تعني الفصل بين السياسة والدين وإنها نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية وبالأخص في التعليم العام ، وهي التي تدفع المفكّرين للتفتيش عن الحلول العملية للخلاص منها لعزل قضايا الدين عن السياسة ومشكلاتها ، وأن لا يكون الإسلام دين الدولة ، أو الشريعة الإسلامية مصدراً أساسياً من مصادر التشريع ، وأن يضمن حياد الدولة تجاه الأديان* » .

وقال: « *إنه ليس للدولة العلمانية أن تفضل أحداً على أحد بسبب موقفه الديني ، فالمؤمن وغير المؤمن في مرتبة اعتبارية سوية وأن يطبق الشعار المعروف وهو « لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة » أي أن تخرج السياسة والتنظيم الاجتماعي من حيز الممارسة الدينية، ويدّعي في كتابه أن التعصب الديني عندما يتحول إلى قاعدة للتنظيم الاجتماعي والممارسة السياسية فانه يصبح وسيلة قمع استبدادية غير عقلانية ، ويكون – على حد تعبيره – بالضرورة أساسا لانقسام المجتمع حسب حدود يرسمها الإيمان تتخذ شكلاً طائفياً* » .

وقال : « *إن حزب البعث العربي الاشتراكي ، طرح الفكرة القومية وأكد على مضمونها التقدمي القومي الاشتراكي الإنساني العلماني « إن العلمانية مسؤولية فكرية تقف في وجه*

من يحتكر الدين ويحكّمه في جميع مساعي الإنسان، والعلمانية الفلسفية ليست الكفر وهدف كل موقف علمي هو فضح الثوب التنكري التمويهي الذي ارتداه الفكر الإسلامي العربي كما يقول الفيلسوف الجزائري محمد أركون » .

وحمل « العيسمي » على علماء الدين الإسلامي وعلى الدول العربية التي نصت في دساتيرها على أن يكون الإسلام دين الدولة فقال إن التاريخ الإسلامي عرف رجالاً متدينين وعلماء دين زعموا لأنفسهم سلطاناً في التحليل والتحريم، واحتكروا لآرائهم صلاحيات الرأي الوحيد ومن ثم الرسمي للإسلام، إن الدول العربية قد نصّت على أن الشريعة الإسلامية مصدر أساسي من مصادر التشريع، بالإضافة إلى إدخال مادة تعليم الدين إلى المدارس الابتدائية والثانوية وإصدار المراسيم والقرارات المانعة من الإفطار العلني، ومحاربة بعض مظاهر التبذل في اللباس والشراب ومنع الاختلاط بين الرجل والمرأة وتطبيق حد السرقة والزنا .. الخ، وذهب بعضهم بعيداً في مسايرتهم بل قل في استغلالهم، عندما أعلن عن استعداده لتطبيق الشريعة الإسلامية في الحكم ، وإذا كان رجال الدين يعتبرون الأخذ بالقومية العربية والديمقراطية والاشتراكية يفضي إلى العلمانية ويعني تطبيقها ، فنحن علمانيون » .وأشار الفيلسوف « البعثي » يقول : « إن المؤتمر القومي الرابع لحزب البعث أوصى عام ١٩٦٠م على اعتبار الرجعية الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضر.

وقال : « إن حزب البعث ينص على الحريات الفكرية ومنها حرية الاعتقاد باعتباره حزباً قومياً ، وأن الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة للدولة العربية ، لأنها تكفل الانسجام وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية ،وأن التربية يجب أن تستهدف خلق جيل عربي جديد آخذ بالتفكير العلمي طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية ، وان التعليم من وظائف الدولة وحدها » .

وركز « الفيلسوف العيسمي البعثي الملحد » حملة خاصة على دول الخليج العربي بسبب تمسكها بالشريعة الإسلامية وأخذ يستهزئ من هذه الدول فقال : « إن هناك بعض الآراء المبنية على الغلو والتطرف وتنبعث عن سوء نية وهدف خبيث وكلها تنتهي إلى أحكام وتفسيرات غريبة غير مقبولة، قائمة – على حد تعبيره – على التحريف والتأويل . مشيراً إلى المذكرة التي قدمها مجلس الأمة الكويتي عام ١٩٨٤م؟ وحول تعديل الدستور وجعل دين الدولة الإسلام والشريعة الإسلامية مصدر التشريع ، بينما صدرت فتاوى بعدم

شرعية اشتراك المرأة في الانتخابات النيابية » .

وادعى هذا الفيلسوف الملحد « ***أن ولاية الرسول دينية وزعامة روحية ولا شأن لها بالسياسة والدول*** : « ***لذلك إن حزب البعث يعارض قيام الدولة الدينية ويؤيد الدولة القومية، لأن القومية العربية لا تبنى على أساس ديني وهي تقدمية مرتبطة بالاشتراكية والديمقراطية*** ». وعندما تحدث « العيسمي » عن وضع الخوارج في الإسلام أشاد بهم فقال : «إن الخوارج بصورة عامة عُرفوا بأنهم من أكثر الفرق الإسلامية تعبداً وتمسكاً بالعدالة والديمقراطية » .

وقبل أن أخوض في الرد على فلسفة « العيسمي » لا بد من الحديث أولاً عن شخصيته. إن شبلي « العيسمي » كما ذكرت في مقدمة هذا الفصل من محافظة السويداء في جبل الدروز الواقعة في جنوب سورية المتاخمة للأراضي المحتلة وهي منطقة توصل أبناء الطائفة الدرزية في الأراضي المحتلة مع مناطق الشوف في لبنان التي يعيش فيها أبناء الطائفة الدرزية اللبنانية وجميعهم من الفرق الباطنية. وأذكر في هذا المجال أوقع وصف أطلقه فيلسوف « البعث » ميشيل عفلق على شخصية « شبلي العيسمي » إذ قال عنه : إنه «حمار الحزب » وقد سماه بذلك ، لأن دماغه لا يستوعب ، ولا يقوى على التجميع .

والطائفة الدرزية وهي فرع مذهبي جديد ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي منبثقاً عن الطائفة الإسماعيلية أطلقوا على أنفسهم اسم « الموحدين » لكن عامة الشعوب تعرفهم تحت اسم الدروز وهو لفظ مشتق من اسم أحد الدعاة الأولين للمذهب وهو محمد بن إسماعيل الدرزي وهو فارسي الأصل والداعية المشهور هو حمزة بن علي وهو تركي الأصل .

والدروز من الفرق الباطنية المنحرفة التي انتهى بها الأمر إلى الخروج من الإسلام لذلك هم من الباطنيين ، ورغم أن عقائدهم تتضمن تأليه الحاكم بأمر الله الخليفة الإسماعيلي الفاطمي ، فإن الدروز يحاولون العودة بأصول مذهبهم إلى المذاهب والفلسفات والأديان السابقة على الإسلام ويتبنونها جميعاً . ويستمد الدروز عقائدهم من مجموعة من الرسائل تبلغ ١١١ رسالة أطلقوا عليها « رسائل الحكمة » وهي رسائل منسوبة إلى أئمتهم ، كحمزة بن علي، والمقتني بهاء الدين وغيرهما ، وقد أصبحت هذه الرسائل بالنسبة للدروز بعد غيبة هؤلاء الأئمة قائمة بالأمر والنهي ، والتحليل والتحريم .

وعن موقف الدروز من الشريعة الإسلامية يقول حمزة بن علي بضرورة إسقاط التكاليف ونقض الشريعة الإسلامية وهدمها حيث يصف نفسه بأنه هادم القبلتين قبلة بيت المقدس وقبلة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، ومبيد الشريعتين أي انه مبدل لشريعة الإسلام وواضع مكانها شريعة جديدة هي دعوة التوحيد هذه كما يسميها . ويتبين بأن المذهب الدرزي مذهب متكتم وديانة سرية ويقتصر أمر الاطلاع على هذه الديانة ، والاضطلاع بأمورها على طبقة « العُقَّال » ، من شيوخ عقل ومتدينين وينحصر واجب العامة من المؤمنين منهم بأن يؤمنوا ويطيعوا ويقاتلوا .

وبهذه الصورة أعلنت الطائفة الدرزية انسلاخها عن الإسلام وأكد أتباعها أن انتماءهم إلى هذا الدين لا يتجاوز أن يكون انتماءً تراثياً يمثل فيه الإسلام جزءاً من تراثهم العقدي الذي يشمل كل المذاهب والأديان السابقة سماوية وغير سماوية .

وهناك « فيلسوف » يساري ماكر متطرف وهو الدكتور صادق العظم عفواً إنه حقيقة « كاذب العظم » الذي يقول : « ***إن الدين كما يدخل في صميم حياتنا وكما يؤثر في تكويننا الفكري والنفسي يتعارض مع العلم ومع المعرفة العلمية قلباً وقالباً ، روحاً ونصاً .. العلم والعصرية يعنيان مثلاً العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، لأن عقلية الشعب العربي تفضل الاستشارة الصحية الآتية من الشيخ والساحر على مشورة الطبيب الأخصائي ، وتهزه التمتمات الدينية أكثر بكثير مما يؤثر فيها اكتشاف علمي أو أخطر اختراع صيني في العالم ... لذلك – على حد قوله – مما لا شك فيه أن وجود الأنظمة التقدمية والاشتراكية في الوطن العربي هو الثورة على هذا العبء من التخلف الذي حمله الإنسان العربي ، وليس مهادنته ، ومسايرته ، ومماشاته ، والإحجام عن الاجراءات الثورية الاشتراكية الموجهة ضده ، بحجة مراعاة مشاعر الجماهير الدينية*** » .

ويقول الدكتور نديم البيطار وهو « فيلسوف » ملحد يساري آخر في كتابه « من النكسة إلى الثورة » : « ***لبناء الإنسان العربي الجديد ، يجب أن نمسح ماضيه الحضاري الإنساني ، مسحاً كاملاً ، ونبدأ من جديد على أساس علمي ، وعلينا أن نرفض شعار الوحدة الوطنية ضد الغزو الإسرائيلي ، وإننا نفضل الحرب ضد الدول العربية الرجعية على الحرب ضد إسرائيل لأن العدو هو الدين الإسلامي وليست إسرائيل*** » .

وكان « للفيلسوف النصراني البعثي » الدكتور إلياس فرح باع طويل في مهمة التبشير بمبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي في المحافل العربية والدولية . فيقول : « إن ما تتضمنه

إيديولوجية البعث هذه تهدف لكشف أبعاد الانحطاط في هذا الواقع الراهن ، وتحديد مستوى النهضة المطلوبة ، وحوار مع الجماهير العربية ، ***لتحديد دور المرأة النضالي والمعنى التاريخي لنضالها ، في هذه المرحلة ، وهو حوار مع الإنسان العربي ، مع عالمه الداخلي . لذلك إن منابع هذه الإيديولوجية منابع متعددة قد أخذت في فكر البعث شكل عناصر لحوار حضاري داخلي مع التراث ومع العالم*** » .

ومن هذا الشرح الذي قدمه « فرح » يبدو بشكل واضح ان مبادئ «البعث» تنبع من مبادئ متعددة بعيدة عن العقيدة الدينية وبعيدة كل البعد عن التجربة العربية والإسلامية التي عاشها العرب عدة قرون ، والتي كانت كلها مليئة بالحضارات التاريخية النابعة من تراثنا الإسلامي السليم ، هذه الحضارات والتراث الذي أخذ العالم الغربي قسماً مهماً منها وأدخلها في حضارته وفي أنظمته التي طبقها على الشعوب ، وأن كل ما يهم فلاسفة البعث أن ننقل إلى شعوبنا الإسلامية وقائع من التراث التقدمي العالمي الذي ترفضه الشعوب المؤمنة بدينها وأحكامه .

ويقول هذا الفيلسوف في هذا المجال : « ***إن الوحدة العربية ينبغي أن تكون طريقاً للتحرر من التخلّف والحوار الحضاري مع الإنسانية ، إن التخلف الاجتماعي لم يشكل بالرغم من خطورته وأهميته سوى جزء من التخلف الحضاري ، وهو لا يمكن أن يعالج بمعزل عن الحاجة إلى تغيير كلي شامل ، موضوعي وذاتي ... وهكذا كان على البعث أن يميز إلى جانب النواحي الإيجابية في التيارات الإيديولوجية الثلاثة ، الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية ، ما كان يغلب على التيار القومي من نزعة إلى التعصب وعلى التيار الديني من نزعة إلى التحجر وعلى التيار الاشتراكي من نزعة إلى الاغتراب*** » .

لذلك فإن ما أشرنا إليه في مطلع هذا الكتاب عن مراحل الغزو الفكري الذي حمله إلينا دعاة القومية العربية في عالمنا العربي ، عبر مجمل الحركات التي شهدها عالمنا العربي والإسلامي على أيدي فئة من النصارى وبصورة خاصة من الأقليات النصرانية المهاجرة إلى المنطقة العربية والقادمة من الغرب ، والدكتور إلياس فرح هو أحد هؤلاء المبشّرين للقومية العربية الذين يرتبطون بعلاقات وثيقة الصلة بالماسونية العالمية وبهذه المناسبة نذكّر بما سبق أن أعلنه صدّام حسين قبل وقت قصير من عملية غزو الكويت إذ يقول : « لذلك كانت وحدة الإيديولوجية والاستراتيجية والتكتيك من أبرز الأسس التي يقوم عليها فكر البعث . وكان له حرصه الدائم على النظرة الحية والنسبية إلى الأفكار . والأطر التنفيذية ، والعمل السياسي ،

والثورة الاجتماعية ، والنضال الوحدوي ، فقد أكد القائد المؤسس للبعث ميشيل عفلق هذه النظرية في كتاباته الأساس ، وبخاصة في كتابه « في سبيل البعث » .

أما الفيلسوف فرح فيقول : « *وجاءت تجربة العراق ، والقيادة التاريخية التي جسدها صدّام حسين ، لتؤكد هذه السمة المميزة للبعث باعتبارها حركة حوار حضاري في عالم وفي عصر ، يؤكد الحاجة إلى أوسع حوار وأعمقه ولأن واقعهما الراهن يعاني من أزمة حوار ومن أزمة حضارية في وقت واحد ، إن العلمانية التي نطلبها للدولة « البعثية » هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها ، تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع ، كما أنها تعني الأسس الروحية والحقوقية التي تقوم عليها القومية العربية في المستقبل ... والعرب لا يريدون أن تكون قوميتهم دينية لأن الدين له مجال آخر وليس هو الرابط للأمة ، بل هو على العكس قد يفرّق بين القوم الواحد* » .

وتعرض الفيلسوف « فرح » للمفهوم القومي « العلماني » فقال : « *إن التحديد للفرق بين مفهوم الرجعية المعاكس لمنطق الحركة التاريخية للمجتمع وبين مفهوم الثورة الذي يحقق الوثبة المطلوبة التي تحرر المجتمع من عطالة الجمود والتخلف ، والذي تصفه الرجعية بأنه هدم للماضي ، والردّ على هذه المغالطة ، يشكلان مدخلاً لتحديد المفهوم العلماني الذي يحدّد معنى الروحانية ، وينقذه من الاستغلال ومن الضياع ، وعندما تتشوه القيم إلى حد التناقض تصبح الدعوة الروحية الأصيلة هي التي تتحرر من نفسها ، أي من الزيف وتصبح وعاء شفافاً للإنسان الحضاري ، وأن يكون تحررها ، يعني المساهمة الكبرى في تحرير الإنسانية برمتها ، لأن تناقضات العالم بأجمعه تنعكس على واقعها . وهذا ما يفرض على أمتنا مستوى من المجابهة لا يستطيع ان يحققه إلاّ إنسان عربي جديد يحتاج إلى إعداد جديد ، وأجيال عربية مهيأة لدور قيادي تاريخي ، وجماهير معبأة ومدربة ، منتجة ومبدعة ، تتفجر طاقاتها الثورية على شكل ثورة دائمة . فالثورة العربية هي اليوم وارثة للتفاعل الحضاري بين العالمين القديم والحديث* » .

ويتابع الفيلسوف البعثي الملحد القول : « هذا هو المنظور الذي يعمل من خلاله البعث ، والذي يتطلع إلى جعل علم الحضارة أساس الارتفاع بالسياسة إلى مستوى الرسالة وسط عالم ينحدر بها إلى مستوى التحايل على قوانين التاريخ والطبيعة والقيم المميزة للتطور الإنساني ... إنه المخرج الوحيد في هذا الضياع الذي يلف العالم ، *ففكرة البعث منذ البداية*

تدعو إلى حل ثوري جديد لمشاكل العالم ... وتصورها لهذا المستقبل .

ويقول الفيلسوف « فرح » : « *لذلك فإن تحرير المجتمع سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، لا يمكن أن يتم بشكله الصحيح من دون تحرير المرأة ومن دون مشاركتها الكلية في هذه العملية الثورية الشاملة .*

ومن هذه الفلسفة نرى أن مطلب البعث أن تنطلق المرأة العربية من مفهوم الإطار التاريخي العام والتواريخ الخاصة بالأمم كلها وخاصة في الدول الشيوعية العالمية فيقول الفيلسوف : « *والحزب يضع على عاتقه مهمة من أخطر وأكبر المهمات ألا وهي النضال من أجل تحرر حقيقي وجوهري للمرأة العربية ، حتى تكون جديرة بممارسة حقوقها ، التي هي مسؤولية قومية ، وقاعدة انطلاق تقدمية ، ومكافحة العقلية السلبية تجاه المرأة ، والنضال ضد الأطر والتقاليد والعادات المتخلفة ، والوقوف في وجه المفاهيم السطحية الشكلية البرجوازية لتحرير المرأة المنافية لجوانب الإيجابية في التقاليد العربية والمعرقلة في الوقت نفسه لقضية البناء الاشتراكي وربط تحرير المرأة بوجه عام والمرأة البعثية بوجه خاص ، بالثورة ، وبالإسهام في حماية الثورة ، وبضرورة تأهيلها لهذه المهمة* » .

ومن التحليل لهذه الفلسفة يجد الباحث أن هدف تحرير المرأة هو القضاء على الأحكام العائلية العريقة في الإسلام حتى يتاح لها المشاركة في البناء الاشتراكي الذي يدعو إليه حزب البعث . والذي يقوم بمفهوم الحزب على « تعاون حر بين أمم حرة اشتراكية «باعتبار ان تصور الحزب لثورة القومية العربية قام على اساس أنها ثورة إنسانية في فكرتها وفي آثارها العملية في نطاق الوطن العربي» . وبصورة أوضح ان فلسفة البعث هذه انما تعنى « الحرية الإباحية للمرأة في المخالطة مع الرجال كما نشاهد في العالم الغربي وفي العالم العربي الاشتراكي كالعراق وما يتبع ذلك من أمور إباحية جنسية أخرى بعيدة عن التربية الإسلامية » .

هذا وإن القيادة البعثية في العراق قد شكلت الاتحادات النسائية في أرجاء البلاد بهدف الإباحية الجنسية وتفشي الرذيلة أما الدول الاسلامية فإنها تشكل الجمعيات النسائية بهدف المساهمة منها في توجيه المجتمعات النسائية لتقديم العون للأسر الإسلامية والمشاركة في بناء الدولة التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية السمحة .

إن النظام العراقي بقيادة صدّام حسين التكريتي إنما يدعو بصورة رسمية للإباحية الجنسية للترفيه عن القوات العراقية بواسطة الاتحاد النسائي العراقي لقاء مكافأة لكل فتاة أو امرأة تنفذ هذه المهمة التي تولاها نادي الصيد العراقي والموثقة بكتاب رسمي صدر عنه

بتاريخ الرابع من حزيران « يونيو » ١٩٨٢م وهو كتاب «سري للغاية » عمم على الاتحادات النسائية في العراق . حيث يقول الكتاب تحت عنوان : « م/ حفلة ترفيهية ساهرة».

نهديكم أطيب التحيات ، سوف يقام حفل ترفيهي ساهر خاص في نادي الصيد العراقي بمناسبة ١٧ تموز العظيمة يشترك فيه عدد من الفنانين والفنانات ويحضره عدد من ضباط الجيش الأشاوس في الجبهة ، *فيرجى إعلامنا فيما إذا كان عدد من أعضاء اتحادكم ممن ترغب بحضور هذا الحفل الترفيه عن ضباطنا الأشاوس وممن لا يمانعن من البقاء إلى وقت متأخر من الليل دون صحبة ذويهن ليتسنى إعداد ما يقتضيه الموقف وسوف تمنح مكافآت مغرية جداً لهن وسوف نعلمكن بالموعد المضبوط مع الشكر والتقدير* . قام بالتوقيع على الوثيقة (فيطو التكريتي) رئيس مجلس ادارة نادي الصيد. رَ : « صورة زنكوغرافية لنص الكتاب في المكان المخصص للوثائق من هذا الكتاب »

قال الله تعالى في كتابه العزيز : « ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً »سورة الإسراء ، الآية : (٣٢) وقال الله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » سورة النور ، الآية : (٢).

إن الدين الإسلامي كان ثورة من أجل التغيير الاجتماعي والفكري الشامل عند العرب ، وان الإسلام كان منذ انطلاقة مشروع الدولة الاسلامية يرفع مقياس الإيمان بالله وبالشرائع السماوية فوق مقياس الفروق الاجتماعية ... لقد كان الدين الإسلامي الدستور السليم الذي رسم للأمة العربية والإسلامية وللعالم أجمع الطريق الصحيح وطريق الصواب نحو المجتمع الفاضل الأمثل .

لقد صدرت التعليمات الحزبية بمنع ارتداء المرأة العراقية لغطاء الرأس حتى لا يكون ذلك تقليداً للمرأة المسلمة ، وتولى المسؤولون الحزبيون في الدوائر الحكومية والاتحاد العام لطلبة العراق في الجامعات والمعاهد تنفيذ التعليمات بأنفسهم وتهديد من ترفض الالتزام بذلك التوجيه الحزبي بالطرد من العمل أو التعليم مع ما يمثله هذا السلوك من انتهاك صريح للحريات الشخصية ، وحرمة المرأة بصفة خاصة داخل المجتمعات العربية والإسلامية ، وهذه الحملة الهستيرية البعثية قد ذهبت إلى أبعد من ذلك حينما تطاول المسؤولون البعثيون على السيدات المصريات العاملات في العراق بمطالبتهن بنزع غطاء الرأس تنفيذاً لتعليمات الحزب .

* * *

العلمانية..في ميزان العقيدة الإسلامية

في هذا الباب ومايليه أشرح للقارئ الكريم مبدأ العلمانية الملحدة ، ومن خلال ذلك يمكن الرد على « فلاسفة الأحزاب العلمانية الاشتراكية » .

إن العلمانية تعني حرفياً في قاموس اللغة « الدنيوية » أو المذهب الدنيوي فصل الدين عن الدولة ، أو فصل الدين عن الحياة ، وقيام الدولة على أسس دنيوية لا دينية ، تتمثل هذه الأسس في العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة الحزبية في مختلف شؤون الدولة وقد تبلورت العلمانية في الدعوة الصريحة التي تطالب بها الاحزاب الاشتراكية الملحدة إلى وضع دستور الدولة على القانون الوضعي .

ويقول الإمام « ابن القيم » الذي عاش في المرحلة الحرجة التي تلت سقوط « بغداد » واكتساح التتار للرقعة الإسلامية (وقد توفي ٧٥١ هـ) . « وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة ، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل . وكل ذلك تقسيم باطل ، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل كل ذلك ينقسم إلى قسمين : صحيح وفاسد فالصحيح قسم من أقسام الشريعة لا قسيم لها والباطل ضدها ومنافيها . وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها وهو مبني على حرف واحد وهو عموم رسالته صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالنسبة إلى ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم وأنه لم يحوج أمته إلى أحد بعده وإنما حاجتهم إلى من يبلّغ عنه ما جاء به ، فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق اليهما تخصيص : عموم بالنسبة إلى المرسل اليهم ، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج اليه مَن بعث اليه في أصول الدين وفروعه . فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا ، فلا يخرج أحد من المكلفّين عن رسالته ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به .

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً ، وعلّمهم كل شئ حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب والركوب والنزول والسفر والإقامة والصمت والكلام والعزلة والخلطة والغنى والفقر والصحة والمرض وجميع أحكام الحياة والموت .

ووصف لهم العرش والكرسي والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه حتى

كأنه رأي عين : وعرَّفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، وعرَّفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم ، وعرَّفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرِّفه نبي لأمته قبله ، وعرَّفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أحوال الموت وما يكون بعده من البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرِّف به نبي غيره ، وكذلك عرَّفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والردّ على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده ، اللهم إلا من يبلغه إياه ويبيّنه ويوضح منه ما خفي عليه .

وكذلك عرَّفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدو أبداً .

وكذلك عرَّفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مكايد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيده ومكره وما يدفعون به شره ما لا مزيد عليه ، وكذلك عرَّفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكمائنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه.

وكذلك عرَّفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة . « وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم إلى أحد سواه ، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها ؟ ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده ، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك ، وقلة نصيبه من الفهم الذي وفق الله أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به واستغنوا به عما سواه وفتحوا به القلوب والبلاد وقالوا : هذا عهد نبينا إلينا وهو عهدنا اليكم » .

فالإسلام هو دين التوحيد الخالص وقد أنزله الله تعالى لتحرير العباد وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبادة الله وحده وطاعته دون سواه في التلقي والاتباع ، في المنهج والسلوك ... قال الله تعالى : « ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفرِ بعد إذ أنتم مسلمون » سورة آل عمران، الآيتان : (٧٩ و ٨٠).

إن نص هاتين الآيتين أمر صريح قاطع فيما يتعلق بصرف أي نوع من أنواع العبادة الكثيرة لغير الله ، كائنا من كان ... ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو طاغوتاً متألهاً ، فالأمر كله سواء ، كله كفر ... وهذا هو الفارق الجوهري الأول في المسألة بين الإسلام والنصرانية المحرفة ، فوجود هيئة كهنوتية تشرع لخلق الله امراً أو نهياً في العقيدة أو الفروع هو شرك أكبر بالله تعالى ، فالسلطة الكهنوتية لا وجود لها في الإسلام لا بالشكل الذي عاشته أوروبا النصرانية ولا بغيره .

وهنا نقول لا مجال للمقارنة بين الشرك الذي ترتكبه المجامع النصرانية ومجالس الكرادلة وغيرها وبين الاجتهاد الذي يباح لمن كان أهلاً له من علماء المسلمين ، فالاجتهاد هو استنباط ونظر في النصوص الشرعية الموحاة قرآناً أو سنة وليس تشريعاً مستقلاً كما هو الحال في القرارات الكنسية . ثم إن الاجتهاد لا يعدو كونه رأياً فردياً لا عصمة فيه من الخطأ ولا يلزم احداً اتباعه بل يحق لأي انسان أن يخالفه ما دامت المخالفة تتمشى أيضاً مع روح الشريعة ومدلولات النصوص. والقاعدة المشهورة . « كل يؤخذ من قوله ويردّ ، إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهي عبارة قالها كثير من العلماء واتفق عليها الأئمة الأربعة وغيرهم ولا يخالف فيها إلا من خلع ربقة الإسلام بالكلية كغلاة الروافض .

وهناك فارق جوهري آخر في الأمر هو أنه لا واسطة بين الله وخلقه في الإسلام على الإطلاق ، اللهم إلا أن الرسل صلوات الله عليهم يبلغون عن الله تعالى ، والعلماء يبلغون عنهم وقد يسمون وسطاء بالنظر إلى ذلك أما التوسط بمعناه الذي تولته الكنيسة النصرانية فهو في دين الله شرك أكبر ولا وجود له تاريخياً .وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر » .

إن الإسلام ليس فيه شئ اسمه رجال دين أصلاً بل ان هذه الكلمة المحدثة لا يستعملها الا مغرض ومضلل أو ساذج مخدوع ، فالتصور الإسلامي أساساً يرفض فكرة وجود أشخاص أو مجالات دنيوية لا علاقة لها بالدين ، أو دينية لا علاقة لها بالحياة ، بل هو يجعل النفس البشرية ومثلها الحياة البشرية وحدة متناسقة ويخاطبها على هذا الأساس ويربطها بالله تعالى مباشرة في توحيد خالص مجرد فقد قال الله تعالى : « واذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » سورة البقرة ، الآية : (١٨٦) . وقال سبحانه : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله

فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون» سورة آل عمران ، الآية : ١٣٥ . فأين هـــذه الآيات من تعاليم النصرانية المحرّفة التى تقضي بأن يجلس المذنب على كرسي الاعتراف أمام عبد مخلوق مثله يقر له بذنوبه ويلتمس منه المغفرة والرضوان ؟ .

ان الطغيان الكبير الذي مارسته الكنيسة وكان أحد أسباب العلمانية في الغرب لا وجود له في تاريخ الإسلام ؛ فليس في الإسلام طغيان ديني ، ولا طغيان سياسي ، ولا طغيان اقتصادي ، ولا طغيان فكري وعلمي ، ولا طغيان مالي .

لقد قال أحد الكتاب الفرنسيين فى مؤلف له: «إن العالم جرب الرأسمالية فوجد ما فيها من نواقص ومثالب وأخطاء ، وجرب الشيوعية ووجد ما فيها من تحطيم وهدم وفساد، فلم يبق أمام العالم اليوم إلا أن يتلمسوا في التشريع الإسلامي ما ينقذهم من المأزق الذي هم فيه».

إن هذه الشهادة تصدر من غير مسلم وعلينا أن نؤكد ونستفيد مما تحويه عقيدتنا الإسلامية وتشريعنا الإسلامي ، وفي ذلك حفاظ على مصالح الأمة الإسلامية في دينهم وعقيدتهم . إن من يقول إن التشريع الإسلامي تنقصه أشياء مثل التنظيم الاقتصادي ، أو التنظيم الاجتماعي ، أو التنظيم التعاوني بين الناس فهو جاهل في ذلك ، إن هذه الامور قد نظمها التشريع الإسلامي وهناك العديد من الناس لم يصلوا إلى فهم حقيقة هذا التشريع السماوي وهذا ليس عيب التشريع الإسلامي وإنما عيب المسلمين أنفسهم ، لذلك من الواجب السعي لتفهم شريعتنا وأن نطبق كل ما يرد فيها وبهذا نضمن مصلحة شعوبنا وأمتنا الإسلامية في كل ما يخطر على قلب بشر .

إن الله تعالى مَنَّ على البشرية بالإسلام منة عظيمة إذ حررها من جميع السخافات وأنزل شعائر هي في غاية الحكمة والسمو والاتساق مع العقل والفطرة ، شعائر لا غموض فيها ولا تمتمات ولا أسرار مقدسة .

أما مسألة انتشار العلمانية في العالم العربي والإسلامي فإن ذلك ناتج عن تأخر الأمة الإسلامية وانحطاطها في القرون الأخيرة ، منذ أن ظهرت وانتشرت القوميات في المنطقة تأسياً بما كان يسود القارة الأوروبية ، وقد ساعد على انتشارها الانحراف عن فهم الإسلام نفسه وانحسار مفهوماته التصورية في معان ضيقة ومدلولات محدودة ، كما ساعد على انتشار العلمانية بروز القيادات العسكرية الديكتاتورية التي ألغت المحاكم الشرعية وأحلت القوانين الوضعية محلها ، وأول بلد اسلامي بدأ فيه الغاء الشريعة الإسلامية كما يقول

الأستاذ ابو الأعلى المودودي هو الهند ، فحتى عام ١٧٩١م كانت الشريعة الإسلامية هي القانون العام فيها حيث لا تكاد جيوش الاحتلال تضع أقدامها على أرض اسلامية حتى تبادر بإلغاء الأحكام الشرعية وإحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها فالغيت الشريعة في الهند ولحقت بها بعد ذلك تونس والمغرب أما في سورية والعراق فقد تأخر إلغاء الأحكام الشرعية في مطلع القرن الحالى إلى أن الغيت الخلافة العثمانية ودخلت القوات الفرنسية إلى سورية والقوات البريطانية إلى العراق.

ومنذ احتلال القوات الأجنبية للمنطقة العربية بدأت هذه القوات بالقضاء على التعليم الإسلامي والأوقاف الإسلامية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وقد وضعت المخططات لتقليص التعليم الديني تدريجياً واحلال التعليم اللاديني محله ، وأسهم الحكم العسكري في دول المنطقة إسهاماً كبيراً في عملية تقليص التعليم الديني والسماح باختلاط الجنسين في مراحل التعليم حتى الجامعة وساعد ذلك على بثّ روح العلمنة والإلحاد والانحلال الخلقي في المجتمعات العربية والاسلامية ، وتّم تقليص التعليم الإسلامي في الأزهر ومعاهده وعلى كتاتيب القرآن في العالم العربي وحوربت المعاهد المختصة في تعاليم الشريعة الإسلامية ، وقد اصطنع العملاء من أبناء المسلمين وطوائفهم للقيام بأعمال تبشير المسلمين بواسطة عميل منهم ومن بين صفوفهم لأنه لايمكن اقتلاع الشجرة إلا بغصن من أعضائها يُهَزُّ فتهتز الشجرة كلها ولايزالون يتابعون العمل حتى تجتث الشجرة من أصولها وجذورها . وقامت الحركات والمبادئ الشيوعية والاشتراكية والبعثية بدور هدّام في تشويه تاريخ الإسلام وحرصت هذه الحركات والفرق المنحرفة بفروعها المتعددة على تجديد الغزو الفكري البائد الذي نظمته الطوائف الصليبية بحجة إظهار التاريخ الحضاري للعرب ضعيفاً ضحلاً أمام الحضارات الأخرى .ثم مدوا آثار تلك الحضارات إلى العصر الحاضر فأدى ذلك كله إلى زعزعة إيمان بعض المسلمين وتثبيط هممهم ، وتم أيضاً تسخير أجهزة الإعلام المختلفة وإنشاء مراكز الفساد تحت ستار الترفيه أو الفنون .

وهنا أقول : لـ « فلاسفة الأحزاب العلمانية » بأن العقيدة الإسلامية الخالصة قد اشتملت على كل خصائص العدالة المطلقة . ويمكن أن يستشف ذلك من مضمون ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فقد خطب موصياً مودّعاً المسلمين وابتدأ في ذلك بقوله سبحانه وتعالى : « يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير سورة

الحجرات، الآية : (١٣) . لقد أرسى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم هذه القواعد الثابتة عندما أقام نظاماً للحياة سوّى فيه ما بين أشراف قريش من سادة العرب وبين سلمان الفارسي ، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي ، بل سوّى أيضاً بين أحرار العرب وسادتهم، وبين الأرقاء المعتقين من مختلفِ الشعوب والأقوام ، وغذّاهم بالحب المتبادل ، وقال في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وشرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع الخصائص الكثيرة من خصائص الإسلام الانسانية العالمية : وقال : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ». وقال الله تعالى :« إن الدين عند الله الإسلام » وقال عزّ وجلّ : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من، الخاسرين سورة آل عمران ، الآيتان : (١٩ و ٨٥) .

إن الإسلام لجميع الأمم سواء فيهم الغني والفقير ، فهو ليس احتكاراً لأحد ، لا لفرد ولا لجماعة ، ولا لشعب ولا لبلد ، إنما هو دين الله سبحانه وتعالى بعث به نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فمن أطاع الله سبحانه وتعالى ، واتبع شريعته ، ونفذ أوامره ، واجتنب نواهيه ، فهو المقدم والفائز على من سواه ، أما من تنكّر لذلك وأعرض عنه ، واستبدل به أي شكل من الأشكال فهو عند الله سبحانه وتعالى ، مخذول مقصى عن رحمته ، وهذا أكبر عقاب يمكن أن يطبق على بشر . قال تعالى : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » « قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً » ، « قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » سوره طه الآيات : (١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦).

لقد حدد الإسلام الأسس الثابتة التي يقوم عليها المجتمع مراعاة لشعور الآخرين لا سيما مايتصل باللباس والحشمة بينما يعتبر « الفيلسوف » الدرزي العيسمي وفرح وغيرهما من البعثيين أن اللباس والحشمة ومظاهر اللهو والابتذال وتحريم الإفطار العلني في رمضان ومنع المشروب المسكر في الحفلات الرسمية ومنع اجتماعات الجنسين الذكور والإناث من الأمور الجزئية والبسيطة. . .بينما هذه الأمور بمجموعها من القضايا الأساسية في الإسلام ، فالحشمة باللباس هي من صفات المرأة المسلمة الملتزمة بعقيدتها ، وأما تحريم الإفطار العلني في رمضان فلأن صوم رمضان ركن أساسي من الأركان الخمسة التي قام عليها الاسلام.

وهنا أقول « للفيلسوف » الدرزي العيسمي إن القانون المدني للأحوال الشخصية في الكثير من الدول العربية والإسلامية قد وضع في عهود الاحتلال الأجنبي لتلك الدول ، وتعتبر

المملكة العربية السعودية الدولة الوحيدة التي لم تضع مثل ذلك النظام باعتبار أن دستورها هو القرآن الكريم نصاً وروحاً ويشاركها في ذلك دول الخليج العربي ، لذلك فإن الدول التي وضعت مثل هذا القانون انما فرض عليها فرضاً من دول الاحتلال للتقليل من أهمية الدين الإسلامي رغم معارضة علماء الدين الإسلامي لهذا القانون الوضعي لذلك كان أكثر القضاة الشرعيين يصدرون أحكامهم من فتاواهم المنسجمة مع العقيدة الإسلامية .

ومما يدل على انفتاح العقيدة الإسلامية على الديانات السماوية الأخرى ما شهده العالم الأوروبي في عام ١٩٧٤م عندما جرى حوار مفتوح بين فريق من كبار علماء المملكة العربية السعودية وبين آخرين من كبار رجال الفكر والقانون في أوروبا حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام وقد عقدت ندوات علمية في كل من الرياض وباريس والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في جنيف والمجلس الأوروبي في ستراسبورغ فقد اطلع الوفد الاوروبي المسيحي على جوانب العقيدة الإسلامية مدعمة بالنصوص القرآنية الصريحة والكثيرة فأكد فريق علماء المملكة : « أن الإسلام أسمى من ميثاق حقوق الإنسان ، وأكثر استيعاباً ، وأبقى على الزمن لأن مصدره إلهي » .

وخلال الندوة الإسلامية المسيحية التي عقدت في مقر الفاتيكان كان قد حان وقت صلاة الظهر فطلب وفد العلماء السعوديين إيقاف أعمال الندوة بعض الوقت ليتاح لأعضاء الوفد تأدية الصلاة وقد أعدت قاعة خاصة في الفاتيكان أدى فيها الوفد الصلاة فكانوا محل احترام وتقدير من قداسة بابا الفتيكان ومن أعضاء الندوة المسيحيين في أن يمارس الوفد الإسلامي فريضة الصلاة في الفاتيكان .

إن الشريعة الإسلامية حفظت حقوق الإنسان في الإسلام . كما نصت هذه الحقوق على «عدم التمييز في الكرامة وفي الحقوق الأساسية ما بين إنسان وآخر» بسبب العرق ، والجنس ، أو النسب ، أو المال عملاً بقول رسول الإسلام : « لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » والنداء بوحدة الأسرة الانسانية ، والدعوة إلى التعاون بين الشعوب على ما فيه الخير ، وتقديم جميع أنواع البر إلى جميع بني الإنسان دون النظر إلى جنسيتهم أو دينهم .

لقد حرمت الشريعة الإسلامية العدوان على مال الإنسان وعلى دمه ، عملاً بقول رسول الإسلام : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » وحصّنت الشريعة البيت لحماية حرية الإنسان

عملاً بما جاء في القرآن الكريم : « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلمّوا على أهلها » سورة النور ، الآية : (٢٧)٠

وضمنت الشريعة الإسلامية « التكافل بين أبناء المجتمع في حق كل إنسان في الحياة الكريمة والتحرر من الحاجة والفقر بفرض حق معلوم في أموال القادرين ليصرف لذوي الحاجة على اختلاف حاجاتهم » عملاً بما جاء في القرآن الكريم : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وفرضت العلم على كل مسلم من أجل القضاء على الجهل ، عملاً بقول رسول الإسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ٠ مع فتح آفاق السماء والأرض للنظر فيها والنفاذ اليها عملاً بقول القرآن الكريم : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات والنُذُر عن قوم لايؤمنون » سورة يونس، الآية: (١٠١). وأمكنت الشريعة فرض العقوبة على الممتنعين عن واجب التعلم والتعليم ، وهذا ما لم تصل إليه حقوق الإنسان في أية دولة حتى اليوم ، وذلك نتيجة لفرض التعليم على كل مسلم ٠

وهناك كثير من النصوص التشريعية الإسلامية التي لا تحصى لحماية حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية ، ولم يتخذ الإسلام من هذه النصوص مجرد مواعظ أخلاقية ، بل أوامر تشريعية ، وأقام إلى جانبها جميع النصوص التشريعية اللازمة لضمان تنفيذها ٠وهكذا جزم بعض العلماء المسلمين كما قال ابن قيم الجوزية وهو من كبار علماء الشريعة : « أينما كانت المصلحة فثم شرع الله » ٠

فعالم الإسلام يجب أن يكون قادراً على مسايرة تطورات الزمن المتجددة وأن يجيب في ضوء المصلحة عن كل مسألة من مسائل الأحكام الدستورية ، والمدنية ، والجزائية ، والشخصية التي لا نص فيها ٠إن الدين في مفهوم الدول الغربية كما أحصاها علماء الغرب بلغ مائة تعريف وقد أسقط العلماء ثمانية وتسعين منها لأنها غير علمية ، واعتمدوا على اثنين فقط وهما :

أولاً – «الدين هو الطريقة التي يحقق بها الإنسان صِلاته مع قوى الغيب العلوية » ٠

ثانياً – « الدين هو ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلم » ٠

وهذا يدل على أن الإسلام ليس من النوع الذي عَرفه الغربيون ؛ فالإسلام يتناول في آن واحد كل معلوم يتعلق بصلات الإنسان مع قوى الغيب العلوية ، وكذلك صلات الإنسان مع الإنسان ... قال الله تعالى في كتابه العزيز : « ونفصّل الآيات لقوم يعلمون » ٠ وتارة قال : «لقوم يعقلون » وتارة قال : « لقوم يتفكرون » ومعنى ذلك ان الدين في القرآن الكريم هو ما

يتفق مع العلم والعقل والتفكير . لهذا لا بد من التمييز في الشريعة الإسلامية بين الأحكام المتغيرة وبين القواعد العامة التي لا تقبل التغيير ولا التبديل والتى اعتبرها القرآن الكريم من هذه الناحية دستور الدولة الإسلامية ، ونظامها الأساسي في الشريعة الإسلامية ، وتبنى عليه كل أحكام الشريعة التفصيلية ، كما هو المفهوم في الشرائع الوضعية حيث يكون لها دستور في قواعده العامة من ناحية الحقوق الأساسية فلا تغيير فيه ولا تبديل ، ثم يكون لها أحكام قانونية تفصيلية تطبيقاً لها على قواعد الدستور العامة وتظل شريعة الله فوق المقابلة والموازنة مع التشريع الوضعي لأنه تشريع بشري .

ومن هذه القواعد العامة في القرآن أيضاً اعلان كرامة الناس أجمعين من غير تمييز ما بين إنسان وإنسان إلا بتقوى الله ، وإعلانه أن الناس جميعهم أسرة واحدة من أب واحد ، ومن أم واحدة ، وان إلههم إله واحد ، وأن الله إنما جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا وليتعاونوا في كل ما فيه خيرهم ، لا ليعادي بعضهم بعضاً ، أو ليحتقر بعضهم بعضاً ، أو ليظلم بعضهم بعضاً . ومعنى ذلك أن القرآن الكريم لا يقبل أيضاً بشكل من الأشكال ، ومهما تغيرت الظروف والأسباب أن تلغى هذه القاعدة في وحدة الأسرة الإنسانية بل يجب أن تبقى أساساً للتعارف والتعاون وعدم التمايز ، ولا يجوز أن يأتي أحد فيقيم مكانها قاعدة التمايز العنصري البغيض .أما ما يتصل بالتطبيقات للأحكام التفصيلية على تلك القواعد العامة، فهي وحدها التي قد تتغير فيها الأحكام تبعاً لتغيرات المصالح والأزمان . وكل ذلك ـ سواء فيه القواعد العامة أو الأحكام التفصيلية ـ يتفق كما ذكرناه من قبل مع قواعد العلم والعقل والتفكير .

والأمر المهمّ والخطير الذي تعرض إليه « فلاسفة » البعث العلمانيون الملحدون كان يتصل بموضوع المرأة في الإسلام وربط تحرير المرأة بوجه عام والمرأة البعثية بوجه خاص «بالثورة» وبالإسهام في حماية « الثورة » وبضرورة تأهيلها لهذه المهمة .

وقبل الخوض في هذا الموضوع الحساس وفي دور المرأة في الإسلام نقول لهؤلاء «الفلاسفة» إن مطلب حزب البعث بالنسبة للمرأة له ابعاد خطيرة من شأنها تحريض المرأة على التمرّد على المجتمعات والتقاليد العربية الأصيلة ومن شأن ذلك إضافة نوع جديد لأنواع تهديم البيت والمجتمعات الإسلامية المحافظة تلك الأنواع الخبيثة التي سعى إليها حزب البعث منذ نشأته حتى الآن بهدف تحطيم الأخلاق العامة .

إن « نظرة الإسلام إلى المرأة على أنها إنسان » تنطلق فيها من قول الله تعالى : « لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض » سورة آل عمران ، الآية: (١٩٥) ..

ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما النساء شقائق الرجال » وفي هذا القول الوجيز منتهى الوضوح في وحدة بني الإنسان بنوعيه من ذكور وإناث في حقوق الإنسان وهذا النص النبوي الصريح يعني في معانيه السامية مساواة المرأة للرجل في انسانيتها وفي حقوقها وهذه قضية تدعمها النصوص القرآنية الكثيرة بصراحتها منها :

أولاً – وحدة خلق الإنسان بنوعيه من نفس واحدة كما جاء في مطلع سورة النساء من القرآن الكريم : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منها رجالاً كثيراً ونساء» .

ثانياً – وحدة ما على النساء من حقوق نحو الرجال ، وما على الرجال من حقوق نحو النساء ، إلا ما جعل للرجال من حق في رئاسة الأسرة وتحمل مسؤولياتها في الإنفاق ، لما بني عليه تكوين الرجال من خصائص تجعلهم في الأصل أرجح في حمل هذه المسؤولية الاجتماعية الثقيلة ، عملاً بقول القرآن الكريم : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » أي من الحقوق «وللرجال عليهن درجة » سورة البقرة ، الآية: (٢٢٨)، وعملا بقوله : « الرجال قوامون على النساء » بالرئاسة والإنفاق « بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» سورة النساء ، الآية :(٣٤).

إن نظرة الإسلام إلى المرأة تدرك ابعادها في إعلان « مساواتها » للرجل في «الحقوق» وفي « الإنسانية » وفيما حققه الإسلام للمرأة من معاني الكرامة والحرية وفيما قد حققه للمرأة من إنجازات تاريخية تشريعية جذرية كاملة.

لقد انتقل الإســـلام بوضع المرأة من الحضيض إلى أعلى عليين ، بل قفز بها من العدم إلى الوجود ، ومن الشك في إنسانيتها إلى كامل إنسانيتها ، ومن منتهى المهانة إلى أعلى الكرامة ، ومن فقدان الأهلية إلى كامل الأهلية . لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى حتى في أهلية الولاية لكل منهما على الآخر ، فقد جاء في القرآن الكريم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »سورة التوبة ، الآية :(٧١) . بل ذهب الرسول الكريم في رفع شأن المرأة إلى أبعد مما يُتصوّر فقدم الأم في الكرامة والبر على الأب حين سأل سائل : « يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي ؟ قال أمك قال : ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أبوك ... » وفي حديث آخر عن رسول الإسلام قال فيه : « إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم . ثم يوصيكم بأمهاتكم . ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب » وقال أيضاً « الجنة تحت أقدام الأمهات ».

فكانت المرأة قبل الإسلام عاراً يحرص بعض أوليائها الذكور على التخلص منها بوأدها « حية ساعة ولادتها » ، « بسبب جنسها وضآلة كسب الرجل في الحياة » وقد دوى صوت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وحده لأول مرة في التاريخ وقبل منظمات الأمم الحديثة ومواثيقها في حقوق الإنسان ووضع مشكلة المرأة ، في مقدمة مشكلات الإنسان . قال الله تعالى في كتابه العزيز : « وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » «يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون» سورة النحل ، الآيتان : (٥٨، ٥٩). وقال الله تعالى عن وأد الوليدة حية ساعة ولادتها : « وإذا المؤودة سئلت » «بأي ذنب قُتلت » سورة التكوير، الآيتان(٨ و ٩). وقال الله تعالى: « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم » سورة الإسراء ، الآية : (٣١).

وبذلك وضع نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم حداً لقتل البنات حين ولادتهن ولهذه الآثام الإجرامية التي كانت في عهد الجاهلية ..

لقد انطلق الإسلام في نظرته إلى المساواة بين الجنسين في « حقوق الإنسان » الأساسية والطبيعية ، وذلك في « الكرامة الإنسانية والأهلية الحقوقية » ... فهو انطلق ايضاً بنفس النظرة إلى المساواة بين الجنسين في « الواجبات » فيما قد عهد به إليهما بالجملة على السواء من : الخلافة على الأرض ، وعمارتها ، وعبادة الله فيها ... وأن على كل منهما واجبه ودوره الذي لا بد منه لإقامة المجتمع الإنساني الكامل ، وأنهما في دوريهما متكاملان لا متنافسان ، وملزمان لا متطوعان. وأن للإسلام « اخلاقيات أسرية » يحرص عليها من أجل سلام الأسرة ، وهذه الاخلاقيات الإسلامية لا تنسجم أبداً مع بعض الأخلاقيات السائدة في المجتمعات الغربية ، وفي المجتمعات العقائدية والأفكار والمبادئ القومية والبعثية ، وقد أدت تلك الأخلاقيات المنحرفة في مجموعها إلى إنحلال اخلاقي وإضعاف لروابط الأسرة ، وامتهان لقدسيتها وسلامتها ، وامتهان لدور الأمومة ومكانها في الأسرة . ويؤكد ذلك ما قالته السيدة (مونيك بيليتيه) وزيرة الشؤون النسائية الفرنسية سابقاً في عهد الرئيس الفرنسي (جيسكار ديستان) : «إن احتقار الحياة العائلية هو احتقار للمرأة والرجل على حد سواء».

وتعتبير تجربة المملكة العربية السعودية للمرأة نادرة المثال ، فقد اتاحت لها كامل الفرص للتعليم في كافة مراحله بما لا يتعارض مع الدين الإسلامي والتقاليد الاجتماعية ، وفي دور الفتاة المسلمة في المجتمع الإسلامي ، واستطاعت أن تبلغ بها كافة المراحل في إطار من تعاليم الدين بعيدة عن مزالق الاختلاط التي لا تحصى، وذلك مما أثار إعجاب المسلمين ، فتولت المرأة السعودية العمل في مجالات تنسجم مع مقتضيات الشريعة الإسلامية مثل عمل

التدريس والطب والصيدلة والأمور الصحية والخدمات الاجتماعية كما ساهمت المرأة السعودية في قيام الجمعيات الخيرية النسائية لتولي رعاية الأسرة وتقديم العون والمساعدات والمهمات الإنسانية التي يتطلبها المجتمع السعودي .

* * *

نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع : للشيخ عبدالعزيز بن باز .

إن الواجب على أبناء الإسلام بدلاً من التحمس لمبادئ «البعث» والمناظرة لفيلسوف «البعث» ميشيل عفلق وللأحزاب الاشتراكية والشيوعية الأخرى ، أن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام وتعظيمه في قلوب الناس ، وأن يجتهدوا في نشر محاسنه وإعلان أحكامه العادلة وتعاليمه السمحة صافية نقية من شوائب الشرك والخرافات والبدع والأهواء .. ، إن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة ، بل جاءت النصوص تنهي عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك ، لاريب أن الدعوة إلى القومية كما قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية (١) حفظه الله:

«إن الدعوة إلى «القومية العربية» من أمر الجاهلية لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق ، وكم جرّت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة وقودها النفوس والأموال والأعراض ، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب .. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن في نسب أو مجلد أو جنس أو مذهب أو طريقة ، فهو من عزاء الجاهلية ، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري ، وقال الأنصاري: ياللأنصار ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » وغضب لذلك غضباً شديداً..» .

وقال سماحته: «إن الدعوة إلى القومية العربية أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف في القول وأنواع في الخيال وأساليب من الخداع.. إن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات ، دعوة باطلة وخطأ عظيم ومنكر ظاهر

---

(١) نقد القومية العربية « على ضوء الإسلام والواقع » تأليف عبدالعزيز بن باز، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة : ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله .. إن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم ، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً ، فكرة باطلة ، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه .. إن أول من دعا إلى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير «التنصير» في سورية ليفصلوا الترك عن العرب ويفرقوا بين المسلمين ، إن خصومنا وأعداءنا لا يسعون في مصالحنا بابتداعهم الدعوة إلى القومية العربية ، وعقد المؤتمرات لها ، وابتعاث المبشرين بها ، لا والله ، إنهم لا يريدون بنا خيراً ولا يعملون لمصالحنا ، وإنما يعملون ويسعون جاهدين لتحطيمنا وتمزيق شملنا والقضاء على ما بقى في ديننا.. إن الدعوة إلى القومية العربية إساءة إلى الإسلام وإساءة إلى العرب أنفسهم وجناية عليهم عظيمة لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر .. وشرفهم الأعظم ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم ، فكيف يرضى عربي عاقل بدعوة هذا شأنها وهذه غايتها ؟! ولقد أحسن الكاتب الإسلامي الشهير أبوالحسن الندوي في رسالته المشهورة الصريحة حيث يقول :

«فمن المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة ، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم ، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات ، إنها جريمة قومية تبذ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة ، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ ، وإنها خطوة حاسمة مشؤومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي ..» «فتأمل أيها القارئ كلمة هذا العالم العربي الحسني الكبير (١) الذي قد سبر أحوال العالم وعرف نتائج الدعوة إلى القوميات وسوء مصيرها ، تدرك بعقلك السليم ما وقع فيه العرب والمسلمون اليوم في فتنة كبرى ومصيبة عظمى بهذه الدعوة المشؤومة . وقى الله المسلمين شرها ووفق العرب وجميع المسلمين للرجوع إلى ماكان عليه أسلافهم المهديون ، إنه سميع مجيب ..» .

وأضاف سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يقول : «من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية : هو أنها طريق إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين في المسلمين وغيرهم . . وليس

---

(١) هو أبو الحسن علي الندوي الحسني سليل بيت النبوة.

للمسلمين أن يوالوا الكافرين ، وعلى زعماء القومية العربية ودعاتها أن يحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشؤومة وغاياتها الوخيمة .. ولو كانت الدعوة إلى القومية يراد منها نصر الإسلام وحماية شعائره لكرّس القوميون جهودهم في الدعوة إليه ومناصرته وتحكيم دستوره النازل من فوق سبع سموات ، ولبادروا إلى التخلّق بأخلاقه، والعمل بما يدعو إليه ، وابتعدوا عن كل ما يخالفه ، لأنه الأصل الأصيل والهدف الأعظم .. لو كان دعاة القومية يريدون بدعوتهم إعلاء كلمة الإسلام واجتماع العرب عليه ، لنصحوا العرب ودعوهم إلى التمسك بتعاليم الإسلام وتنفيذ أحكامه .. إن دعوة القومية العربية كما يدعي فلاسفتها بأنها الرابطة الأولى بين العرب ، دعوة باطلة لا أساس يؤيدها لا من العقل ولا النقل، بل هي دعوة جاهلية إلحادية يهدف دعاتها إلى محاربة الإسلام والتملص من أحكامه وتعاليمه .. ومن أعظم الظلم وأسفه السفه أن يقارن بين الإسلام وبين القومية العربية وكيف يليق في عقل عاقل أن يقارن بين قومية ، وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان ، دعاته وأنصاره هم محمد رسول الله وأبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وغيرهم من الصحابة صناديد الإسلام وحماته الأبطال ومن سلك سبيلهم من الأخيار؟ لا يستسيغ المقارنة بين قومية هذا شأنها وهؤلاء رجالها ، وبين دين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعاته ، إلا مصاب في عقله ، أو مقلد أعمى ، أو عدو لدود للإسلام ومن جاء به . وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلا مثل من قارن بين البعر والدر ، أو بين الرسل والشياطين .. ثم كيف تصح المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار ، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم ، في دار الكرامة والمقام الأمين ؟» .

وقال سماحته : «إن الذي ينكر اليوم ويستغرب صدوره عن كثير من أبناء الإسلام من العرب انصرافهم عن الدعوة للإسلام هذا الدين العظيم الذي رفعهم الله به ، وأعزهم بحمل رسالته ، وجعلهم ملوك الدنيا وسادة العالم ، لما حملوا لواءه وجاهدوا في سبيله بصدق وإخلاص ، حتى فتحوا الدنيا ، وبعد هذا الشرف العظيم والنصر المؤزر من المولى سبحانه لعباده المؤمنين من العرب وغيرهم ، نرى نفراً من أبنائنا يخدعون بالمبادئ المنحرفة ويدعون إلى غير الإسلام ، كأنهم لم يعرفوا فضل الإسلام وما حصل لأسلافهم بالإسلام في العزة والكرامة والمجد الشامخ والمجتمع القوى .. فصار هؤلاء الأبناء يدعون إلى التكتل والتجمع حول القومية العربية ، وعرف أن غرض الكثيرين منهم أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع ، ومن تلك الأمور : فصل الدين عن الدولة ، وإقصاء أحكام الإسلام

عن المجتمع ، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى ، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة ــ لا بلّغهم الله مناهم ــ ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طرباً ، ويساعد على وجودها ورفع مستواها ــ وإن تظاهر بخلاف ذلك ــ تغريراً للعرب عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم ، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم .. ونظام القومية يقول : كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم ، والله يقول : ***«شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه سورة الشورى، الآية (١٣) ...» ويقول سبحانه :« قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم، والذين معه إذ قالوا لقومهم: إنا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» سورة الممتحنة، الآية: (٤)*** وقال تعالى : ***« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم »*** سورة المجادلة، الآية: (٢٢) وشرع القومية ، أو بعبارة أخرى شرع دعاتها يقول: اقصوا الدين عن القومية ، وافصلوا الدين عن الدولة ، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم ، وكأن الإسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم ، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية ، سبحانك هذا بهتان عظيم » .

وتساءل سماحته قائلاً : «كيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبوجهل وأبولهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث واضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يومنا هذا إخواناً وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم من العرب إلى يومنا هذا .. هذا والله من أبطل الباطل وأعظم الجهل . وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه وإن أنكره بعض دعاتها جهلاً أو تجاهلاً وتلبيساً، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. وقد أوجب الله على المسلمين أن يتكاتفوا ويتكتلوا تحت راية الإسلام ، وأن يكونوا جسداً واحداً وبناءً متماسكاً ضد عدوهم ، ووعدهم على ذلك النصر والعز والعاقبة الحميدة كما قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا..» سورة النور، الآية: (٥٥). .

وقال سماحته أخيرا : «لا يشك مسلم له أدنى بصيرة بالتاريخ الإسلامي في فضل

العرب المسلمين وما قاموا به من حمل رسالة الإسلام في القرون المفضّلة ، وتبليغه لكافة الشعوب والصدق في الدعوة إليه ، والجهاد لنشره والدفاع عنه ، وتحمّل المشاق العظيمة في ذلك ، حتى أظهره الله على أيديهم وخفقت رايته في غالب المعمورة ، وشاهد العالم على أيدي دعاة الإسلام في صدر الإسلام ، أكمل نظام وأعدل حاكم ، وجدوا في الإسلام تنظيم حياة سعيدة تكفل لهم العزة والكرامة والحرية من عبادة العبيد ، وظلم المستبدين ، والولاة الغاشمين، وجدوا في الإسلام تنظيم علاقتهم بالله سبحانه : بعبادة عظيمة تصلهم بالله ، وتطهّر قلوبهم من الشرك والحقد والكبر ، وتغرس فيها غاية الحب لله وكمال الذل له والتلذذ بمناجاته ، وتعرفهم بربهم وبأنفسهم ، وتذكّرهم بالله وعظيم حقه كلما غفلوا أو كادوا يغفلون، وجدوا في الإسلام تنظيم علاقتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وما ذا يجب عليهم من حقه والسير في سبيله ، ووجدوا في الإسلام أيضا تنظيم العلاقات بين الراعي والرعية ، وبين الرجل وأهله ، وبين الرجل وأقاربه ، وبين الرجل وإخوانه المسلمين ، وبين المسلمين والكفار ، وغير المسلمين ، بعبارات واضحة وأساليب جليلة ، ووجدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة وأتباعهم بإحسان تفسير ذلك بأخلاقهم الحميدة وأعمالهم المجيدة ، فأحب الناس الإسلام وعظّموه ودخلوا فيه أفواجا، وأدركوا فيه كل خير وطمأنينة وصلاح وإصلاح ».

* * *

فئات «مشبوهة» توقع الفرقة بين المسلمين؟

يواجه المسلمون في هذه المرحلة عودة العلمانيين بأسلوب جديد من خلال ظهور فئات مشبوهة تدعي الإسلام ، إلا أنها تروج للشعارات «القومية» البالية الجوفاء، التي طواها الدهر في العقود الماضية، وتبذل تلك الفئات كل جهد في سبيل الدعاية للمبادىء «العلمانية الملحدة» هذه المبادىء التي رفضتها الشعوب العربية والإسلامية من قبل.

وتطالب هذه الفئات الحديثة بالغاء المحاكم الشرعية وتبديلها بمحاكم مدنية مثل «الزواج المدني» في محاولة للتشويش على العقيدة الإسلامية السمحة، لمواجهة الخصوم من رجال العلم والمعرفة وعلماء الدين الإسلامي بواسطة إقامة المهرجانات في بعض المساجد اللبنانية لتفتيت الرأي بين أصحاب العقيدة بطريقة تخدم من خلالها مصالحها السياسية المشبوهة.

لقد ظهرت على الساحة اللبنانية في السنوات الماضية طائفة بزعامة «عبدالله الهرري

الحبشي» حبشي الجنسية وقد سبق له أن أقام في سورية في عقد الستينيات وقام بتصرفات مشبوهة ولاحقته السلطات السورية خلال العهد الوطني وأخرج من دمشق بسبب انحرافاته المشبوهة وإساءته لمفهوم العقيدة الإسلامية. بعد ذلك أقام في لبنان والاردن وظهر من جديد مروجاً بأسلوب غير صحيح يتنافى والعقيدة الإسلامية السمحة التي أنزلها الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . ويحاول نشر المبادىء «العلمانية» التي أحبطت ودفنت في العقود الثلاثة الماضية، لأن مقاصدها جوفاء لا تؤيدها العقيدة السمحة.

ان هدف الفئة الضالة استمالة المشاعر الدينية لدى الناس، وايقاع البلبلة في صفوف المسلمين . بعد أن أعلنت أمام مؤيديها عن تكفير أئمة الإسلام الأوائل تغمدهم الله بالرحمة وفي مقدمتهم الإمام بن تيمية والإمام ابن القيم وسيد قطب وغيرهم الذين كان لهم الفضل في ترسيخ الجهود لإظهار العقيدة الإسلامية على حقيقتها بالوجه الصحيح دون أي تحريف أو تزييف ، حمى الله أمة الإسلام من أمثال هؤلاء من جماعة «الأحباش» الذين يحاولون فرض الهيمنة على الطائفة الإسلامية السنة في لبنان والاردن وفي بلدان عربية أخرى عن طريق الفرقة والتجزئة بين المسلمين.

وقد حذر علماء لبنان من أفكار وأعمال جماعة «الأحباش» الذين يضللون الناس عن سبيل الله ، ويفتعلون الحوادث ضد الوسط الإسلامي السني من خلال مزاعم تقلل من أهمية العقيدة الإسلامية وادعاءات كاذبة لاسيما وقد زعموا بأن القرآن الكريم ما هو إلا كلام لجبريل عليه السلام ولم يكن من وحي الله عز وجل، كما أجاز هؤلاء أخذ الربا من البنوك، وعدم دفع الزكاة على الأموال الورقية بل دفعها على الذهب والفضة فقط ، كما أجازوا لعب الميسر «القمار».

وزاد هؤلاء في ضلالهم بعد أن أجازوا أن يصلي الرجل مع النجاسة، كما حضوا على السماح لأن تخرج المرأة من بيت زوجها رغماً عن إرادته وهي متطيبة ومتزينة وكاشفة لبعض مفاتنها.

وأوضح علماء الإسلام في لبنان أن جماعة «الأحباش» يحاولون استقطاب الشباب بمفاهيم بعيدة كل البعد عن شريعة الإسلام وتعاليمه وتشويه صورته الواضحة من خلال أفكار منحرفة ، وقد أخذت هذه الجماعة «الملحدة» تعبث فساداً في الوسط الإسلامي في لبنان،

وتزرع الخوف والرعب في نفوس المصلين، لاجبارهم على ترك المساجد في طرابلس وبيروت لغير المسلمين السنة ليرتاد المساجد جماعة «الأحباش».

إن هذه الجماعة «الملحدة» كما وصفها الشيخ محمد رشيد قباني القائم باعمال الإفتاء في لبنان ، بانها جمعيات سياسية وأحزاب تحت لباس الدين ، وهي تحظى بدعم أجنبي لتمزيق الشعب اللبناني المسلم السني باسلوب يتنافى مع أسس وفضائل العقيدة الإسلامية.

وقد قال الله تعالى وهو عزّ من قائل : « والذين اتخذوا مسجداً اضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفّن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » ، «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين » سورة التوبة، الآيتان: (١٠٧ و ١٠٩).

وقال العزيز القدير : « قل انفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين». سورة التوبة ، الآية : (٥٣) . « الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» سورة فصلت ، الآية : (٧) .

وقال رب العزة والجلال : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وأتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » سورة الأحزاب ، الآية : (٣٣).

وفي ضوء ما يتعرض إليه المسلمون الآن من أساليب «علمانية » جديدة أقول لهؤلاء «العلمانيين » بأن الرد القاطع على جماعة «الأحباش» وغيرهم من الفئات الضالة والمشبوهة هو ما أشار إليه ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز مع نهاية العام الميلادي ١٩٩٣م في محاضرته التي ألقاها في جامعة اكسفورد بدعوة من مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية تحت عنوان : «الإسلام وعلاقته بالغرب» والتي حضرها ما يزيد على ٥٠٠ شخصية إسلامية عالمية وعدد من رجال الدين المسيحي في بريطانيا وأوربا.

فقد هاجم ولي عهد بريطانيا سوء التفاهم بين الغرب والدين الإسلامي بسبب إساءة الغرب لفهم الإسلام وقال : « بامكان الإسلام أن يرشدنا اليوم إلى طريقة لفهم عالمنا والعيش في هذا العالم الذي تضاءلت فيه المسيحية بعد أن فقدته ، إن الإسلام جزء من ماضينا

وحاضرنا في سائر ميادين السعي البشري ، لقد ساعد الإسلام المتسامح على تكوين أوروبا الحديثة، وقد أصبح من تراثنا وليس بمعزل عنا، فالإسلام في جوهره يحتفظ بنظرة مدمجة ويرفض أن يفصل بين الإنسان والطبيعة أو بين الدين والعلم ، أو بين العقل والمادة، إن القاعدة المرشدة وروحانية الشريعة الإسلامية التي ينص عليها القرآن الكريم أساسها الرحمة والعدل ، إن العمق الحقيقي للحياة يوجد في مكان آخر الا وهو في الجوهر الحقيقي للإسلام ».

إن هذه الشهادة الواضحة والنادرة الصادرة من ولي عهد بريطانيا ، ملك بريطانيا مستقبلا، والذي يعتبر في الوقت نفسه رئيساً للكنيسة الانجليكانية «الكنيسية الرسمية للمملكة المتحدة » هذه الشهادة التي يشيد فيها بالعقيدة الإسلامية، إنما عبر فيها على الحكمة والقول الصادق وأجدُها رد على جميع الفئات المضللة سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة لأن في عملها ومبادئها المشبوهة إنما تعمل على تمزيق الشعوب الإسلامية وبث الفتنة صراحة بين الأمة الإسلامية بهدف سياسي خسيس للنيل من العقيدة السماوية التي أنزلت على سيد المرسلين وخاتم الأنبياء الصالحين محمد صلى الله عليه وسلم .. ان الحقيقة التاريخية التي لا تقبل الإنكار أو الشك أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعد تشريفه بالنبوة لم يقصر عمله على تبليغ القرآن من عند الله وكفى، بل كان يقود حركة عامة شاملة نتج عنها قيام مجتمع مسلم ، كان أيضاً زعيماً معيناً من قبله تعالى، وحاكماً ومعلماً يجب على المسلمين اتباعه وطاعته ، وأن حياته نموذج على المسلمين أن يحتذوه.

لذلك ان العلمانية والاشتراكية في الحقيقة هي أسوأ شكل من أشكال الظلم الاجتماعي لم يظهر مثله في زمن النمرود ، ولا في عصر فرعون أو جنكيزخان . فأي عاقل هذا الذي يرى العدالة الاجتماعية في قيام شخص أو بضعة أشخاص بتأليف «فلسفة اجتماعية» وفرضهم هذه «الفلسفة» بالقوة على سكان دولة بأكملها.. ان الدستور القرآني الكامل لو طبق فسوف تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ليس بعدها عدالة ، ولو تم تنفيذه فلن يستطيع أحد ايقاع المسلمين في خدعة استيراد «الاشتراكية» و «العلمانية» من الخارج والزعم بانها عين الإسلام. لذلك لا مكان في الإسلام لإنسان أو مجموعة بشرية تخترع بعقلها فلسفة للعدالة في الحياة الإنسانية ، ثم تجعل نفسها سلطة قيمة على تنفيذها وفرضها على الناس بالتهديد والوعيد . وتُسْكِتْ جيمع الأفواه، وتُخْرِسْ كافة الألسنة.

* * *

العقيدة الإسلامية محور حياتنا ومجتمعاتنا

ان ثوابت رسالة الإسلام عالمية وإنسانية ، ايمانية بالله العزيز خالق السموات والأرض، لا إكراه فيها، ولكن ضمن عقيدة يلتزم بها الجميع ، لا خيار فيها ، لأن الخلق كلهم عيال الله ، وأن أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، وكلهم مسؤولون عن ذلك مسؤولية لا مناص منها، وهي بذلك نقلة من قومية الأديان المتناحرة إلى عالمية الإسلام الإنسانية لأمم متعارفة ، من أجل السلام في الأرض وعدم الإفساد فيها، لذلك فهي دعوة عالمية إنسانية للتعارف والتعاون على الخير فيما بين مختلف الأمم والشعوب والأوطان والأديان السماوية ، من أجل حياة كريمة طيبة للجميع لا تمايز فيها، وان الخطاب في هذه الدعوة والعقيدة إنما هو للعقل ، وأن الحوار فيها إنما هو بالعلم وبلغة الحياة بالقول الحسن . لأن استقرار الأمة الإسلامية أساسه الإيمان الصادق برب العزة والجلال والتفهم الصحيح للعقيدة السماوية ، ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور .

ونحمده تعالى بأن المجتمع السعودي تميز بالطاعة لرب العزة والجلال ، ولنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كل فرد في المملكة العربية السعودية يحس أنه مكلف بطاعة الله وتنفيذ أوامره ، ولم يحدث في غير المجتمع الإسلامي ، أن قام مجتمع بأسره على أساس الايمان الجاد بالتعليمات الالهية ، وهو الايمان الذي رسخ في أعماق النفس، واستقر في اعماق الضمير .

إن فهم الشريعة الإسلامية ، ركن من أركان النهضة الإسلامية الكبرى، وفهم القيادة السعودية لها، يكمن في العناية بدراستها وتدريسها في التعليم المدرسي في الابتدائي حتى مراحل الجامعة، لأن تنفيذ احكام الشريعة الإسلامية نتيجة لمقدمة هي فهمها على حقيقتها باستيعاب وايمان.

فالعقيدة الإسلامية دين المحبة، دين القوة ، دين الاخوة، دين العلم ، دين الفضيلة، ودين التقدم ، لم تبق فضيلة ولا مكرمة الا دعا اليها التشريع السماوي ، ولم تبق رذيلة الا حذر منها، إن القرآن الكريم الذي تفتخر القيادة السعودية أن يكون دستورها الأول والأخير في جميع أمورها معاملاتها ، قد اشتمل على سائر مطالب الحياة البشرية من تقدم وتثقيف وعلم ومعرفة، فالمعرفة دائما دليل الخير، والتقدير والاعجاب والاقتناع بما كرم الله كل انسان

في هذه الحياة.

والتاريخ السعودي حافل بما بذلته الأسرة السعودية وبما قدمته من غال ونفيس في القرون الماضية ، منذ أن تحمل الامير محمد بن سعود « أمير الدرعية» عام ١١٥٧هـ الموافق ١٧٤٤م مسؤولية الدفاع عن الإسلام ونشر الدعوة إليه، وهي الدعوة التي نادى بها الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ومن ذاك التاريخ وآل سعود يتكبدون في سبيل الدعوة الإسلامية اقسى ما تكبده انصار الإسلام في سبيل نشر العقيدة الإسلامية ، لأن أمامنا الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يتطرق في دعوته الصحيحة للإسلام إلا بما نص عليه القرآن الكريم ، وما تأكد في السنة النبوية المطهرة ، وأيضاً ما ثبت من تصرف السلف الصالح الخلفاء الراشدين، وأصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، ومنذ التاريخ الذي اجتمع فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع الأمير محمد بن سعود تم الاتفاق بينهما على التمسك بالتوحيد وإقامة حكم شرع الله على أرض الجزيرة العربية في ترسيخ مبادىء الإسلام الصحيح في الدولة السعودية الأولى، وتبقى هذه المبادىء إلى أن تقوم الساعة بإذن الله.

والمركز الديني الكبير الذي تتمتع به المملكة العربية السعودية هو ما يجعلها تتحمل المسؤولية الأولى ، باعتبارها في العصر الحديث التي اثبتت بما لا يدع للشك أن بناء الدولة على المنهج الإسلامي المتكامل، كفيل بنجاحها وتقدمها والسير في الطريق الصحيح، كما أن أنظمتها لا تتعارض مع نظام الدولة الأولى للإسلام في عهد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمملكة تؤدي واجباتها تجاه اخوان لها تربطها روابط كثيرة ومتعددة في مجال العقيدة الإسلامة والدعوة اليها، وقد انفقت المملكة العربية السعودية خلال عشرين سنة أكثر من ٧٠ مليار من الدولارات تعادل ٦٪ من دخلها القومي كمساعدات واسهامات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية والاسلامية.

ويتبين في كل ذلك ان القيادات السعودية انما تؤدي فريضة شرفها الله بها على أساس الدين، والقيام بنشر الدعوة بين الناس، متسابقة في تقديم كل عون انساني للعالم اجمع.

ونظراً لهذه المسؤولية الكبرى الملقاة ، على عاتق القيادة السعودية أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رعاه الله بإقامة مجلس أعلى للشؤون الإسلامية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير

الدفاع والطيران لخدمة الأقليات الإسلامية أو الدول الإسلامية في ارسال الوفود والوعاظ والمرشدين أو جمعيات إسلامية تساعد وتعني بها بعض الجهات الحكومية في خدمة الإسلام من بناء مساجد أو مدارس لتحفيظ القرآن الكريم وما شابه ذلك.

ويكرس المجلس الأعلى الجهود لخدمة الإسلام والمسلمين وجميع الأقليات الإسلامية دون أن يكون هناك تدخل في شؤون الدول لأن مثل هذا التدخل غير مرغوب في قيادة المملكة وفي سياستها الراسخة التي تقوم على أن التعامل الإسلامي والمبادىء الإسلامية هي الحسنى والتعامل العقلاني هو الذي يوصل محبة الأخ المسلم لأخيه دون أن يكون هناك تأثير على سياسة الدول أو لأغراض سياسية تصب في التدخل بشؤون تلك الدول وأن لا تكون مثل هذه المساعدات لتستخدم يداً هدامة للدول الأخرى، وقد كان اختيار خادم الحرمين الشريفين لمعالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي لتولي أمور وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، من الأمور الحكيمة التي يتميز بها الملك المفدى رعاه الله ، ولا سيما أن معالي الدكتور التركي له اسهامات كبيرة في سبيل الدعوة الإسلامية ، من خلال مسؤولياته في المناصب الكبيرة التي أسندت اليه في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية ، ومنذ أن تولى العمل في هذه الوزارة أخذ يبذل كل جهد وعطاء في سبل الأهداف والمبادىء التي تطلع إليها خادم الحرمين الشريفين لتسهم الوزارة في تأدية مسؤلياتها نحو العقيدة الإسلامية السمحة. والعمل على تصحيح مسار الإنسانية في الدول الإسلامية الأخرى، ورسم طريق المستقبل لها بهدى من الشريعة الإسلامية.

لقد ركز معالي الدكتور التركي في مسؤولياته في الوزارة على دور المملكة العربية السعودية باعتباره الدور الأول في نشر الدعوة الإسلامية لان في مفهوم السياسة الإسلامية للقيادة السعودية ، ان الدين أساس عقلي ونفسي للإنسان المسلم، بينما المنهج الغربي يقوم علي تهميش الدين وتقليل أثره في بناء الإنسان في الغرب.

واحدثت المملكة العربية السعودية ٢٠ مركزا عالميا للدعوة في سبيل الله ، كما أن هناك أكثر من ٢٠٠٠ داعية يعملون في العالم لخدمة تصحيح مسار الدعوة الإسلامية.

إن المملكة العربية السعودية التي شرفها الله وأنعم عليها بوجود اقدس البقاع وأطهرها قد فرض عليها ان تبذل كل غال ورخيص لتكون أمينة مخلصة للعمل الإسلامي وقد قامت بهذا

العمل دون منة على أحد، بل ايمانا منها بواجبها الديني والاخلاقي والإنساني تجاه الأخوة الاشقاء لتحقيق الأمن والرخاء، وكل ذلك لوجه الله وحده، واكراماً للمقدسات الإسلامية في هذه الأراضي المقدسة.

إن العالم الغربي يستفيد من قواعد شريعتنا الإسلامية ويضعها في دساتيره ، وكان نابليون بونابرت قد استفاد من مبادىء العقيدة الإسلامية ، حينما حضر الى مصر واختلط بعلماء المسلمين ، واطلع على قواعد الشريعة الإسلامية فاتخذ منها بعض المبادىء وبنى عليها نظامه ودستوره ، ولا تزال كثير من الأمم تأخذ من التشريع الإسلامي ، وتستنبط منه دساتيرها وقوانينها.

وعلى العالم الإسلامي أن يفتخر ويعتز بأن عقيدته الإسلامية هي الأساس. وصالحة لكل مكان وزمان، وتفيدنا في كل ما نشرع وفي كل ما نتجه إليه في حياتنا ومجتمعاتنا.

* * *

الوثيقة الدامغة والمؤامرة على الخليج العربي !!!

بعد تحليل عميق لمضمون إصدارات « فلاسفة البعث » عن أهداف وخطط صدّام حسين التكريتي في المنطقة العربية، هذه الإصدارات التي بدأت تنتشر في المكتبات العربية وبصورة خاصة في الدول المؤيدة أو الموالية لنظام حاكم العراق مثل الأردن واليمن والسودان والجزائر وتونس وغيرها يجد المحلل العلمي أن التخطيط الفعلي للمؤامرة «العراقية» في غزو منطقة الخليج قد بدأت عندما طلبت القيادة البعثية العراقية من المجمع العلمي العراقي التحرك على النطاق العربي عن طريق جامعة الدول العربية لعقد ندوات فكرية ثقافية في كل من العراق والأردن ولبنان ومصر ، لمناقشة موضوع « اللغة العربية والوعي القومي » بدافع رئيسي من مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ، على اعتبار أن الدكتور سعدون حمادي رئيس الوزراء العراقي السابق كان المسؤول الأول عن الإشراف على المركز في عام ١٩٨٣م وكانت هذه الدعوة دعوة مبّطنة من حمادي للدخول في نقاشات أوسع لها علاقة صميمة في موضوع القومية العربية بشكلها التفصيلي .

وتلبية لتلك الدعوة « التآمرية » عقدت الندوة الأولى في إطار المجمع العلمي العراقي في بغداد وبإشراف مركز دراسات الوحدة العربية بشكل أساسي ونشير في هذا المجال إلى أن الدكتور سعدون حمادي شيعي وبعثي قديم وأحد « فلاسفة البعث » البارزين الملحدين وقد أقيمت الندوة الأولى في الفترة بين ٢٨ و ٢٩ أيلول « سبتمبر » ١٩٨٣م وشارك فيها معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية .

ووجه سعودن حمادي الدعوة لعموم المثقفين العرب لإثارة التفكير مجدداً بالقومية العربية لأنها بحاجة إلى توضيح تفصيلي فيما يتعلق بالتعريف وتوضيح جوهر الفكرة.

وتحدث عن أفكاره « البعثية » لخطة عمل المستقبل لتحقيق الدولة القومية – وهي الدولة « البعثية » التي يرغب تحقيقها البعث – فقال : « إن البلاد العربية مجزأة ووجودها مهدد وقضية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مأزق ، والتجزئة فاشلة في الدفاع عن الوجود ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية غير ممكنة في ظل هذا الوضع .

وقد تحمس كُتّاب القومية العربية من نصارى وخوارج ودروز وغيرهم من الطوائف الأخرى لتجديد البحث في القومية العربية ووجد هؤلاء أن هذه الفكرة تنظمهم بصفتهم مواطنين لتخطي حاجز العقيدة الإسلامية وأنها تذيب التعدد المذهبي والطائفي

والعنصري في إطار القومية العربية.

وفي أواخر الثمانينيات شنّ الرئيس صدّام حسين التكريتي حرباً نفسية ودعائية استهدفت تضخيم قدراته العسكرية لإرهاب الدول الخليجية ، وقد ادعى أن قوته العسكرية تفوق دول المنطقة وأن ترتيبها هو الرابع عالمياً، واستمر حاكم العراق في الحرب النفسية بهدف زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة.

إن الزلزال الكارثة المتمثل في الغزو العراقي لدولة الكويت الذي حدث في الساعة الثانية من صباح يوم الخميس الثاني من آب « أغسطس » ١٩٩٠م قد أحدث هوة سحيقة وشرخاً عميقاً في نسيج التضامن العربي ..إن الزلزال الكارثة قد ذهب ضحيته حسب التقديرات نحو مليون عربي عراقي بين قتيل وجريح وهذه التقديرات مجرد احصاءات غير رسمية لأن العراق لم يعلن عن حقيقة خسائره وعلى عادة النظام الثوري إخفاء الحقائق عن الشعوب وهذا ما فعله العراق الذي لم يكشف خسارته البشرية ولا خسارته المادية وقد كانت فادحة بسبب تدمير أكثر من ٧٥٪ من تسلحه العسكري والاقتصادي وكانت خسارة الدول العربية الخليجية أيضاً فادحة بسبب ما تعرضت له الثروة النفطية من الإهدار الناجم عن إشعال منابع النفط في دولة الكويت وأيضاً ما لحق بالكويت من تدمير في منشآته الاقتصادية ومرافقه العامة ، والتبعة المباشرة في كل تلك الخسائر البشرية الفادحة تقع على النظام العراقي بشخص صدّام حسين وكذلك الخسارة المادية الكبيرة لدول الخليج تقع على حاكم العراق .

لقد كان حاكم العراق يرغب من وراء فعلته الشنيعة في تغيير مفاهيم الدول العربية والسيطرة على منابع النفط في منطقة الخليج ليثبت ديكتاتوريته بأن العراق هو القوة التي تفرض شروطها على العالم ، وفرض نفوذ أكبر داخل منظمة الأوبيك باعتبار أنه يعرف أن سبب وجوده على رأس الحكم في العراق هو النفط العراقي عندما قام عام ١٩٦٨م بعملية « سمسرة » نفطية مع الشركات النفطية البريطانية والأمريكية على ثروات العراق النفطية وحصل على عمولات كبيرة.

إن حكم الفرد هو السر وراء تخلّف الأمة ، ووراء تحريك الجيوش في الاتجاه الخاطئ، ووراء تبديد الثروات في غير ما أحل الله الانتفاع بها فيه ، ووراء إقصاء العقيدة عن حكم الأرض .

وتحت ادعاء مختلق بقيام ثورة مزعومة في الكويت أمر صدّام حسين قواته العسكرية بالدخول إلى الكويت وكانت بداية المأساة وأصدر عدد كبير من دول العالم بيانات تستنكر

العدوان العراقي وتعلن تأييدها لحكومة الكويت الشرعية ، وتطالب بانسحاب القوات العراقية فوراً ، وأصدر مجلس الأمن في اليوم نفسه قراراً دان الغزو العراقي للكويت وطالب بسحب العراق جميع قواته فوراً دون قيد أو شرط ، كما أصدر مجلس جامعة الدول العربية في اليوم التالي لاحتلال الكويت قراراً دان العدوان العراقي على دولة الكويت ، ورفض أية آثار مترتبة عليه ، ولم يعترف بتبعاته ، واستنكر المجلس سفك الدماء في الكويت وتدمير المنشآت ، وطالب العراق بانسحاب فوري وغير مشروط .

وتوالى صدور القرارات الرادعة من منظمة المؤتمر الإســـلامي والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومؤتمر القمة العربية ، والجمـــاعة الأوروبية والمجلس الوزاري لدول مجلس التعاون الخليـجي ومجملها تطالب العراق بسـحب قواته فوراً من الأراضي الكويتية ، ولكن ـ وأسفاه ـ ثم وأسفاه استمرّ حاكم العراق بتعنته ومواقفه المتصلبة ولم يقبل الوساطات العربية والدولية جميعها ، وهذا فضل كبير من العلي القدير لانه ـ في تقديري ـ لو انســحب العراق من الأراضي الكويتية بإرادته تنفيذاً للوســـاطات لكـان قد عاد الكرّة ثانية واحتل الكويت لمرة أخرى لأن مخططه البعثي أكبر وأعظم من احتلال دولة صغيرة مسالمة وديعة ، فالمخطط البعثي ـ كما ذكرت ـ هدفه السيطرة على العالم العربي لاقامة دولة البعث .

وبعد أن تحررت دولة الكويت شجب العالم أجمع ادعاءات حاكم العراق من أن الكويت ما تزال المحافظة التاسعة عشرة من العراق وعادت إلى سيادتها واستقلالها ، كما عاد شعب الكويت الأصيل إلى وطنه وداره ... كما عادت أسرة آل الصباح إلى زعامة الكويت وتكشف للعالم أجمع خرافة الحقوق التاريخية للعراق في دولة الكويت .

وفي الموعد المحدد من قبل مجلس الأمن الدولي وهو منتصف ليلة ١٦ – ١٧ كانون الثاني « يناير » ١٩٩١م قامت « عاصفة الصحراء » بالمهمات الموكولة اليها من قيادة القوات المشتركة ونفذتها وفقاً للمخططات المرسومة وارغمت الجيش العراقي على الاستسلام والانسحاب من الكويت رغم أنف حاكم العراق بعد أن نقلت المعركة إلى داخل العراق وتمزق الجيش العراقي وأصبح في حالة ارتباك شديد . فكانت إرادة الله أن ينتصر الحق وأن يزهق الباطل ، وترغم قوات الحكم « البعثي » العراقي المعتدية على الانسحاب القسري من الأراضي الكويتية يوم ١٣ شعبان ١٤١١ هـ الموافق ٢٧ شباط « فبراير » ١٩٩١م .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : « ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءُ وهم

بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »سورة الروم . الآية : (٤٧).

وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قائد هذه المعركة الشجاعة التي تداخلت فيها الأمور ، واختلطت المفاهيم ، واكتنفتها عوامل ومعطيات شتى ، لقد نهض الملك فهد بمسؤولياته الثقيلة بكل قوة ، واتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب ، وبذل جهداً تاريخياً في إدارة الأحداث المتلاحقة السريعة التي بدأت منذ الدقائق الأولى لغزو الجيش العراقي لدولة الكويت ، واستمرت حتى خروج المعتدي الظالم ، إذ تجمعت في المناطق الحدودية من المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية ، قوات من أكثر من ٥٤ دولة تمثل القارات الخمس منها ١٧ دولة عربية وإسلامية و٣٧ دولة أجنبية غربية وشرقية وبلغ مجموع هذه القوات مجتمعة أكثر من سبعمائة ألف جندي ، لمساندة القوات المسلحة السعودية ، وقوات مجلس التعاون ، في وقفتها ضد العدوان ، بهدف تحريز الكويت التي اغتُصبت ظلماً وعدواناً . وقد أسهمت هذه القوات بمجموعها في إرساء قواعد مفاهيم « العالم الجديد » بصورة عملية ، وهي أن زمن الاجتياح والغدر ، والاحتلال قد ولَّى ، وانه لا يسمح لأي لص غادر يعبث في ظلام الليل – بعد الآن – أن يفوز بغنيمته ، بل لا بد له أن يعيدها إلى أهلها راغماً سلماً اذا أراد السلم ، وحرباً إذا رفض الانصياع للإرادة الدولية .

لقد شهدت حرب الخليج أذكى وأقوى الأسلحة بالنسبة للحروب العالمية السابقة التي شهدها العالم لما فيها من تقنية عسكرية متطورة جداً فقد تم تجريب أحدث أنواع السلاح ، فقد تحولت الحروب الحديثة إلى لعبة إلكترونية تديرها الأزرار ، فحققت قوات تحالف الشرعية الدولية انتصاراً سيبقى محفوراً في الذاكرة لأجيال عديدة ، لقد استمرت الحرب أربعين يوما ولكن الحرب الفعلية دامت مائة ساعة فقط من بدء الحرب البرية إذ مهدت قوات التحالف في الأيام الأولى معتمدة على القصف الجوي المدمر لقدرات العراق العسكرية ، وبسبب غطرسة الديكتاتور حاكم العراق مُني الجيش العراقي كما مُني شعب العراق خسائر كبيرة جعلت الجيش العراقي في أتون عاصفة تتقاذفه من كل جانب لايدرى كيف السبيل إلى النجاة بعد أن أحكمت القبضة فانهار مترنحاً متخبطاً لايلوى على شيء .

* * *

الإسلام : دين ودولة

قبل بدء عمليات « عاصفة الصحراء » بُذلت وساطات عربية عديدة من قبل بعض القادة العرب من أجل عقد اجتماع بين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وصدّام حسين بعد أن تأزم الموقف بسبب رفض حاكم العراق لجميع المساعي لينسحب من الكويت بشرفه فكان الملك فهد يجيب عن كل وساطة بذلك بقوله : على صدام أن ينسحب من الكويت بدون قيد أو شرط وعندها يمكن نجتمع على كيفية حل مشكلة الحدود. وصدرت عن الملك فهد في تلك الفترة وقبل تنفيذ قرار مجلس الأمن القاضي باستعمال القوة لطرد العراق من الكويت ، صدرت تصريحات عديدة كان يحذّر من خلالها حاكم العراق من الاستمرار في عناده ٠ وقد كشف خادم الحرمين الشريفين مخطّطات النظام العراقي في المنطقة العربية ومطامع حكم صدّام حسين «البعثي» في العالم العربي ووصف حاكم العراق بأنه رجل مستبدّ ٠ وقال : « إن الحكم في العراق يريد أن يفرض مبدأً معيناً ويريد أن يسيطر على إخوانه ، ويعتقد أن ما أعده من قوة السلاح ، خلال سنوات عديدة ، أنها المقياس لكي ينتصر٠٠

وقال خادم الحرمين الشريفين : « أنا سمعت بأذني من بضع سنوات قول صدّام في أحد أحاديثه لمجتمعه ، وفي الإذاعة ، أنه لا يطمئن أبداً إلاَّ أن يحكم « البعث » جميع البلدان العربية ٠٠٠إنه إنسان أراد أن يبتلع دولة ، ويبتلع الدولة التي تليها ٠

وأشار الملك فهد إلى العلاقات التاريخية بين المملكة العربية السعودية ودولة الكويت فقال : « وما الكويت إلاَّ السعودية ، وما السعودية إلاَّ الكويت، هذا شيء يسجّله التاريخ وأمر لا ننساه ابداً ٠ لذلك هناك ارتباط بين الكويت والمملكة العربية السعودية ٠٠٠ ارتباط عائلي ٠٠٠ وعلاقاتنا تاريخية وأزلية فكان ما كان من موقف المملكة العربية السعودية » ٠

وقال : « ان اجتياح الكويت هو اجتياح للمملكة العربية السعودية بالذات ، واجتياح لدول الخليج العربي ، واجتياح لمصر ولسورية وللمغرب ، ولجميع البلدان العربية والإسلامية ٠٠٠ إنه اعتداء على الحرية ، واعتداء على العقيدة الإسلامية » ٠

وتابع خادم الحرمين الشريفين يقول : « إنه هجوم صاعق ومؤلم على قيم الحق والعدل والأخوة والجوار ؛ فالنظام العراقي اجتاح هذه القيم الكريمة قبل أن يجتاح الأرض ، ويحتلّ الديار ٠٠٠ لقد كانت كارثة عربية لم يسبق لها مثيل في تاريخنا المعاصر ، بل هي جريمة نكراء يندى لها جبين الأمة العربية ٠٠٠ إذا كانت العراق تريد ان تحتل البلدان العربية المجاورة لها ، فهي تخطئ الطريق ٠٠ ماذا تريد العراق ؟ إذا كانت تريد بترولاً ، فلدى العراق من

السعودية ودول الخليج لصدّام حسين فقال : « لقد ثبت لنا بشكل غير قابل للنقاش ، أن ما كان يتلقاه صدّام من مساعدات من المملكة العربية السعودية والكويت ، ومن دول الخليج ، لم يكن القصد منه تعمير العراق ، أو الدفاع عن العراق ، بل أعده للهجوم على دول الخليج ، وبهذه المناسبة فلا أعتقد أنه شيء من الأسرار إذا ذكرت ما ذكره لي سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح ، عندما كنا في مؤتمر قمة بغداد ، كان يتحدث مع صدّام حسين ٠٠ ويقول له سمو الأمير جابر : وعدتنا بزيارة الكويت وطال الوقت وما زرت الكويت ، فيقول لقد كان جواب صدّام له : سوف أزور الكويت خلال الأشهر القادمة ٠٠٠ فقال له الأمير جابر - من باب الإكرام - لا بد أن نعلم عن ذلك حتى نقوم بالواجب ، فكان جواب صدّام : لا ٠٠٠ ما يحتاج ٠٠٠ أنا سوف أزورك وأنت ما تدري ٠٠٠ يعني لا تدري إلا أنا في الكويت ٠٠٠هذا قاله لي سمو الأمير جابر٠٠٠ وقال صدّام : أمَّا موضوع الحدود فمسؤولون بيننا وبينكم يبحثون فيها ٠٠٠ ولكن اؤكد لك أني سوف أحلها في الأشهر القادمة ، هي وزيارتي ، سوف أفاجئك بحلّها » ٠

وقال الملك فهد رعاه الله : « فالبلدان العربية ليس حكمها لدى العراق ، أو لدى أي مبدأ ، او عقيدة ، خلاف العقيدة السماوية ٠٠٠ ان الأمة الإسلامية ليس لها نصر ، إلاَّ إذا تمسكت بكتاب الله وسنة نبيه ، وإذا قرأ أي منا التاريخ ، وجد أن النصر صاحب الأمة العربية ومن اعتنق العقيدة الإسلامية ، عندما كانت النيات صافية ، وعندما كان الهدف الرئيسي هو نشر العقيدة الإسلامية بطرق شتى ٠ ومن أهداف ومبادئ العقيدة الإسلامية الرقة ، والعطف ، والحنان ، والتبصير ٠٠٠ وإننا ندرك أن العقيدة الإسلامية ليست للعرب فحسب ، إذ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بتقوى الله « إن اكرمكم عند الله أتقاكم » فالعقيدة الإسلامية فيها جميع المبادئ والأهداف التي يريدها الإنسان في حياته ، ما دام أنه موجود في هذه الدنيا ، حفظت له حقوقه الشخصية ، وحقوقه العامة ، وأعطته من القوة في الوقت الذي يجب أن يستعمل القوة ٠٠٠ وكلنا يعلم ما حصل في الماضي ، من استعمار للأمة الإسلامية سواء كان في البلاد العربية ، أم في افريقيا ، أم في آسيا ، أم في أي مكان آخر ، والسبب هو أن تغلبت الرغبة في الحياة والرغبة في متاع الدنيا على التمسك بالعقيدة ، بينما العقيدة الإسلامية باقية إن شاء الله ، إلى أن تقوم الساعة » ٠

وأكد العاهل السعودي في أحاديثه : « أن سبب العداوة الحقيقية لنا ، هو تمسكنا بشريعة الإسلام الحنيف وأؤكد لعلمائنا وللأمة الإسلامية أننا ماضون أبداً ، بعون الله ، على منهج الإسلام ، وملتزمون دوماً بقضايا الإسلام والمسلمين مهما أرجف المرجفون « فاستمسك

بالذي أوحي إليك إنك علىٰ صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون »سورة الزخرف، الآيتان : «٤٣ و ٤٤ ». ٠٠ إن هذه الدولة قد أرست قواعدها منذ نشأتها على كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ثم على نهج السلف الصالح ، وأقامت حكمها في جميع شؤونها الدينية والدنيوية ، انطلاقا من تعاليم العقيدة الإسلامية نصاً وروحاً ، قولاً وفعلاً ، عبر جميع عهودها وحتى تاريخ هذا اليوم وستظل كذلك إن شاء الله ، وبهذا أوجدت الدولة – بعون الله وتوفيقه – حكماً ثابتاً مستقراً أساسه العدل ، وعماده الأمن ، ومن أهدافه إفشاء السلام ، وإشاعة المحبة والتآخي والتآلف ، بين جميع أبناء المملكة العربية السعودية قاصيها ودانيها ٠ لذلك لن نقبل بتطبيق أي نظام أو قانون من وضع البشر يخالف هذا النهج الذي نسير عليه بهدى الكتاب والسنة ٠٠٠ نحن أمامنا الطريق الأبيض ٠٠٠ أمامنا طريق الخير ٠٠٠ أمامنا طريق السعادة ٠٠٠ أمامنا طريق حفظ لنا حقوقنا في الدنيا وفي الآخرة ٠٠٠ فنحن نسير في خط مستقيم ٠٠٠٠ نحن لا يمكن بحول الله ، أن ننصاع لأي مبادئ كانت ، ولن نقبل أي مبادئ تختلف مع العقيدة الإسلامية ، سواءً كانت تتعلق بالدولة بدءاً من رئيس الدولة وانتهاءً بأي مواطن كان في الأمور العامة أو في الأمور الخاصة ٠

وقال خادم الحرمين الشريفين : « اذن طبيعة هذه البلاد ، وواجبات أهلها عليها ، تختلف عن أي بلد آخر٠ وعلى هذا الأساس لن نقتبس أي مبدأ كان من المبادئ التي يعتبرونها تنظيمية لحياتهم الاجتماعية ، إلاَّ ما جدّ من الأمور المفيدة للإسلام والمسلمين ، بشرط ألا تختلف ، أو تخالف ، ما أوضحه ربّ العزة والجلال في كتابه العزيز ، إذن نحن لا نهتم ابداً باي حال من الأحوال بمن يريد أن يقول إن هذا البلد بلد متأخر ٠٠٠ لماذا نكون متأخرين أو متخلّفين ؟ ٠٠٠ لأننا متمسكون بكتاب الله ، وسنة نبيه وهذا عز وفخر ، نفتخر ونعتز به ٠٠٠ وعلى هذا الأساس أريد أن أوضح بصفتي كُلِّفت ، أو وجدت نفسي في هذا المركز الذي أنا فيه ، فأقول : أعاهد الله عز وجل أن تكون العقيدة الإسلامية هي الأساس والقاعدة والمنطلق ، وما خالفها لن نهتمّ به ، ولن نتبعه ، ولا يهمنا من أراد أو يقول أو يتكلم كبيراً كان أو صغيراً ٠٠٠ نحن أقوى بالله عز وجل، ومن أراد أن يحاججنا ، فسوف نتغلب عليه ، لأننا نعتمد على قدرة العزيز القدير ، وما أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما بيَّنه رسول الله وخلفاؤه الراشدون وأئمة المسلمين ٠٠٠ إن العالم جرب المبادئ والتنظيمات التي لها علاقة بحياة الإنسان العامة والخاصة ، ومن ثم أدرك من أدرك أن العقيدة الإسلامية هي خير سبيل لأنها تجمع فضائل الدنيا والآخرة » ٠

وتحدث الملك فهد حفظه الله عن حرية الفرد السعودي فقال : « إن حرية الفرد في هذه

البلاد كفلتها العقيدة الإسلامية ، في التعامل والممارسة ، والتعبير والحقوق ، والواجبات ، ضمن إطار عدم الإضرار بالآخرين أو الإخلال بالتعاليم الإسلامية أو بالأنظمة القائمة ، وللمواطن حرية الاتصال بأي مسؤول يريد ، ولا يوجد باب موصد دونه لدى جميع المسؤولين » .

وفي إشارته عن حرية الإسلام قال العاهل السعودي : « وأحب أن أطمئن أبناء المملكة العربية السعودية ، أنه لا يمكن أن أسمح لأحد ، أو لنفسي ، بالتدخل في الشؤون العامة أو الخاصة للمواطنين بما في ذلك حريتهم التي كفلها لهم الإسلام ، كما أننا لن نتدخل في أمور الناس ، بل نعمل على حمايتهم ونستميت في سبيل ذلك ، وفي سبيل بقاء العقيدة الإسلامية ، وسيظلّ كل مواطن موضع اهتمام الدولة في معاشه وحياته ، وخططنا التنموية تسير في ضوء ما خُطط لها ، كما أن الخير ، بحمد الله ، سيزداد » .

لقد تولت المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز هذا الأمر الخطير وجابهت الأزمة في منطقة الخليج العربي بكل صلابة وتصميم وبذلت كل غالٍ ونفيس للردّ على الثورة « البعثية » العراقية المزيفة ، فحالت دون توسعها وحالت دون تسللها إلى منطقتنا العربية الإسلامية وكشفت مخططاتها الهادفة تدمير المجتمع الإسلامي ، وأعادتها إلى جحورها حتى لا تقوم لها قائمة ثانية في محاولات أخرى للتطاول على المجتمعات المحافظة الملتزمة بعقيدتها الإسلامية .

إن المجتمع الإسلامي الذي ولد مع ظهور الإسلام وتمكن من السلطة السياسية بعد هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اختار شكلاً لدولته يقوم على عدة مبادئ واضحة «أوردها العالم الإسلامي أبو العلي المودودي في كتابه « الحكومة الإسلامية» ص : «٣٧٧ و ٣٧٨» هي

١ - سيادة القانون الإلهي : وكانت أولى القواعد الأساسية لهذه الدولة أن الحاكمية فيه لله تعالى وحده وحكومة المؤمنين في أصلها وحقيقتها «خلافة » ولم تكن حكومة مطلقة العنان فيما تفعل بل كان حتماً عليها أن تعمل تحت القانون الإلهي الذي يستمد ويؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله .

٢ - العدل بين الناس : إن الجميع متساوون بنصٍّ قانون الكتاب والسنة.

٣ - المساواة بين الناس : أي أن حقوق كافة المسلمين واحدة متساوية تماماً دون اعتبار للون أو جنس أو لغة أو وطن.

٤ - مسؤولية الحكومة : وهي القاعدة الهامة التي أسست عليها الدولة الإسلامية بأن الحكومة وسلطتها وأموالها أمانات لله ، للمسلمين ينبغي إيكالها لأناس

يخشون الله عادلين مؤمنين.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته » ٠ وقال : « ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشّ لهم إلاَّ حرم الله عليه الجنة » ٠

٥ – الشورى : وهي خامسة قواعد الدولة الإسلامية وهي حتمية .

٦ – الطاعة في المعروف : وهي طاعة الحكومة في المعروف فقط ، ولا حق لأحد أن يطاع في معصية أي أن الحكم الصادر من الحكومة والحكام إلى رعيتهم واجب الطاعة إذا كان مطابقاً للقانون الشرعي ، ولا طاعة لهم فيما يخالف هذا القانون ، ولا يلزم أحد تنفيذ هذا الحكم ٠

٧ – طلب السلطة : ممنوع ، وكانت هذه القاعدة من بين القواعد التي قام عليها بناء الدولة الإسلامية.

٨ – هدف وجود الدولة : إن أول واجب فرض على الحاكم وحكومته في الدولة الإسلامية أن يقيم نظام الحياة الإسلامي بحذافيره دون نقص أو إبدال ، وأن يرفع من قدر الخير وينشره ، ويقضي على الشرور ويزيلها طبقاً لمعيار الإسلام الأخلاقي ٠

٩ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : آخر قاعدة من قواعد الدولة الإسلامية وقد كانت ضامناً لسيرها في الوجهة الصواب .

تلك هي مبادئ الحكم وأسسه التي قام وسار عليها نظام الحكومة الإسلامية في عصر محمد صلى الله عليه وسلم وهي الأصول نفسها التي قامت عليها حكومة الخلفاء الراشدين من بعده ، وكان كل فرد في المجتمع آنذاك – نظراً لما تلقاه من تعليم وتربية وقيادة عملية عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة – يعرف أي نوع من النظم الحكومية ينبغي أن يكون لهذا المجتمع ، ولم يصل أحد إلى السلطة عن طريق القوة والسطو كما شاهدنا في عالمنا العربي في النصف الثانى من القرن الهجري الماضي، وفي منتصف هذا القرن الميلادي فالشريعة الربانية لم تنزل للأقزام الخانعين ، ولا لعبدة الأهواء وهواة الدنيا ، ولا للذين مثلهم كمثل الريشة في مهبّ الرياح أو كالغثاء الجاري مع تيار الماء ، ولا للحربائيين الذين يتلونون بكل لون من ألوان الظروف.وإنما أنزلت لأولئك الليوث الأبطال الذين يملكون بشجاعتهم تغيير مهبّ الرياح وتحويل مجرى الحياة إلى ما يريدون ، ويُحبُّون صبغة الله ويؤثرونها على سائر الأصباغ والألوان ٠

وصفوة القول : إن الإيمان بالله إذن حتمية فوق كل حتمية ٠٠٠ إن حضارة كل أمة هي مجموعة القيم والمبادئ والمفاهيم التي تؤمن بها وتعتنقها ، وتوجه سلوكها وتقوّم مجتمعها ٠

وبهذا الإيمان الصادق الشجاع تحررت دولة الكويت ، وهدأت العاصفة في منطقة الخليج العربي.

ويمكن القول إن القوات المتحالفة التي شاركت في تحرير دولة الكويت قد دهشت من تنظيم الإجراءات التي اتخذتها القيادة السعودية لتأمين احتياجات الأعداد الكبيرة لهذه القوات المتعددة الأجناس والتي بلغت أكثر من سبعمائة وخمسين ألف شخص تمثل القوات البرية والجوية وأيضاً البحرية التي تضم ٢٥ أسطولاً بحرياً . لقد وفّرت القيادة السعودية جميع المستلزمات وقد شملت المواد الغذائية وأيضاً المياه والإقامة ووسائل المواصلات وغيرها والتي فاقت كل التوقعات فكان ذلك مما ساعد على بذل كل جهد مع اختصار الوقت المطلوب لعملية طرد القوات العراقية من الكويت .

في ضوء هذه الاستعدادات التي اتخذتها القيادة السعودية لتحقيق راحة القوات المتحالفة على أراضيها كان لا بد من أن يستوضح الضباط الأمريكيون من زملائهم في القيادة السعودية عما إذا كان لدى المملكة العربية السعودية تجارب سابقة في هذا المجال والتي وقد تحقَق ماتحقَّق بالسرعة المطلوبة فكان جواب الضباط السعوديين على هذه الاستيضاحات أن لدى المملكة العربية السعودية تجارب سنوية خلال مواسم الحج حين يتوافد على الأراضي المقدسه كل عام ما يزيد على مليوني شخص لتأدية مناسك الحج في وقت محدود وفي منطقة محددة لا تتجاوز مساحتها ٢٥كيلو متراً فتعدُّ المملكة العربية السعودية لهذا العدد الكبير جميع المتطلبات مع تحقيق الراحة والطمأنينة والأمن بكل يسر وسهولة ، وأكد الضباط السعوديون لزملائهم في القوات المتحالفة أن هذه الإجراءات هي من مزايا العقيدة الإسلامية التي يتمتع بها المسلمون في أرجاء المعمورة . وزيادة في الإيضاح طلب العديد من أفراد القوات المتحالفة تزويدهم بالكتب التي تشرح مزايا العقيدة الإسلامية وفعلاً تمَّ تزويد الكثير منهم بالكتب المطلوبة باللغة الانكليزية وبعد أن اطلع هؤلاء على مضمونها وهي تشرح مميزات الشريعة الإسلامية اعتنق بعضهم الدين الإسلامي بتجاوب منقطع النظير .

إن المعلومات الرسمية التي تسربت من قيادة قوات عاصفة الصحراء قد أكدت أن حوالي ٢٥٠٠ شخص بين ضباط وأفراد من القوى الأمريكية التي شاركت في القوى المتحالفة لتحرير دولة الكويت قد اعتنقوا الدين الإسلامي خلال مشاركتهم في حرب التحرير .

لقد عاد هؤلاء المسلمون الجدد إلى بلادهم وأصبحوا مبشّرين في أوطانهم بالعقيدة الإسلامية وبمزاياها التي لم تتوافر في غيرها من الديانات والمعتقدات .

* * *

خاتمة الكتاب

أوضحت في هذا الكتاب جذور الغزو الفكري وانتشار مبادئ القومية العربية الملحدة والعلمانية التي بدأت تتسلل من القارة الأوروبية إلى المنطقة العربية وكانت سورية أول بلد عربي يشهد انتشار هذه الأفكار والأنظمة المستوردة ثم إنتقلت إلى بعض اجزاء في العالمين العربي والإسلامي ومنه انطلقت أكبر حرب على العقيدة الإسلامية ومبادئها السماوية منذ أن ظهرت المبادىء والمعتقدات الاشتراكية العلمانية الملحدة بهدف نشرها في المنطقة العربية عن طريق الانقلابات العسكرية وفرض تلك المبادئ المشبوهة بقوة السلاح التي حملتها شعارات براقة باسم الوحدة والحرية والاشتراكية والتي كان يحلم بها أقطاب هذه الاحزاب الهدامة . قال سبحانه وتعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » سورة الروم ، الآية: (٤١)..

ومن التحليل والبحث العلمي لهذه المبادىء العفنة يتبين أن الحرية الشعبية لا وجود لها في المجتمعات العربية لأن هذه الحرية تشغل الأفراد والجماعات عن الاهتمام بما يصبّ عليهم من ظلم اجتماعي وجور اقتصادي، فمن أراد الحرية فلا طعام ولا حياة ، كما أن مبدأ الاشتراكية والحرية نظرياً هو مساواة الجميع أمام القانون ولكن القيادة الديكتاتورية هي وحدها التي تقرر لمن تعطى لهم الحرية وهم فقط طبقة الفئة «النخبة» في الحزب دون سواهم ، كما هو الحال بالنسبة للاشتراكية التي تقوم على سلب المجتمعات ممتلكاتهم ومصادرة معاملهم مهما كان حجمها سواء أكانت كبيرة أم صغيرة لتكون كلها تحت إشراف الدولة ليتساوى الغني مع الفقير ولكن دون أن يحقق الفقير أية مكاسب من هذا النظام الاشتراكي الذي يتنافى مع جوهر العقيدة الإسلامية . لذلك عندما حلت «دولة البوليس» محل دولة القانون ألغت الحريات الديمقراطية وساست الناس بالقوة والقسوة والقهر من جهة ، وبوسائل الإعلام المضللة من جهة ثانية، وهكذا يستطيع الحاكم «الطاغية» المطلق أن يسوس الناس بالكلمة تلقى أو تكتب أو تغنّى، ويسوق الناس سوقاً كما تساق السائمة بتهديد ووعيد من القوات المسلحة والمخابرات من جهة، وبتسلط من أجهزة الإعلام من جهة ثانية، وبذلك تحول الشعب إلى جمهور من الدهماء.

وإن من يمعن النظر في مجمل تلك الأساليب التي لا تعرف معنى الإنسانية يستطيع أن يدرك بجلاء أن من ينتهج ذلك النهج إنما هو في واقع الأمر يحتكم إلى مبادئ الماسونية العالمية وبروتوكولات حكماء صهيون العالمية فقد حملت تلك الأحزاب البالية هذه المبادئ الصهيونية

معها من الغرب لتطبيقها على الشعوب العربية والإسلامية الملتزمة بعقيدتها السمحة ٠

وعبر تسلسل هذه المبادئ الهدامة لعب العسكريون في بعض الدول العربية في هذا القرن دوراً سياسياً يبرز أحياناً ويتوارى أحيانا أخرى لتقلد السلطة بدلاً عن السياسيين الوطنيين الذين ضحوا بكل غال ونفيس لتحرير وطنهم من كل مستعمر ، ولكن حلَّ مكانهم فئات حاقدة على الشعوب وحاقدة على الإسلام لأن قادة الأحزاب الاشتراكية ولدوا في أحضان النظم العقائدية الفاسدة وتغذوا بإفرازاتها القميئة فتشبعت قلوبهم بالحقد وبالكيد ضد العقيدة الإسلامية السمحة ٠

لقد أفرز « ميشيل عفلق » بعض الحكّام في العالم العربي لتحقيق مبادئ البعث وكان آخر هؤلاء صدّام حسين التكريتي الذي فرض نفسه على شعب العراق بقوة السلاح وبقتل جميع القيادات العراقية تصفية جسدية ليقضي على كل روح تدافع عن عقيدة الإسلام في محاولة منه لفرض إرادته على العالم العربي وإقامة دولة « البعث » ، إن صدّام حسين فرض نفسه على سلطة الحكم بالقوة ... قوة السلاح والعنف وهذا ما يتنافى مع مبادئ الحكم الإسلامي ، وكما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « إنا والله لا نوليٌ على عملنا هذا أحداً سأله أو حرص عليه » ٠ وقال : « إن أخونكم عندنا من طلبه » ٠ وقال : « إنا لا نستعمل على عملنا من أراده » ٠ ثم بدأ صدّام حسين في اليوم الثاني من آب « اغسطس » ١٩٩٠م بغزو دولة الكويت لبسط نفوذه بالقوة على منطقة الخليج العربي ولفرض تحكمه في الاقتصاد العالمي من وراء سيطرته على منابع النفط في منطقة الخليج العربي ، لذلك أراد صدّام حسين أن يغير خريطة المنطقة في مرحلة أولى ثم تغيير منطقة العالم العربي في مرحلة ثانية ، ولكن مشيئة الله تعالى قد حالت دون تحقيق هذا الحلم الذي ضحى من أجله بالجيش العراقي وقدراته القتالية وبالأعتدة المسلح بها تقنياً وبأحدث أنواع الأسلحة المتطورة التي دفعت تكاليفها الكويت والمملكة العربية السعودية خلال الحرب العراقية الإيرانية ليبقى الجيش العراقي صامداً في هذه الحرب وليشارك مستقبلاً في واجباته مع الجيوش العربية الأخرى عندما يحين الوقت لتحرير بيت المقدس وفلسطين العربية المسلمة ٠

لقد كانت مؤامرة صدّام حسين التكريتي في العالم العربي حرباً على الإنسان وحريته ومعتقداته هدفها تدمير الأصول الحضارية والينابيع الروحية ، للمواطن العربي ، والمواطن المسلم ، حتى إذا ما تمّ تفريغه من محتواه الفكري والروحي ، أصبح كريشة في مهب الريح ،

فتتقاذفه الشعارات الملحدة العلمانية التي صنعها « عفلق » – المجهول الهوية – والفئات العلمانية الأخرى وقد رمى هؤلاء بهذه العقائد الجاهلية المنتنة الشعوب العربية والإسلامية ، ليصبح المجتمع العربي المسلم الأصيل مباءة سهلة لكل الضلالات والجهالات ، ومجالاً منسرحاً لعقائد متعارضة ، متضاربة ، لا مثيل لسخفها في تاريخ الدنيا .

إن الظلم من أبشع الجرائم في الأرض ، ومن أشدها قسوة على نفس الإنسان ، ومن طبيعة الظلم : أنه لا يقف عند حدّ من تلقاء نفسه ، بل يستمر في تضخمه حتى يصبح هو القاعدة السائدة في العلاقات البشرية ، ومن طبيعة الظالمين أنهم لا يستحون ولا يتخلون عن ظلمهم طوعاً ؛ فالتجارب الإنسانية أكدت أن الظلم لا يُزال إلا بالقوة العادلة الحاسمة .

إن الدين الإسلامي هو وحده الذي يستطيع أن يوقف انتشار المبادئ الاشتراكية الملحدة في العالمين العربي والإسلامي ، وإن أعداء الإسلام من الاشتراكيين هم الذين أضعفوا عقيدة الإسلام ، كما أضعفوا المسلمين وأقاموا إسرائيل في قلب البلاد العربية .

إننا بحاجة كبرى إلى التفقه في ديننا الإسلامي ، وإلى التعمق في أصول شريعتنا لنعلم المزايا التي تحتوي عليها هذه الشريعة المطهرة ، فالشريعة الإسلامية هي المحققة للعدالة، وللحرية والمساواة ، وللمحبة وللأخوة بين المسلمين ، بل بين الناس عامة .

إن العودة إلى تراثنا وعقيدتنا الإسلامية والرجوع إلى مبادئنا السماوية الأصيلة ، والانتماء إلى حضارتنا ونظمنا الاجتماعية والأخلاقية هي وحدها طريق الخلاص .

قال الله تعالى وهو عزَّ من قائل : « لِتؤمنوا بالله ورسوله وتُعزرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ وتُسبِّحوهُ بُكْرَةً وأصيلاً » . « سنة الله التى قدخلت من قبلُ ولن تجد لِسُنَّةِ الله تبديلاً » . [1] صدق الله العظيم ، وصدق رسوله الكريم ، والحمد لله رب العاملين .

* * *

(١) سورة الفتح ، الآيتان : ٩ و ٢٣ .

مضمون الوثائق

١ ـ رسالة السلطان عبد الحميد الثاني بن عبدالمجيد حول المؤامرة الماسونية على الدولة العثمانية .

٢ – فتوى الشيخ رشيد رضا عن الماسونية .

٣ – قرار المجمع الفقهي بمكة المكرمة في الماسونية .

٤ ـ الرسالة المتخاذلة التي كتبها ميشيل عفلق بخط يده معتذراً لحسني الزعيم عما بدر منه.

٥ – صورة زنكوغرافية للخطاب السري للاتحاد العام لنساء العراق للترفيه عن الضباط «الأشاوس» !

* * *

(١) رسالة السلطان عبد الحميد « الثاني » بن عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين ، أرفع عريضتي هذه إلى شيخ أهل عصره محمود أفندي أبي الشامات ، أقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامي أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مارس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين ، سيدي : إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد « الشاذلية » ليلاً ونهاراً وأعرض أنني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

وبعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ :

إنني لم أتخلَّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى أنني - بسبب المضايقة - من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم اضطررت وأُجبِرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة « فلسطين » ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسون مليون ليرة إنجليزية ذهباً ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً ، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :

« إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مئة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسوِّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً » .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم اقبل بأن ألطِّخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة : فلسطين ... وقد كان بعد ذلك ما كان - ولذا فإني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال . وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام ، وبه أختم رسالتي هذه . ، وأرجو أن تتفضلوا بقبول

احترامي بسلامي إلى جمعية الإخوان والأصدقاء ·

يا أستاذي

لقد أطلت عليكم التحية ولكن دفعني لهذه الإطالة أن تحيط سماحتكم علماً ، وتحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩ هـ

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

صورة الصفحة الأولى من الرسالة التي وجهها السلطان عبد الحميد « الثاني » بن عبد المجيد إلى الشيخ محمود أبي الشامات باللغة التركية وبخط يد السلطان نفسه .


يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد

رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين

اشبو عريضه مى طريقت عليه شاذليه شيخى وجودلره روح وحيات

ويرن وجمله نك افنديسى بولنان الشيخ محمود افندى ابو الشامات حضرتلرينه

رفع ايدييورم مبارك اللرينى اوپرك ودعالرينى رجا ايدرك سلام

وحرمتلرمى تقديمدن صكره عرض ايدرم كه . سنه حاليه شهر مايسك يكرمى

كونلى تاريخلى مكتوبلرى واصل اولدى . صحت وسلامتده دائم اولديغكزدن دولايى

الله حمد وشكرلر ايتدم . افندم اوراد وشاذليه قراءتنى و وظيفه شاذليه

اللهك توفيقيله كيجه وكوندوز دوام ايدييورم وبو وظيفه لرمى اداءيه موفق

اولديغمدن دولايى الله تعالى حضرتلرينه حمد ايدرم و دعوات قلبيه كزه دائما

محتاج اولديغمى عرض ايلرم . بو مقدمه دن صكره شو مهم مسئله يى ذات

رشاد وتيناهيلرينه و ذات سماحتپناهيلرينك امثالى عقول سليمه صاحبلرينه

تاريخى بر امانت اولارق عرض ايدرمكه . بن خلافت اسلاميه يى هيچ بر سببه ترك

ايتمه دم . انجق وانجق « جون ترك » اسميله معروف ومشهور اولان

اتحاد جمعيتنك رؤساسنك تضييق وتهديدى ايله خلافت اسلاميه يى تركه

مجبور ايدلدم . بو اتحادجيلر اراضى مقدسه ده فلسطينده يهود يلر

ايچون بر وطن قومى تاسيسنى قبول وتصديق ايتمكلكم ايچون اصرارلرنده

دوام براصرارلرنيه وتهديدلرينه رغماً ننده قطعيا بو تكليفى قبول ايتمدم

وبالآخره يوز اللى مليون التون انكليز ليراسنى ويره جكلرينى وعد ايتدلر

صورة الصفحة الثانية من الرسالة مع التوقيع الرسمي للسلطان عبد الحميد« الثاني» بن عبد المجيد .


بو تكليفي دخي قطعياً رد ايتدم . وكندولرينه شو سوزلرمله مقابله ده
بولندم . ١٥٠ مليون التون انكليز ليراسي دنيا دولوسي
التون ويرسه كز بو تكليفلريكزي قطعياً قبول ايتمه م . بن اوتوز سنه دن
زياده بر مدتده ملت اسلاميه يه و امت محمديه يه خدمت ايتدم . بوتون
مسلمانلرك و سلاطين و خلفاء عثمانيه دن آباء و اجدادمك صحيفه لريني
قاره تمام . بناءً عليه بو تكليفكزي مطلقا قبول ايتمم ديه قطعي جواب
ويردكدنصكره خلعمه اتفاق ايتديلر . وبني سلانيكه كوندره جكلريني بيلديرديلر
بو صوك تكليفلريني قبول ايتدم . والله تعالى يه حمد ايدرم كه دولت
عثمانيه يي و بوتون عالم اسلامي ابدي بر لكه اولاجق اولان تكليفلريني يعني
اراضي مقدسه ده فلسطينده يهودي دولتي قورلمسني قبول ايتمه دم . ايشته
بوندن صكره اولان اولدي . و بوندن دولاييده مولاي متعال حضرتلرينه حمد ايدرم
بو مهم مسئله ده شو معروضاتم كافيدر . و شو سوزلرمله مكتوبمه ختام ويريورم .
مبارك اللريكزي اوپر حرمتلرمي قبول بيوره كزي سزدن رجا و استرحام ايدرم
اخوان و اصدقائك جمله سنه سلاملر ايدرم . ايا معظم استاذم . بو بابده سوزمي
اوزاتدم . لكن فضيلتلي عالم سماحتلي حضرتكزك و بوتون جماعتكزك معلومي
اولمق ايچون اوزاتمغه مجبور اولدم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
خادم المسلمين

(٢) فتوى الشيخ رشيد رضا رقم ٣٦٥
المنشورة في المجلد الثالث من الفتاوى الماسونية

الماسونية جمعية سياسية وجدت في أوروبة لإزالة سلطة المستبدين من رؤساء الدين والدنيا (كالبابوات والملوك) ، ولذلك كانت سرية ، فإن أهلها العاملين الساعين إلى مقاصدها كانوا على خطر من سلطة الأقوياء الذين تقاوم الجمعية استبدادهم ، وتعمل لسلب السلطة منهم ، وجعلها في يد الشعب بحيث يكون في يده التشريع والمراقبة على من ينصبه من الحكام للتنفيذ ، فلهذه الجمعية الأثر العظيم في الانقلابات السياسية التي حصلت في أوروبة ، ومنها الثورة الفرنسية الكبرى من قبل ، والانقلاب العثماني ، والبرتغالي الأخيرين من بعد .

وقد كان المؤسسون لها ، والعاملون فيها في أوروبة من النصارى واليهود ، واليهود هم زعماؤها ، وأصحاب القدح المعلَّى فيها ، لأن الظلم الذي كانوا يسامونه ، والاضطهاد الذي يذوقونه كانا أشد مما ابتُلي به ضعفاء النصارى من أقويائهم ، وكذلك كان اليهود أكثر الناس انتفاعاً من الانقلابات التي سعت اليها الماسونية في أوروبة ، وسيكونون كذلك في البلاد العثمانية إذا بقيت السلطة الماسونية على حالها في جمعية الاتحاد والترقي ، وبقيت أزمَّة الدولة في يد هذه الجمعية . وهم يسعون مثل هذا السعي في البلاد الروسية ، ولكن الحكومة الروسية واقفة لليهود بالمرصاد ، ولا يزالون يتجرعون في بلادها زقّوم الاضطهاد .

وأما الماسونية في بلاد الشرق كمصر وسورية وغيرهما من البلاد ، فقد يصح ما يقوله الكثير من أهلها انها لا تعمل للسياسة ، ولا للدين ، وأنها أدبية اجتماعية ، وقد يصح من وجه آخر أن لعملها علاقة بالسياسة والدين ، لكل قول وجه يصحّحه ، فلا تناقض بينهما ، وهي لا تطعن في دين من الأديان ، ولا تبحث في ترجيح دين على دين ، ولا تدعو الداخلين فيها إلى ترك دينهم ، ولا إلى الالحاد ، ولا تعمل الآن في مصر لتغيير الحكومة الخديوية ولا في سورية لتغيير الحكومة العثمانية أو مقاومتها ، فهذا معنى كونها ليست مناصبة للدين ، ولا لسياسة البلاد . وأما علاقة عملها بالدين والسياسة فمعروفة مما ذكرناه من مقصدها الذي أنشئت لأجله ، فإذا لم تشتغل بالمقصد مباشرة فهي تشتغل بالتمهيد له ، كجمع كلمة أهل النفوذ في كل بلد ، وتكثير سوادهم ، وتقوية عصبيتهم ، وإضعاف رابطتهم الدينية والسياسية والانتقال بهم في الإقناع من درجة إلى درجة حتى يتم الاستعداد بهم إلى تغيير شكل الحكومة ، وإزالة السلطة الدينية والشخصية ، الذي هو المقصد الأخير ، ولو بالثورة وقوة السلاح .

فالماسونية سياسية في الأصل ، وتبقى سياسية في كل مملكة فيها سلطة شخصية ، أو سلطة دينية ، إلى أن تزول صيغة الدين من الحكومة، فحينئذ تكون الجمعية أدبية اجتماعية يجتمع أعضاؤها في المحافل لإلقاء الخطب والمحاضرات والتعارف بالكبراء من الغرباء .

اما اتفاق المختلفين في الدين على هذا المقصد ، فهو لا يكون عادة إلاّ بالتدرج والاقتناع بأن المصلحة محصورة فيه ، ومن طرقه الجرائد التي يُنشر فيها المرة بعد المرة بالأساليب المختلفة ان محل الدين المساجد والكنائس دون الحكومات والمصالح الدنيوية ، ومنها رابطة الوطنية وهي أن يكون أهل الوطن سواء في الحكومة ومصالحها وفي جميع المصالح والمرافق ، ولأجل هذا ترى رجال الدين المسيحي كالجزويت يحاربون هذه الجمعية ، أما رجال الدين الإسلامي من الفقهاء والمتصوفة فقلّما يعرفون شيئاً من أمور العالم .

* * *

(٣) قرار المجمع الفقهي بمكة المكرمة في الماسونية السرية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد :

نظر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة بمكة المكرمة في العاشر من شعبان ١٣٩٨ هـ . الموافق ١٩٧٨/٧/١٥م في قضية الماسونية والمنتسبين اليها وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك .

وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة ، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد ، وما نشر من وثائقها فيما كتبه ونشره أعضاؤها وبعض أقطابها ، من مؤلّفات ، ومن مقالات ، في المجلات التي تنطق باسمها .

وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي :

١ - أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان ، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلاّ خواص الخواص للذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها .

٢ - انها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب .

٣ - إنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية على أساس أن كل أخ ماسوني مجنَّد في عون كل أخ ماسوني آخر في أي بقعة من بقاع الأرض يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أياً كان على أساس معاونته في الحق والباطل ظالمًا أو مظلوماً ، وإن كانت تستر ذلك ظاهرياً بأنها تعينه على الحقّ لا الباطل . وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلِف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال .

٤ - إن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة .

٥ - إن الأعضاء المغفلين يُتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من

توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقّون في مراتب دنيا . أما الملاحدة أو المستعدّون للالحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة .

٦ - إنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغيرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية .

٧ - إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا العالمية السرية وصهيونية النشاط .

٨ - إنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعا لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة .

٩ - إنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية والسياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن ان تستغلّ نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء والوزراء وكبار موظفي الدولة ونحوهم .

١٠ - إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود والروتاري والليونز إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى تنافياً كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية .

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية. وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين . وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية .

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدّامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله .

والله وليّ التوفيق .

توقيع

نائب الرئيس	الرئيس
محمد علي الحركان	عبد الله بن حميد
الأمين العام لرابطة العالم	رئيس مجلس القضاء الأعلى
الإسلامي	في المملكة العربية السعودية

الأعضاء

عبد العزيز بن باز	محمد رشيدي
الرئيس العام لإدارات البحوث	محمد محمود الصواف
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد	صالح بن عثيمين
محمد بن عبد الله السبيّل	محمد رشيد قباني
مصطفى الزرقاء	أبو بكر جومي

عبد القدّوس الهاشمي الندْوي

مكة المكرمة : العاشر من شعبان ١٣٩٨هـ الموافق ١٥/٧/١٩٧٨م

* * *

(٤) الرسالة المتخاذلة التي كتبها ميشيل عفلق بخط يده معتذراً لحسني الزعيم عما بدر منه !!

دمشق - سجن المزة - في ١١ حزيران ١٩٤٩

سيدي دولة الزعيم

إن هذه التجربة الأخيرة قد علمتني أشياء ونبهتني إلى أخطاء كثيرة. لقد انتهيت إلى أننا بحكم العادة تمسكنا بأسلوب لم يعد يصلح في عهد الانقلاب والعمل الإيجابي.. وإني أعتقد بأن يقترن أحرار هذا الانقلاب منذ الساعة الأولى ولا نزال نعتبر أنه من واجبنا نحن خدمته وتأييده، ولكن الأسلوب الذي اعتدناه طيلة سنين عديدة من المعارضة للانتداب والعهد الماضي الذي بقيت آثاره في كياننا وبعض تصرفاتنا وهو الذي أخفى عنكم، يا دولة الزعيم، حقيقتنا وأننا نحمل تجاه العهد ووضعنا فيه كل آمالنا وصممنا على خدمته بتفان وإخلاص.

سيدي دولة الزعيم،

إنني قانع كل القناعة بأن هذا العهد الذي ترعونه وتشرفون عليه يمثل أعظم الآمال وأسمى أمانات التقدم لبلادنا. فإذا شئتم فسنكون في عداد الجنود البانين وإذا رغبتم في أن نلزم الحياد والصمت فنحن مستعدون لذلك.

إن هذه الحركة من الشباب التي يمثلها البعث العربي قد عملت كثيراً في الماضي لتكون قدوة في النزاهة والوطنية الصادقة، وإن ماضيها يشفع لنا عندكم يا سيدي لكي تعذروا ما بدر منا من تسرع بريء، وإن وراء هذا الحزب نفوساً صافية وطاقات ثمينة للخدمة العامة، وما أجدركم أن تفتحوا لها باب العمل والإنتاج.

أما أنا يا سيدي الزعيم فقد افتكرت أن أنسحب نهائياً من كل عمل سياسي بعد أن انتهيت من سجني، ولن أنسى هذه المدة أمد حياتي وإياها صورة حولتني من النضال القومي ضد الاستعمار والعهد الماضي.

وأعتقد بأن مهمتي قد انتهت وأن أسلوبي لم يعد يصلح لعهد جديد، وأن وجودي لن تجد من عملي أي نفع وقد يتعين اليوم.

سيدي دولة الزعيم.

أنتم اليوم بمثابة الأب لأبناء البلاد ومن حقكم أن تعملوا لخدمة أبنائكم. ولقد كان لنا في هذه التجربة تنبيه كاف ومفيد.

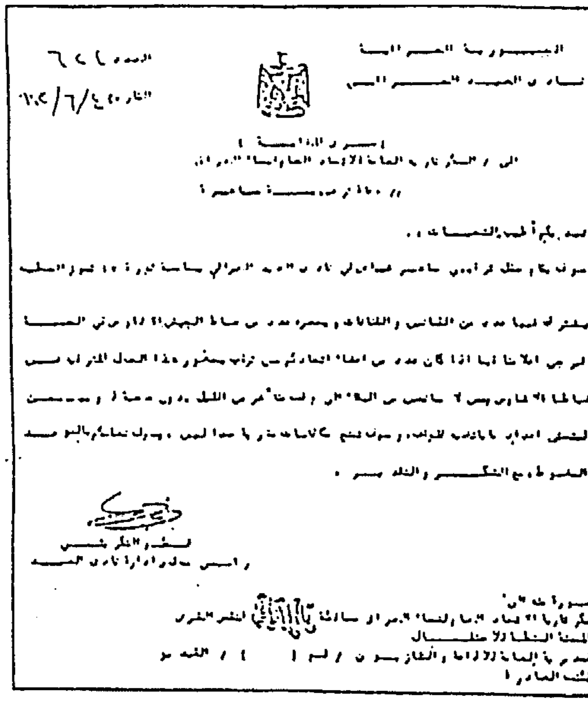
اتركوا لنا المجال كي نصحح أخطاءنا ونقدم لكم البراهين على ولائنا وإخلاصنا.

ميشيل عفلق

---

(١) هذه الكلمة جاءت على صورة انتهيت ولعله يريد « انتبهت » .

(٥) صورة زنكوغرافية للخطاب السري إلى الاتحاد العام لنساء العراق للترفيه عن الضباط «الأشاوس».



صورة طبق الاصل من الوثيقة

الجمهورية العراقية
نادى الصيد العراقى

العدد : ٦٢٤
التاريخ ٤/٦/١٩٨٢

سرى للغاية

الى/ السكرتارية العامة للاتحاد العام لنساء العراق

م/ حفلة ترفيهية ساهرة

نبديكم أطيب التحيات

سوف يقام حفل ترفيهي ساهر خاص فى نادى الصيد العراقي بمناسبة ثورة ١٧ تموز العظيمة يشترك فيها عدد من الفنانين والفنانات وبحضرة عدد من ضباط الجيش الاشاوش فى الجبهة فيرجى اعلامنا فيما اذا كان عدد من اعضاء اتحادكم ممن ترغب بحضور الحفل للترفية عن ضباطنا الاشاوش وممن لايمانعن من البقاء الى وقت متاخر من الليل بدون صحبة ذويهن ليتسنى اعداد مايقتضة الموقف وسوف تمنح مكافئات مغرية جدا لهن وسوف نعلمكم بالموعد المضبوط مع الشكر والتقدير.

فيطلو التكريتي
رئيس مجلس ادارة نادى الصيد

صورة منه الى سكرتارية الاتحاد العام لنساء العراق محالتة () لنلنى الفرض اللجنة المنظمة للاحتفال.
المديرية العامة للاذاعة والتلفزيون / قسم () / الديو.. المكتب الصادرة

نص الوثيقة مكتوبا بالكمبيوتر

مصادر الكتاب

أ - المصادر الإسلامية

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية المطهرة.

٣- شيخ الإسلام ابن تيمية.

٤- سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز «نقد القومية العربية» على ضوء الإسلام والواقع.

٥- الإمام ابن القيم

٦- ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام: رابطة العالم الإسلامي.

٧- الأستاذ أبو الأعلى المودودي: كتاب الحكومة الإسلامية.

٨- الدكتور محمد معروف الدواليبي : كتاب المرأة في الإسلام.

٩- فضيلة الشيخ محمد الغزالي : كتاب مع الله. وكتاب عقيدة المسلم.

ب - المصادر السياسية :

١- د. عفيفي إبراهيم حسن : الماسونية بين الشيوعية والصهيونية.

٢- الدكتور إحسان حقي : ترجمة بروتوكولات حكماء صهيون.

٣- مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت: ندوات ودراسات في القومية العربية.

٤- وليام غاي كار : أحجار على رقعة الشطرنج.

٥- شيريب سبيريدوفيتش : حكومة العالم الخفية .

ج- المصادر البعثية :

١- ميشيل عفلق : «نضال البعث » و « في سبيل البعث».

٢- شبلي العيسمي : العلمانية والدولة الدينية.

٣- مطاع صفدي : الثوري والعربي الثوري.

٤- الدكتور إلياس فرح : مؤلفات عديدة.

٥- صدّام حسين : خطب وتصريحات.

٦- بيانات مؤتمرات حزب البعث العربي الاشتراكي.

٧- صحيفة قادسية صدّام ، بغداد.

٨- مجموعة من الباحثين العراقيين: تغيير الواقع/دراسات في فكر الرئيس القائد صدّام حسين.

فهرس الكتاب

* * *

صدر عن المؤلف

١ – دولة البعث .. و.. إسلام عفلق

٢ – الاشتراكية العلمانية تدمير للحضارات

٣ –الإسلام .. والحياة

رقم الإيداع ٩٦/٧٧٨٤
الترقيم الدولى I . S . B . N . 977 -19 - 1139 -2

International
إنترناشونال برس Press
٥ شارع جمال الشاهد — مدينة الصحفيين ت ٣٤٧٤٢٥٩

هـــذا الكتـــاب



المؤلف صحافيٌ عربيٌ مسلم، عايش مرحلة حاسمة من التاريخ الحديث في أطواره المختلفة، مكنته من الاطلاع بصورة مستمرة على مجريات الأحداث والتطورات التي شهدها العالم العربي والإسلامي في عهد الاحتلال الأجنبي، ثم في العهود الوطنية الدستورية التشريعية – ومن ثم عهد الانقلابات العسكرية وقيام الوحدة السورية / المصرية ثم انفصال الوحدة ومن ثم حكم البعث في سورية والعراق في الستينيات من هذا القرن من خلال تسلل الأحزاب الاشتراكية العلمانية والشيوعية إلى السلطة وقد عملت على تدمير الحضارات وقادت المنطقة إلى الفقر والهلاك والدمار والفتن، ومزقت أبناء البلد الواحد .

كما عايش الأحداث السياسية المتلاحقة التي شهدها العالم العربي، وهي مرحلة مهمة في تاريخ المنطقة العربية بصورة عامة، والمنطقة الخليجية بصورة خاصة .

وقد جاءت مرحلة انطلاقة بارزة نحو تصحيح الأوضاع بدأتها الدول التي ابتليت بالأنظمة المدمرة، والتي كان هدفها إبعاد الدين عن الدولة .

ومهنة الصحافة مهنة جليلة، وقد كان تصنيفها في أكثر الدول في الدرجة الرابعة من السلطات المعروفة، لما لها من دور بارز يعزز الجهود الرامية للارتقاء بالأمة، أية أمة في تأدية رسالتها للشعوب .

إن التاريخ أمانة ثقيلة .. تفرض بحتمية على كل إنسان عاصر الأحداث في وطنه أن يقول كلمة حق في مشاهداته، حتى ولو على نفسه . إن صراحة القول تؤدي خدمة جليلة للوطن وعلى كل مثقف أن يقول كلمة حق للتاريخ .

إن الإيمان بالله لا يكمل إلا بالحب الحقيقي، حب الله، وحب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وحب الشريعة الإسلامية، لذلك فالإسلام يضمن أمن الإنسان وطمأنينته ويحميهما عن طريق إقامة شرع الله وحدوده .

AL-AHRAM

١,٦٠

ردمك : ٠ - ٤٣٤ - ٣١ - ٩٩٦٠